shaziliaassemia.com

شرح منازل السائرين للهروي

للشيخ الإمام شيخ المحققين

سديد الدين أبي محمد عبد المعطي اللخمي الإسكندري

اعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

١ ـ كتاب شرح منازل السائرين للهروي

للشيخ الإمام، شيخ المحققين

سديد الدين أبي محمد عبد المعطي اللخمي الإسكندري

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم اللّه الواحد الأحد الحق المبين، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف والباطن بلا استتار، كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، خلق الإنسان بيده في أحسن تقويم واستخلفه في أرض ناسوت جسمه وسماء ملكوت قلبه وحقيقة جبروت روحه وسرّه، وحمَّله أمانة توحيد ذاته وصفاته وأفعاله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: الآية 30]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: الآية 72].

والحمد للّه تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير القائل تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: الآية 11]، والقائل تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية 2].

وصلِّ اللهم على الإنسان الكامل والخليفة الحقيقي في أرض ملك شريعته، وسماء ملكوت طريقته، وسر جبروت حقيقته، سيد ولد آدم، النبي الخاتم، المبعوث رحمة للعالمين بما جاء لهم به من دين كامل جامع للإسلام والإيمان والإحسان المقابلة للعوالم الوجودية الملك والملكوت والجبروت، المقابلة لما تضمنه الإنسان من نفس وقلب وروح، فالإنسان يقابل عالم الملك بجسمه ونفسه، ويقابل عالم الملكوت بعقله وقلبه، ويقابل عالم الجبروت بروحه وسرّه. قال اللّه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: الآية 21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فُصِّلت: الآية 53].

وبعد، ففي إطار معرفة الإنسان بنفسه الموصلة إلى معرفة ربه انطلاقاً من قوله ﷺ: «**مَن عرف نفسه عرف ربه**» وفي إطار نشر كتب التصوُّف الإسلامي بعد تحقيقها وتصحيحها وتنقيحها والتعليق عليها، نقدم للقرّاء الكرام كتاباً من أنفس كتب التربية والسلوك الشارحة للمقامات التي لا بد للمريد السالك إلى مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان من التحقق بها، ألا وهو كتاب «**شرح منازل السائرين**» المتن للشيخ الحافظ أبي إسماعيل عبد اللّه الهروي الحنبلي الأنصاري المتوفى سنى 481 هجرية. وقد ألّفه حين سأله جماعة من أهل هراة فأجاب ورتّب لهم فصولاً وأبواباً فجعله مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقامات يجمعها رتب ثلاث:

الأولى: أخذ القاصد في السير.

الثانية: دخوله في الغربة.

الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد.

والأقسام العشرة التي يقسم المقامات إليها هي: البدايات، والأخلاق، والأبواب، والأصول، والولايات، والنهايات، والمعاملات، والأودية، والحقائق.

وشرح الكتاب جماعة من العلماء منهم العارف باللّه تعالى الشيخ عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730 هجرية الذي وصف الكتاب بقوله: وهو كتاب فاق على كل ما صنِّف في هذه الطريقة. وشرحه الشيخ شمس الدين محمد التبادكاني الطوسي المتوفى سنة 891 هجرية وسمَّاه «تسنيم المفربين في شرح منازل السائرين» وشرحه الشيخ محمود بن محمد الدركزيني المتزفى سنة 743 هجرية وسماه (تنزيل المسافرين) وشرحه الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي المتوفى سنة 751 هجرية وسماه «مدارج السالكين». واختصرته العارفة باللّه تعالى الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته «الإشارات الخفية في المنازل العلية»، وشرحه العارف باللّه المحقق الشيخ عفيف الدين التلمساني بن علي التلمساني

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المتوفى سنة 690 هجرة. وشرحه الشيخ عبد المعطي اللخمي الإسكندري المتوفى سنة 650 هجرية، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

ويعود الفضل في نشر هذا الكتاب للمرة الأولى للأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطلّع على الحكم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى التحقق بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء». وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزَاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: الآيتان 3، 4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النِّسَاء: الآية 69] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22، 23].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ترجمة الماتن شيخ الإسلام عبد اللَّه الأنصاري الهروي رضي اللَّه عنه[1]

396 هجرية ـ 481 هجرية

هو الإمام الجليل القدوة الحافظ الكبير، الصوفي العارف باللَّه تعالى إمام الحنابلة: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد اللَّه بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهَرَويّ. أما نسبته للأنصاري فقد كان من ذرية سيدنا أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي اللَّه عنه صاحب رسول اللَّه صلّى اللَّه تعالى عليه وسلّم وعلى آله. أما نسبته «الهروي» فهي نسبة إلى مدينة «هراة» التي وُلد بها.

كان يلقب بـ«شيخ الإسلام»، وبـ«خطيب العجم» لفصاحته وعلمه ونبله. وكان رضي اللَّه عنه حافظاً للحديث، بارعاً في اللغة، قطباً محققاً في التصوف، عارفاً بالتاريخ والأنساب.

(1) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب شرح منازل السائرين لكل من الدكتور محمد نصار والأستاذ أحمد عبد الحميد وهما اقتبساها بدورهما من كتاب «شيخ الإسلام عبد اللَّه الأنصاري الهروي ـ مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية» وهو عبارة عن رسالة دكتوراه في العقيدة والفلسفة للدكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني، وعليها اعتمد عبد اللَّه بن محمد الأنصاري في مقدمة كتابه «ذم الكلام» طبع مكتبة الغرباء الأثرية. وقد ترجم له رضي اللَّه عنه في العديد من المصادر منها: «العبر في خبر من غبر» للذهبي: سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (2/ 343)، سير أعلام النبلاء (18/ 305)، تذكرة الحفاظ (3/ 1183)، الأعلام للزركلي (4/ 122)، طبقات المفسرين للإمام السيوطي (1/ 9)، شذرات الذهب (3/ 365)، الذيل على طبقات الحنابلة للسبكي (1/ 64)، نفحات الأنس للعارف الجامي رضي اللَّه عنه (1/ 468 ترجمة 397)، روضات الجنات (5/ 115).

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

● مولده:

ولد العارف الهروي يوم الجمعة الثاني من شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة 396 هجرية بقندهار بـ«هراة» الواقعة في إقليم «خراسان» الذي يقع جزء منه اليوم في «أفغانستان»، وجزء في «إيران»، وجزء في الاتحاد السوفيتي ـ قبل تقسيمه ـ وقد كانت «هراة» من نصيب القسم الأول، إذ تقع في الشمال الغربي من أفغانستان قرب الحدود الأفغانية ـ الإيرانية.

● الشيوخ الذين سمع منهم:

وسمع من عبد الجبّار بن محمد الجرّاحي «جامعَ» أبي عيسى كله أو أكثره، والقاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي الحافظ، وأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السرخسي، خاتمة أصحاب محمد بن إسحاق القرشي، وأبي الفوارس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحُويِّص البوشنجي الواعظ، وأبي الطاهر أحمد بن محمد بن حسن الضبّي، وأحمد بن محمد بن مالك البزَّار ـ لقي أبا بحرٍ البَرْبَهاري ـ وأبي عاصم محمد بن محمد المزيدي، وأحمد بن علي بن مَنْجويه الأصبهاني الحافظ، وأبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وعلي بن محمد بن محمد الطرازي، وأبي نصر منصور بن الحسين بن محمد المفسر، وأحمد بن محمد بن الحسن السّليطي، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحيري لكنه لم يرو عنه، ومحمد بن جبرائيل بن ماحي، وأبي منصور أحمد بن محمد بن العالي، وعمر بن إبراهيم الهروي، وعلي بن أبي طالب، ومحمد بن محمد بن يوسف، والحسين بن محمد بن علي، ويحيى بن عمّار بن يحيى الواعظ، ومحمد بن عبد اللَّه بن محمد بن إبراهيم الشيرازي لَقِيَه بنيسابور، وأبي يعقوب القَرّابِ الحافظ إسحاق بن إبراهيم بن محمد الهروي، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الورّاق، وسعيد بن العباس القرشي، وغالب بن علي بن محمد، ومحمد بن المنتصر الباهلي المُعَدّل، وجعفر بن محمد الفِريابي الصغير، ومحمد بن علي بن الحسين الباشاني، صاحب أحمد بن محمد بن ياسين، ومنصور بن رامش ـ قدم علينا في سنة سبع

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وأربعمائة ـ وأحمد بن أحمد بن حمْدين، والحسين بن إسحاق الصائغ، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي، وعلي بن بُشرى الليثي، ومحمد بن محمد بن يوسف بن يزيد، وأبي صادق إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن محمد بن محمود، وعلي بن أحمد بن محمد بن خَمرويه، ومحمد بن الفضل بن محمد بن مُجاشع، ومحمد بن الفضل الطاقي الزاهد، وعدد كثير. ومِنَ أقدم شيخٌ له الجرّاحي، سمع منه في حدود سنة عشر وأربعمائة. ويَنزلُ إلى أن يروي عن أبي بكر البيهقي بالإجازة. وقد سمع من أربعة أو أكثر من أصحاب أبي العباس الأصم.

● **الشيوخ الذين حدّثوا عنه:**

حدّث عنه: المُؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وعبد اللَّه بن أحمد بن السمرقندي، وعبد اللَّه بن عطاء الإبراهيمي، وعبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وأبو الفتح عبد الملك الكَرُوخي، وحنبل بن علي البخاري، وأبو الفضل محمد بن إسماعيل الفامي، وعبد الجليل بن أبي سعد المُعَدّل، وأبو الوقتِ عبد الأوّل السّجْزَي خادِمُه، وآخرون.

وآخر مٌن روى عنه بالإجازة أبو الفتح نصرُ بن سيّار، وبقي إلى سنة نيف وسبعين وخمسمائة.

● **من صفاته:**

كان رضي اللَّه عنه آية في التذكير والوعظ. عالماً عارفاً، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، يكتفي باليسير من الدنيا، وإذا اجتمع عنده منها شيء قام بتوزيعه! وكان كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصرة السُّنَة، والذب عنها، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة. وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد رضي اللَّه عنه، ومن قوله فيه: «مذهبُ أحمد: أحمدُ مَذْهَب».

● **من خصائصه:**

أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والمراكب المعروفة، وتكلّف غاية التكليف، ويقول: «**إنما أفعلُ هذا إعزازاً للدين، ورغماً لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزّي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزّه**». ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. على هذا كان يزجي أيامه، وكل ما نقل عنه من سيرته محمود.

ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته: التبكيرُ بصلاة الصبح، وأداءُ الفرائض في أوائل وقتها، واستعمالُ السّنن والأدب فيها.

ومن ذلك: تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد، المضاف إلى اسم من أسماء اللَّه تعالى: كعبد الخالق، وعبد الخلاق، وعبد الهادي، وعبد الرشيد، وعبد المجيد، وعبد المعز، وعبد السلام. إلى غير ذلك مما كان يحثّهم ويدعوهم إلى ذلك، فتعوّدوا الجريَ على تلك السنَّة، وغير ذلك من آثاره.

● علم الإمام الهروي رضي اللَّه عنه:

كان الشيخ رحمه اللَّه آية في التفسير، وحفظ الحديث، ومعرفته، ومعرفة اللغة والأدب. وكان يُفَسّر القرآن في مجلس التذكير.

وذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسره في مجالس التذكير، سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير.

قال: وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية 165]. فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس كثيرة. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: الآية 101]، بني عليها ثلاثمائة وستين مجلساً. فلما بلغ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: الآية 43] كُفّ بصره سنة ثلاث وسبعين، ولما بلغ إلى قوله عزّ وجل: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: الآية 17]

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال: «في كل اسم من أسماء اللَّه تعالى سر خفي». وأخذَ يُفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ «المميت»، فأُخرج من البلد في الفتنة الأخيرة. فلما عاد سنة ثمانين، عقد المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في التفسير، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يقدّر له على ذلك وتوفي، وقد انتهى إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: الآيتان 67، 68].

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعت شيخنا الأنصاري يقول: «إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير». قال: وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلامٌ، فقال: «أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً»، قال: «وقل ماذَكَرَ في مجلسه حديثاً إلا بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه».

وحكى الرهاوي عن بعضهم قوله: سمعتُ بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية.

ومن فوائده ما نقله ابن طاهر الحافظ قال: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: «كتابُ أبي عيسى الترمذي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم»، فقلتُ: لِمَ، قال: «لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة. وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيّنها، فيصل إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدِّثين وغيرهم».

فال الرُّهاوي: وقد رأيتُ كرسي شيخ الإسلام قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به. والتبرك بآثار العلماء والصالحين جائز خلافاً لمن منعه من المبتدعة المعاندين للكثرة الهائلة من الآثار الواردة في ذلك، مدعين أن ذلك شرك، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية 5].

ثناء الشيوخ والعلماء عليه رضي اللَّه عنه:

أثنى على الإمام الهروي شيوخه وأقرانه، ومن دونه من الفقهاء، والمحدثين

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والصوفية، والأدباء وغيرهم. حتى قال سعد الزنجاني فيه: «إن اللَّه حفظ به الإسلام، وبابن منده».

وقال الرّهاوي: سمعتُ بهراة: أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة، ووصل إلى مرو، وأذن له في الرجوع إلى هراة، ووصل إلى مرو الروز، قصده الإمام البغوي الفرَّاء، صاحب التصانيف، فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام: «إن اللَّه قد جمع لك الفضائل، وكانت قد بقيت فضيلة واحدة، فأراد أن يكملها لك، وهي الإخراج من الوطن، أسوة برسول اللَّه ﷺ».

وذكر الحسين بن محمد الكتبي في تاريخه أنه صحح على الإمام ناصر المروزي بنيسابور وسط تلاميذه رواية ذكر فيها أنه رُوي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114]، فقال العارف الهروي: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: الآية 8]، فقال المروزي: صدقتَ ورجع إلى قوله، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه.

واجتمع العارف الهروي بسيدي أبي الحسن الخرقاني رضي اللَّه عنه أحد أكابر المشايخ لا سيما سلسلة النقشبندية الموسومة بالسلسلة الصديقية، وكان سيدي أبو الحسن الخرقاني يحسن الثناء عليه ويلاطفه في المخاطبة.

وذكره أيضاً الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»، فقال: لم يرَ أحد من الأئمة في فنه حُلماً ما رآه عياناً من الحِشْمَة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام، في تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع والغالين في حقه، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه، ونواب المجالس، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أنه يحتاج إلى الشرح.

وله رضي اللَّه عنه شعر كثير حَسَنٌ جداً. ولأجل هذا ذكره الباخرزي الأديب في كتابه «دمية القصر في شعراء العصر» وله كلام في التصوف والسلوك دقيق. ومن أجله كتابه «منازل السائرين» الذي شرحه بين يدي القارئ الكريم.

قال أبو سعد السمعاني: «كان مُظهراً للسنَّه، داعياً إليها، مُحرّضاً عليها، وكان مكتفياً بما يباسط به المريدين، ما كان يأخذ من الظَلَمة شيئاً، وما كان

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يتعدى إطلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنَّة، معتقداً ما صحّ، وغير مصرّح بما يقتضيه تشبيه أو تجسيم، ومن قوله رضي اللَّه عنه: «مَنَ لم ير مجلسي وتذكيري فطعن فيّ، فهو مني في حِلّ».

وذكر ابن ظاهر الحافظ في كتابه المذكور قال: «سمعت الإمام عبد اللَّه بن محمد الأنصاري يُنشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

أنا حنبليٌّ ما حييتُ وإن أمت فَوَّصِيتي للناس أن يَتَحنبلُوا

قال أبو طاهر: «وسمعته بهراة: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت.

وكان الشيخ رحمه اللَّه مقبولاً عند العامّة والخاصّة، ولذلك كان محسوداً من كثيرين، وقد سعوا بدمه مراراً ـ على ما نقله الذهبي ـ ولم يتمكنوا، بل صار ذلك سبب إقبال الناس إليه.

ومما حكاه الذهبي في ذلك: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك. وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا. وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن اللَّه تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنك تقول إن اللَّه على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: الآية 16]، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً وقال لهم:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

اصدقوني، وهددهم، فقالوا: نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.

● مؤلفاته رضي اللّه عنه:

ألّف الشيخ في التفسير والحديث والتصوُّف والعقيدة والتراجم، وغير ذلك، ومن مؤلفاته:

كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» طبع، وكتاب «الأربعين في السنّة»، وكتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام وأهله» طبع، وكتاب «مناقب الإمام أحمد»، وكتاب «الرسالة». قيل إنه مؤلّف يبحث في إسناد الموجودات إلى الخالق سبحانه وتعالى، وكتاب «علل المقامات» وهو رسالة صغيرة في التصوّف، أملاها الشيخ رضي اللّه عنه في أواخر حياته، وقد طُبعت في دمشق سنة 1956، و«تفسير القرآن الكريم» باسم «كشف الأسرار وعدة الأبرار»، وقد ذكر في بعض المراجع باسم «تفسير الإمام الهروي»، ألّفه الشيخ رضي اللّه عنه باللغة الفارسية، وطُبع في إيران، وكتاب «طبقات الصوفية» وهو كتاب باللغة الفارسية، أملاه شيخ الإسلام على تلاميذه أثناء شرحه لكتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي رضي اللّه عته المتوفى سنة 412، طُبع في «كابل» عام 1962 م، وقد جمع الشيخ العارف عبد الرحمٰن الجامي رضي اللّه عنه كتاب الشيخ الهروي، ورتّبه، وزاد عليه، في كتاب بالفارسية سماه «نفحات الأنس» وعرّبه مولانا تاج الدين العثماني الهندي النقشبندي المتوفى سنة 1050، وهذا الأخير مطبوع عدة طبعات آخرها بالعلمية ببيروت بتحقيق محمد أديب الجادر، وكتاب «خلاصة في شرح حديث: كل بدعة ضلالة»، وكتاب «باب في الفتوة»، منه نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، برقم (95)، وكتاب «المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق» وهو رسالة ألّفها الشيخ رضي اللّه عنه باللغة الفارسية، وقد تُرجمت إلى اللغة العربية، وطبعت في مصر سنة 1960 م. وكتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» شرح فيه الشيخ رضي اللّه عنه كتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» للإمام محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي رضي اللّه عنه، المتوفى سنة 380 هجرية، وغير ذلك كثير.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

● **وفاته رضي اللَّه عنه:**

تُوفي الشيخ رضي اللَّه عنه يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت في (كَازِيَارِكَاه) قرية قرب هراة. وكان يوماً كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: .«إن استأثر اللَّه بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر»؛ فصدّق اللَّه ظنه في ذلك.

وقال أبو نصر الفامي: توفي أبو إسماعيل في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقد جاوز أربعاً وثمانين سنة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ترجمة الشارح(*)

* هو سديد الدين أبو محمد عبد المعطي بن أبي الثناء محمود بن عبد المعطي اللخمي الاسكندري، فهو من أصل مغربي أقام في مدينة الاسكندرية بعد عودته من أداء فريضة الحج المبارك.

* كان عالماً جليلاً متبحراً في العلوم، قيل ولد حوالى سنة 575 هجرية وتوفي منتصف القرن السابع حوالى 650 هجرية،

* وله مؤلفات عدة منها:

شرح الرسالة القشيرية، وشرح الرعاية للمحاسبي، وكتاب الحدود، ولقد وصل إلينا فقط شرح الرسالة القشيرية الذي اهتم بطبعه الدكتور أبو العلاء عفيفي الذي كان استاذاً بجامعة الاسكندرية. وله أيضاً مخطوط لكتاب رابع عنوانه: «إرشاد السالكين إلى الجمع بين طرق المحققين من الفقهاء والمريدين». موجود في مكتبة طنجة ويقع في مجلدين ضخمين مكتوبين بالخط الشرقي.

(*) مقتبسة من كتاب أنصاريات للأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عونك اللَّهم!

الحمد لله الواحد في ذاته وصفات الكمال، القدوس المنزه عن النقص والزوال، الفاعل بقدرته ما يشاء من الأفعال، المخصص بإرادته من شاء بما شاء من سنيّ الأحوال، العالم بخفيات السرائر وما يكون في المآل، الذي أفعم قلوب أوليائه بلطائف مننه والإقبال، وأطلق ألسنتهم بمجامع الكلم المحتوية على غرائب الحكم بالإشارات والأمثال، والصلاة على سيد المرسلين المخصوص بمحبته وعلى آله خير آل، صلاة دائمة مستمرّة من غير فتور ولا إخلال، وسلَّم كثيراً.

أما بعد، فقد تكرر من بعض الإخوان، السالكين لطريق الرحمن، ممن أرجو بإسعافه بطلبته إسعاف المتفضل المنّان، وإصلاح الدين والنقلة في رتب الإيمان والإحسان، السؤال منه إليّ في شرح كلام هذا الحبر الإمام، المنعوت بشيخ الإسلام، وتقريب ما تضمنه من الإشارات إلى الأفهام، والتنبيه على المعاني التي أشار إليها من الفرق بين مراتب العامة والخاصة في مقامات السالكين ورتب المقربين والأعلام، فاستخرت الله سبحانه وسألته، ورغبت إليه في الإعانة والتوفيق ودعوته، وإن كنت لا أرى نفسي أهلاً لشرح كلام هذا الحبر الكبير، المحتوي من علوم العقل والنقل على الكثير، والمتصف بجميل الأحوال ثمرات الجد في السلوك والتشمير، ولكني دعوت الله سبحانه بتقريبي معانيه لأفهام المريدين المجتهدين من السالكين، وبيان ما أشار إليه من مقامات المتقين في الدين، ودرجات المقربين، أن يتحرك بذلك للسلوك ذو جد لما يراه من التسهيل والتقريب، فيأخذ من همته وبركته بنصيب، فإن الدال على الخير كفاعله. ويكون ذلك إن شاء الله سبباً للنهوض إليه مع الإخوان، والتعلّق بأذيال أهل التوحيد وكمال العرفان، والله سبحانه هو المسؤول في الحفظ من الزلل، والتوفيق في القول والعمل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

فصل

ووقفت على كلامه رضي الله عنه على حسب الإمكان وقوف من يريد أن يَفهم، ويتكلم ليُفهم ولا يتكلم فيما لا يعلم، والمقصود من شرحنا كلام هذا الإمام، تقريب ما أشار إليه من الأحوال لأفهام بعض المنكرين ممن يزعم أنه من ذوي الأحلام، ويستبعد وصول العبد إلى ما ذكره من الأحوال، فإنه لا يفهم من الفناء إلا انحلال الأجرام، وانفصال أجزاء الأجسام، ويقول: «كيف يمكن ذهاب الإدراك عن العبد للعلوم شغلاً بالمعلوم، أو يغفل عن الإدراك لنفسه والرسوم، مع بقائه مدركاً لجلال ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] ؟ وكيف يفنى عن إدراكه لنفسه، وهو مدرك لغيره، ولا يفنى لإدراكه، إلا بقيام الإدراك به، وكيف يقوم به ما لا يدركه؟» ونحن بعون الله تعالى نبين ذلك ونقربه بالأمثال، ليقرب ممّا يجري على أكثر أرباب الاستغراق في الأشغال، ونرشد إليه إن شاء الله بأحسن مقال وأوضح بيان، ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ [يُوسُف: الآية 18] ﴾.

فصل

وقد رأيت والله الموفق أن أذكر كلام هذا الإمام من أول خطبته إلى آخره، ونتتبعه بالشرح والتنبيه على مراتبه، وعلى تقارب درجاته في كل باب، والله الموفق للصواب، بمنّه وكرمه. وما كان من توفيق للصواب فالله سبحانه هو المتفضل بذلك ومسديه، وما كان من خطأ فنسأله أن يصرفنا عنه ويزويه، فهو أهل الإحسان، والجود والامتنان، آمين رب العالمين.

وأنا أقول: أول كل شرح لي: «اللَّه أعلم»، لاحتمال أن يكون مراده ما لم أفهم، والله المسلم بمنّه وكرمه.

هذا أول كلام هذا الإمام، المنعوت بشيخ الإسلام، رضي الله عنه: **بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.**

قال الشيخ العارف الكامل الموحد المحقق الإمام السيد الأجل شيخ الإسلام إمام الأئمة شيخ الشيوخ ناصر السُنَّة أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي قدَّس الله روحه:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الحمد لله الواحد الأحد القيّوم الصمد اللطيف القريب، الذي أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم، من غمائم الحكم، وألاح لهم لوائح القدم، من صفائح العدم، ودلهم على أقرب السبل إلى المنهج الأول، وردهم من تفرق العلل إلى عين الأزل، وبث فيهم ذخائره، وأودعهم سرائره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول الآخر الظاهر الباطن، الذي مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلاً، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلاً، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً، وصلواته وسلامه على صفيه الذي أقسم به في إقامة حقه محمد وآله كثيراً.

قلت: فأما قوله في خطبته رضي الله عنه **أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم** يعني أحسن معاني الكلم من الحكمة البالغة، **وألاح لهم** أي أراهم آيات ما سبق في قدمه بجريانه على خلقه من تصريفهم فيما أجراه عليهم. ونعتهم بالعدم الذي إليه مصيرهم وزوالهم من **الدنيا كما قال تعالى**: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية 30] لما يؤول إليه أمرهم.

وقوله: **ودلهم على أقرب السبل إلى المنهاج الأول** يعني الطرق إلى المنهاج الأول، أي عرفهم بحقيقة أنفسهم وأن أصلهم العدم ومآلهم إليه. وقوله؛ **وردهم من فرّق العلل إلى عين الأزل** أي جمع هممهم عن الأسباب، **إلى ما سبق** لهم عند رب الأرباب.

وقوله **وبث فيهم** أي في قلوبهم، ألقى فيها ذخائره أي ما يشرف عنده ويكرم لديه ممّا ستره عن غيرهم ولا يخلقه لهم.

وقوله: **الذي مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلاً، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلاً، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً** معناه أنه سبحانه شغل أكثر الخلق بالوقوف مع الأسباب وتوحيدهم لا يجذبهم إلى الحق، وهذه الحال هي المعبر عنها بالتلوين لتغييرها؛ **ثم جعل شمس التمكين** في التوحيد على الحق دليلاً، **وقبض** بهذا التمكين **ظل التفرقة عنهم قبضاً يسيراً**؛ وأضاف الظل إلى التفرقة لأن الظل ساتر ضوء الشمس قليلاً قليلاً رفقاً بالعباد، وسلوكاً بهم على وجه السداد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ وفقه الله تعالى: **وبعد فإن جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه، من الفقراء، من أهل هراة والغرباء، طال عليّ مسألتهم إياي زماناً. أن أبين لهم في معرفتها بياناً، يكون على معالمها عنواناً، فأجبتهم بذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به. وسألوني أن أرتبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها، ويدل على الفروع التي تليها، وأن أخليه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخف للحفظ.**

قال الشيخ وفقه الله تعالى: **وإني خفت أني إن أخذت في شرح قول أبي بكر الكتاني «إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة» طولت عليّ** وعليهم، فذكرت **أبنية تلك المقامات التي تشير إلى تمامها، وتدل على مرامها.**

قلت: وقوله: «**إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة**» كيف يكون فيها ظلمة مع أنها كلمة مقامات في الطاعات، ودرجات في القربات؟ ووجه ذلك أن الظلمة عبارة عن شيء ساتر مانع عن الإدراك، ومن وقف مع مقام أو حال وقوف سكون إليه أو استحسان أو اعتماد قد يكون حجبه ذلك عن رؤية ما هو أرفع منه فضلاً عن طلبه والسعي في الاتصاف به. فهذا وجه كلام أبي بكر الكتاني (والله أعلم).

قال الشيخ وفقه الله. **وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبيد البُسْري: إن لله عباداً يريهم في بداياتهم ما في نهاياتهم** هـ.

قلت: لأنه رضي الله عنه ذكر في كل مقام ثلاث مقامات: أهل البداية والأوساط والنهاية؛ فإذا صحّ قصد السالك في فهم ما أشار إليه من المقامات العالية وتعلقت همته به مع صحة قصده وكمال صدقه وجدّه، نال منها الغايات إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ وفقه الله: **ثم إني رتبت لهم فصولاً وأبواباً يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال، ويكون مندوحة عن التسآل، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام.**

قلت: وقد أتى الشيخ وفقه الله بنوع مما نقله عن الكتاني، وذلك أن المائة مقام المقسومة على عشرة أقسام، إذا قسم كل مقام منها إلى ثلاثة أقسام، قاربت

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ألفاً. بل زاد هذا الإمام على ذلك وقسم كل باب من العشرة على ثلاث درجات وجعل في أكثر الدرجات مراتب، فيكون على هذا أكثر من ألف مقام بين العبد وبين الحق. وإذا انقطعت عنه هذه الحجُب وصل إلى مقام التوحيد والمشاهدة، ولكل من الخلق جعل الله شرعةً ومنهاجاً موصلاً إليه.

قال الشيخ وفقه الله: **وقد قال الجنيد: قد يُنقل العبد من حال إلى حال هو أرفع منه وقد يبقى عليه من التي نُقل عنها بقية فيُشرف عليها من الحالة الثانية فيصلحها** هـ.

وعندي أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه ثم يُشرف عليه فيصححه. قلت: ووجه ما قاله الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد رضي الله عنه ظاهر، فإنه ليس بمُحال عقلاً أن يصحح العبد المقام الأول ويمكنه الله فيه قبل أن ينقله إلى ما هو فوقه. نعم قد ينقله إلى ما فوقه وقد بقيت عليه من الأول بقية فيطلع عليها بانتقاله إلى ما هو أرفع وأتم، فيُشرف على ما كان مستتراً عنه فيه من آفات الأعمال وخدع النفوس.

ومثاله أن مقام القناعة باليسير من الدنيا محمود، ولكنه ما دام شره العبد قوياً وحدّة نفسه باقية فهو منعوت. فإن تعالت همته وأمده الله بملاحظة الورع وعلق همته به، تمكن في مقام القناعة لتعود نفسه الإعراض عن كثير من المشكل والمتشابه واطلع منه على خبايا نفسه وما كانت تزعم أنها غير ملتفتة إليه بالقناعة. وكذلك إن نقله الله إلى مقام الزهد في الحلال أشرف منه على خدع نفسه في مقام الورع وما كانت تزعم أنه لا شيء فيه يتورع عنه، فلما بلغت إلى مقام الزهد في الحلال انكشف لها ضعفها في مقام الورع فصححته لإشرافها عليه. وكذلك إذا نقل الحق سبحانه عبده إلى مقام التوكل عليه وأعرضت نفسه عن أسباب دنياه مشكلها وحلالها، أشرف من هذه الحال على آفات مقام الزهد وما كانت النفس متعلقة به من الفضول وهي تزعم أنه مما لا بد لها منه لضرورتها وليس بمتعلق الزهد فيعرض عنه. وكذلك إذا أوصله مولاه إلى مقام الرضى والتسليم، تمكن في مقام التوكل لعدم الاختيار على مولاه، فيما صرفه عنه وزواه، أو تفضل به عليه وأسداه. فهذا هو الذي أشار إليه الشيخ في قوله: **وعندي أن العبد لا يصح له**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

مقام حتى يرتفع عنه ثم يشرف عليه فيصححه؛ وقد بينا أن قول الإمام أبي القاسم الجنيد أليق وأولى، فإن ذلك ليس من قسم المحال حتى لا يصح وقوعه أعني تصحيح المقام قبل الانتقال عنه، وما ذكره الشيخ وفقه الله هو الجاري عادة على أكثر السالكين.

قال الشيخ وفقه الله: **واعلم أن السائرين في هذه المقامات على اختلاف عظيم مفظع، لا يجمعهم ترتيب قاطع، ولا يقفوهم منتهى جامع.**

قلت: وهذا صحيح فإن القدرة الأزلية صالحة لكل ممكن وما يمكن فعله لا حصر له، فكيف **يجمعه ترتيب قاطع أو يقفوه** أي يتتبعه قصداً لحصره **منتهى جامع**.

قال الشيخ وفقه الله: **وقد صنف جماعة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الباب تصانيف عساك لا تراها أو أكثرها على حسنها مغنية كافية.**

قلت: يعني أنه لا يحصل للطالب بها استغناء ولا تكفيه في مقصوده. ثم بين وجه ذلك فقال: **منهم من أشار إلى الأصول ولم يشف بالتفصيل**، يعني أنه تكلم في القواعد ولم يفرع عليها ليعرف السالك الآفات الداخلة على العمال وعلل الأعمال وتفاوت الدرجات في المقامات.

قال الشيخ: **ومنهم من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصاً، ولم يخصص النكتة بها تخصيصاً.**

قلت: يعني أنه اعتنى بجمع الحكايات خاصة ولم يوردها مطابقة لمعانٍ تدل عليها ولم ينبه على فوائدها، وهذا قليل الفائدة في التأليف.

قال الشيخ: **ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة وضرورات العامة.**

قلت: وإذا كان التأليف كذلك لم يحصل به كثير انتفاع، ولم يعرف الناظر فيه أرفع المقامات فيقصدها، ولا أدونها فيبعدها، ولا يعرف فضل الفاضل فيعظمه، ولا نزول المقصر فيحركه.

قال الشيخ: **ومنهم من عد شطح المغلوب مقاماً، وجعل بوح الواجد ورمز المتمكن شيئاً عاماً.**

قلت: والشطح عند القوم كلمات تجري على ألسنة بعضهم في وقت غلبة

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الحال فيكون مغلوباً معذوراً، فلا يعد ذلك له منزلاً ولا مقاماً. وبوح الواجد يعني نطقه ببعض ما يجده، وإشارة المتمكن إلى طرف مما فُتح عليه به. فمن جعل ذلك شيئاً عاماً وطريقاً للناس كافة وندبهم إليها كان غالطاً، فإن هذه المعاني مخصوصة بواجدها مقصورة عليه. **وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات** يعني في المقامات وهي المحتاج إليها.

قال الشيخ: **واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات، كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساس.**

قلت: يعني بالعامة الأكثر كما يقال: «جاء القوم عامتهم من بني فلان».

وقوله **وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة، وتعظيم النهي على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة، والشفقة على الغير ببذل النصيحة وكف المؤنة، ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب.**

قلت: وما ذكره صحيح، فإن البدايات كالأساس بالإضافة إلى النهايات، ومن لم يبن أمره على أصل صحيح لم يقم له بناء. وتصحيح البدايات إنما يتم بمراعاة الله سبحانه في أمره ونهيه وحرمة المسلمين و الشفقة عليهم وكف الأذى عنهم. فأما مراعاة أوامره تعالى فهي إيقاعها على وجوهها وبشروطها ومن شرطها الأخلاص، ولذلك قال رضي الله عنه: **إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السُنَّة**. وأما مراعاة النهي فهي مجانبة المنهي عنه خوفاً من الله تعالى، ولذلك قال: **على مشاهدة الخوف**؛ وليس هذا شرطاً في الخلاص من الإثم، فإنه لو ترك العبد المعاصي غفلة عنها أو لمانع منعه منها لسلم من ضررها، ولكنه لا يثاب على تركها إلا إذا تركها لنهي الله أو لخوف عقابه تعالى. ومن جملة أوامره رعاية حرمة المسلمين والشفقة على الخلق، فإن البر لا يؤذي الذر؛ ومع هذا يقيم الحدود ويقاتل الكفار، وذلك لمحض أمر الله خاصة. ويبذل النصيحة للمسلمين وغيرهم ممن استنصحه من أهل الذمة والمعاهدين ويحمل المؤنة عنهم، ويكون مؤونته وثقل أموره على نفسه. ثم إذا ترقَّى في الخير جانب **كل صاحب يفسد**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الوقت أي يذهبه في البطالات، وكل سبب يشغل القلب بالفتنة والتشويش والشغل بغير المقصود.

قال الشيخ: **على أن الناس في هذا الشأن ثلاثة نفر: رجل يعمل بين الخوف والرجاء شاخصاً إلى الحب مع صحبة الحياء، فهذا الذي يسمى المريد؛ ورجل مختطف من وادي التفرق إلى وادي الجمع، وهو الذي يقال له المراد؛ ومن سواهما مدعٍ مفتون مخدوع.**

قلت: وما ذكره الشيخ وفقه الله صحيح لانحصاره بين النفي والإثبات: فإن مدعي هذه المقامات لا يخلو من أن يكون سالكاً صادقاً أم لا، فغير السالك بالصدق هو المدعي المفتون؛ والسالك الصادق لا يخلو من أن يكون متكلفاً مجاهداً لنفسه أم لا، فالمتكلف المجاهد لنفسه في السلوك هو المنعوت بالمريد، والمحمول المعان في سلوكه هو المعبر عنه بالمراد. وكلاهما مراد للحق بما هو فيه إذ لا يخرج مراد عن إرادته.

قال الشيخ رحمه الله: **وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث: الرتبة الأولى أخذ القاصد في السير، والرتبة الثانية دخوله من الغربة، والرتبة الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء.**

قلت: وهذه الرتب الثلاث هي التي يذكرها في كل باب يأتي. فإن الرتبة الأولى أسباب، والرتبة الثانية سلوك، والرتبة الثالثة وصول.

قال الشيخ رحمه الله: **وقد أخبرنا في معنى الرتبة الأولى الحسين بن محمد ابن علي الفرائضي قال: أنا أحمد بن محمد بن حسنويه قال: أنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا محمد بن بشر هو العبدي قال: ثنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: سيروا فقد سبق المفردون. قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: المهترون الذين يهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً). وهذا حديث حسن لم يروه عن يحيى بن أبي كثير إلا عمر بن راشد اليمامي؛ وخالف محمد بن يوسف الفريابي فيه محمد بن بشر العبدي، فرواه عن عمر عن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء مرفوعاً. والحديث إنما هو لأبي هريرة رواه بندار بن بشار عن صفوان بن عيسى عن بشر بن رافع**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

اليماني إمام أهل نجران ومفتيهم عن أبي عبد الله (ابن) عم أبي هريرة عن أبي هريرة مرفوعاً. وأحسنها طريقاً وأجودها سنداً حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وهو مخرج في صحيح مسلم؛ وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبي أمامة مرفوعاً، قال في كلها: (سبق المفردون).

وأخبرنا في معنى الدخول في الغربة حمزة بن محمد بن عبد الله الحسيني قال: ثنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمي الصوفي قال: سمعت أبا عبد الله علان بن زيد الدينوري الصوفي بالبصرة قال: سمعت جعفر الخلدي الصوفي قال: سمعت الجنيد قال: سمعت السري عن معروف الكرخي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن عليّ عن رسول الله ﷺ قال: (طلب الحق غربة). وهذا حديث غريب ما كتبته عالياً إلا من رواية علان.

وأخبرنا في معنى الحصول على المشاهدة محمد بن علي بن الحسين الباساني قال: ثنا محمد بن إسحاق القرشي قال: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال: ثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مطر الورّاق عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث سؤال جبريل رسول الله ﷺ قال: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وهذا حديث صحيح غريب أخرجه مسلم في الصحاح، وفي هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة.

قلت: وقوله **إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة** صحيح، لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات، بل في الأنفاس واللحظات، حتى يستولي سلطان الحق على القلوب، فيضمحل ما تعلقت به النفس وسكنت إليه من الأحوال والخطوب.

قال الشيخ وفقه الله: **وإني مفصل لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامة منه ثم درجة السالك ثم درجة المحقق، ولكل منها شرعة ومنهاج ووجهة هو موليها، قد نُصب له عَلَم هو إليه مبعوث، وأتيح له غاية هو إليها محثوث. وأنا أسأل الله أن يجعلني في** قصدي مصحوباً لا محجوباً، **وأن يجعل لي سلطاناً مبيناً،** ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سَبَإ: الآية 50] ﴾.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: قوله رضي الله عنه: **لتعرف درجة العامة ثم درجة السالك ثم درجة المحقق** يعني بالعامة العامة من المريدين فإنه إنما تكلم في مقامات السالكين. وقوله: ثم درجة السالك يعني السالك لتحصيل مقامات الخاصة. وقوله: ثم درجة المحقق يعني المتصف بأحسن الأخلاق، والمحقق في أعالي الدرجات. وقوله: **ولكل منهم شرعة ومنهاج** أي طريق يسلكه في مقامه، **وعَلَم** أي حد وغاية سبقت له في علم الله هو إليها محثوث مبعوث. ودعاؤه رضي الله عنه **أن يجعله في مقصده مصحوباً** يعني بالمعونة واللطف من الله بحبه **لا محجوباً** عنه **وأن يجعل له سلطاناً مبيناً** أي دليلاً واضحاً قاطعاً دابر المخالفين. قلت: وأنا أسأل الله أن يحفظني فيما قصدته، وأن يعينني على ما رمته، بمنّه وكرمه.

قال الشيخ وفقه الله: **واعلم أن الأقسام العشرة التي ذكرتها في صدر هذا الكتاب هي: قسم البدايات، ثم قسم الأبواب، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأخلاق، ثم قسم الأصول، ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، ثم قسم الولايات، ثم قسم الحقائق، ثم قسم النهايات. فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب، وهي: اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام والفرار، والرياضة، والسماع.**

قلت: ويظهر للأقسام العشرة التي ذكرها أولاً وجه في الترتيب، وذلك أن السالكين لطريق الحق سبحانه مختلفة أحوالهم وطباعهم، فلكل واحد بداية وهي رتبة أولى له، ولا بد له من باب يدخل منه وهي رتبة ثالثة. وإذا عامل مولاه بصدق، تخلق بأخلاق محمودة وهي رتبة رابعة؛ وإذا تهيأ بحسن التخلق الذي هو ثمرة المعاملة، اشتاق إلى التعلق ولا بد له من أصول يبني عليها سلوكه فتحققه فيها رتبة خامسة. ولا بد أن تلقاه في طريقه شدائد وأهوال فسماها أودية وهي رتبة سادسة، ثم تعتوره أحوال وهي رتبة سابعة؛ ثم يتصف بجميل الصفات، ويجتمع همه بعد الشتات وهي رتبة ثامنة. ثم يغفل عن نفسه لكمال الشغل بربه ودوام نظره إليه في سائر تصرفه وهي رتبة تاسعة، ثم يبلغ إلى النهايات ويصل إلى الغايات وهي العاشرة. وعلى هذه الأقسام يكون الكلام، وبتمامها يكون الختام، والله الموفق ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 27].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[I ـ قسم البدايات]

قال الشيخ وفقه الله: فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب، وقد ذكرتها.

قلت: ووجه هذا الترتيب أن العبد المسترسل في غفلته وتخليطه. أول سعادته تيقظ من غفلته، ثم رجوع عن حوبته، ثم محاسبة على ما فرط من تقصيره، ثم إنابة إلى الله سبحانه بالندم والاستغفار والاعتذار، ثم التفكر والتذكر ليتدارك ما فات للخلاص من خفي الأقدار، ثم الاعتصام بالتقوى حذراً من الرجوع إلى ما كان عليه من صفات الأشرار، ثم الفرار من مواطن الهلكة ومعاطن الرياء والقرار، ثم رياضة نفسه وسياستها ليستقيم على عبادة الجبار، ثم حسن السماع لما يجريه الله تعالى من المواعظ في الكتاب العزيز وصحيح الأخبار، وجميل الآثار عن الصالحين والأخيار.

قال الشيخ وفقه الله:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[1]. باب اليقظة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سَبَإٍ: الآية 46] . **القومة لله تعالى هي اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة، وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه.**

قلت: أما ما استدل به من الآية فوجهه أن المراد بالقيام في الآية القيام بأوامر الله تعالى لسبب الموعظة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سَبَإٍ: الآية 46] ، ولا يقوم لله بأمر الله إلا المتيقظ له بالموعظة ورقة القلب لقبولها.

قال الشيخ: **وهي على ثلاثة أشياء: لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدها، والوقوف على حدها، والتفرغ إلى معرفة المنّة بها، والعلم بالتقصير في حقها.**

قلت: يعني أن أسباب اليقظة ثلاثة، وهي نظر القلب إلى النعم مقروناً باستكثارها استكثاراً يحصل **للقلب الإياس من عدها** أو الوصول إلى غاياتها وحدودها. بل يفرغ القلب عند ذلك إلى معرفة المنّة من الله تعالى والعجز عن القيام بحق شكرها. فيعيش القلب بهذا النظر عن موت الفتور إلى عزم الإقبال على الله والبعد عمن سواه.

قال الشيخ وفقه الله: **والثاني مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها، والتشمير لتداركها، والتخلص من ربقتها، وطلب النجاة بتمحيصها.**

قلت: وكما أن القلوب تعيش وتنشط للخير بملاحظة النعم، فكذلك بمطالعة الجناية والآثام القديمة وخوف خطرها في الدنيا والعقبى. فيحمله ذلك على التشمير في التدارك لما سلف وإصلاح ما قارب التلف، فيتخلص من ربقة الهلاك ويجدّ في طلب النجاة.

قال الشيخ وفقه الله: **والثالث الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في الأيام والتنصل عن تضييعها، والنظر إلى الضن بها، ليتدارك فائتها، ويعمر باقيها.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: ومما يحمل على إصلاح الشأن، والتنقل في رتب الإيمان، معرفة زيادة حال الإنسان، ونقصه بواضح البرهان، فإن رأى نقصاً بادر إلى الإصلاح، وإن رأى صلاحاً وزيادة انتهضت نفسه لما رأى من علامات الفلاح. وإذا حاسب أوقاته هذه المحاسبة، **ضن بها** أي بخل بها ولم يضيعها وتدارك ما فات منها بأفعال محمودة عوضاً عنها.

قال الشيخ رحمه الله: **فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل، وشيم برق المنّة، والاعتبار بأهل البلاء**. قلت: وما ذكره الشيخ من شروط صفاء معرفة النعمة فصحيح، فإن العقل إذا لم يكن مستنيراً بالبعد من الشهوات المظلمات لم يمكنه أن يتنسم روائح المنّة ويشيم برقها ويتفرغ قلبه للاعتبار بأهل البلاء حتى يعرف نعمة الله عنده فيما صرفه عنه.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما مطالعة الجناية فإنها تصح بثلاثة أشياء: بتعظيم الحق، ومعرفة النفس، وتصديق الوعيد**. قلت: وهذا صحيح، فإن العبد إنما يقوي خوفه من الذنب على حسب عظمة من خالفه في قلبه، فمن هان أمره عليك لم تبالِ بمخالفته في أوامره ونواهيه. وكذلك من عرف نفسه وضعفها عن مقاساة العذاب، اشتد هربه منه ومن أسبابه ولا سيما إذا كان قوي اليقين بالوعيد الثابت من الله تعالى للمخالفين.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما معرفة الزيادة من النقصان في الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء: بسماع العلم، وإجابة دواعي الحرمة، وصحبة الصالحين**. قلت: وهذا صحيح، فإن الميزان الذي يعرف العبد به زيادته من نقصانه في أيامه العلم بالأحكام وتفصيل الحلال والحرام، وبمقدار كماله فيه يتمكن من قدر نفسه، والنفس إذا عرفت الخير اشتاقت إليه وخطر لها فعله. فمن أسباب الانتقال، سرعة الإجابة لخواطر الأعمال، وكذلك من المعينات، على فعل الخير ودوام الطاعات، صحبة من يعمل ذلك في عموم الأوقات، فإن النفس إلى الاقتداء بالأحوال، أسرع منها إلى الاقتداء بالأقوال.

قال الشيخ: **وملاك ذلك كله خلع العادات**. قلت: وهذا صحيح، فإن العبد متى استرسل مع عوائده، لم يتمكن من شيء من مقاصده الدينية وفوائده.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[2]. باب التوبة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية 11]. **فأسقط اسم الظلم عن التائب.**

قلت: ووجه الاستدلال بالآية ذم الله تعالى لمن لم يتب بعد أمره بذلك ونسبته إلى الظلم. وقول الشيخ رحمه الله: **فأسقط اسم الظلم عن التائب** سلك بالآية مسلك المدح للتائب خاصة، وهذا خاصية المندوب، والذي يدل على الوجوب، الذم على ترك الفعل المطلوب.

قال الشيخ رحمه الله: **والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب، وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك.**

قلت: وهذا صحيح، فإن من الحوامل على الإقلاع عن الذنوب علم العبد بنظر الحق إليه على حالته التي نهاه عن الكون عليها، وعلمه أيضاً بأنه في هذه الحالة غير معصوم ولا محفوظ من مواقع سخطه عليه. وأشد من ذلك فرحه بمواقعة المعصية وتيسر أسبابها، ثم غفلته بعد ذكره لكونه ارتكبها عن الإقلاع والمبادرة بحل الإصرار. فعلم العبد بقبح ما ارتكبه من هذه الأخلاق والأفعال، يحمله على التوبة والرجوع إلى طاعة ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9].

قال الشيخ رحمه الله: **وشرائط التوبة ثلاثة: الندم، والاعتذار، والإقلاع.**

قلت: وهذا صحيح، فإن التوبة الشرعية التي يوقعها العبد خوفاً من الله تعالى إنما تكون بعد المعرفة بقبح الذنب وشدة المطالبة عليه من الرب. ومن عرف قبح حاله عند ربه أقلع عنه فرجع إلى إصلاح شأنه، وندم على ما فرط في ماضي زمانه، واعتذر إلى ربه بقلبه ولسانه. وهذه أمور متلازمة لا تفارق التائب لله، نعم التوبة في حدها الرجوع عن الذنب مطلقاً؛ فمتى رجع عن نقص أو إلى

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

جهة كان تائباً. ومقصودنا هاهنا التوبة التي هي امتثال لأمر الله ورجوع إلى الله تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **وحقائق التوبة ثلاثة أشياء: تعظيم الجناية، واتهام التوبة، وطلب أعذار الخليقة.**

قلت: وهذا بيّن، فإن حقيقة الشيء عند أهل هذا الشأن علاماته الدالة عليه. ومنه قول رسول الله ﷺ لحارثة: («كيف أصبحت؟» فقال: «أصبحت مؤمناً حقاً» فقال: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: «عزفتْ نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها». الحديث)[1] فأخبره بعلامات صحة الإيمان بحقارة الدنيا وجمال الأخرى. فكذلك من حقت له توبته فعلامته أن تعظم في قلبه جنايته حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، وتقوى لنفسه تهمته لمعرفته بخدعها وتلبيسها في كثير مما زعمت وادعت، وتكمل رحمته للخلق ويقدر لهم المعاذير لما يعرف من عجز نفسه عن القيام بما التزمت ثم أخلفت.

قال الشيخ رحمه الله: **وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تمييز الثقة من الغرة، ونسيان الجناية، والتوبة من التوبة أبداً، لأن التائب داخل في الجميع من قوله:** ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النُّور: الآية 31] **فأمر التائب بالتوبة.**

قلت: وما ذكره بالغ، فإن من تمكن في مقام التوبة واتصف بحقيقتها كما ذكرناه، تخلق واتصف بسرائرها أي خفاياها ودقائقها، وهي أن يفرق بين الثقة والغرة، وذلك أن الثقة بالله عزَّ وجلَّ هو حسن الظن به. وإنما يصح ذلك مع جريان أعمال البر على العبد وجريان أسباب السلامة من الشر، فحينئذٍ يغلب على ظنه الرجاء. وإذا كان بضدّ ذلك وهو إن قصد إلى خير لم يتيسر له أو رام النقلة عن سوء ثَقُلَ عليه ونفسه ساكنة معتمدة على عفو الله سبحانه بزعمها، كان مغروراً.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن الحارث بن مالك الأنصاري، حديث رقم (3367) [3/ 266] ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، عن حارث بن مالك، حديث رقم (30425) [6/ 170] وروراه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وكذلك قوله **ونسيان الجناية**، فإن من استقام في توبته، وتمكن في سني حالته، شغله ذلك عن ذكر حوبته. وكذلك قال السري للجنيد رضي الله عنهما وكان السري مغموماً: «دخل عليَّ الساعة شاب فسألني عن التوبة فقلت: التوبة ألا تنسى ذنبك. فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك». قال الجنيد: «فقلت: الحق ما قاله الشاب، فإن العبد إذا كان في حال الجفاء، ونقله الله إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء».

قلت: وهو صحيح، فإن المقصود من ذكر الذنب الندم والإقلاع والجد في الطاعات طمعاً في كمال الانتفاع؛ فإذا كان العبد متصفاً بكريم هذه الأخلاق لم يكن له بذكر الذنب فائدة ويجوز بإطلاق **اسم الجفاء عليه** إذ كماله في ذكر النعمة.....

وأما قوله: **والتوبة من التوبة أبداً** معناه أن العبد إذا كمل في رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها توبة كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته.

قال الشيخ رحمه الله: **ولطائف سرائر التوبة ثلاثة أشياء: أولها أن تنظر بين الجناية والقضية فتعرف مراد الله عزَّ وجلَّ فيها إذ خلاك وإتيانها؛ فإن الله عزَّ وجلَّ إنما يخلي العبد والذنب لأحد معنيين: أحدهما أن يعرف عزه في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهاله راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته.**

قلت: واللطائف أدق من السرائر ولذلك أضافها إليها، ومعناه أن نظره أخفى وأدق في الأعمال إذا كمل في درجات التوبة، وتطلع على أسرار الأعمال، وتفطن لكون مولاه أجرى عليه المعصية، ثم وفقه بعدها للتوبة مع قدرته تعالى على حفظه عن الوقوع فيها. فيعلم أن سره في حق من سبقت له منه الحسنى أن يعرف العبد عزة الحق في قضائه وأنه يفعل ما يشاء من أسباب الهلاك أو السعادة، ويعلم بره وإحسانه في ستره عليه وحلمه عنه وقت ملابستها مع اقتداره وإمهاله، ويعرف كرمه في قبول العذر من عبده ومغفرته لزلته.

قال الشيخ رحمه الله: **والثاني ليقيم على العبد حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: ونعوذ بالله من هذا القسم الأخير، فإنه من أمارات أهل التشغر في المعاصي والدوام على الإصرار، وترك التوبة للكريم الغفار.

قال الشيخ رحمه الله: **واللطيفة الثانية أن تعلم أن طلب البصير الصادق لم يُبق له حسنة بحال لأنه يسير بين مشاهدة المنّة وتطلب عيب النفس والعمل**.

قلت: وهذا أيضاً من لطائف أحوال التائبين، وهو أن طلب العبد الصادق في طلبه لله تعالى إذا تحقق فيه لا يرى لنفسه حسنة بحال لما غلب على قلبه من رؤية المنّة لمولاه وكثرة عيوب نفسه وغلبة هواه فنفسه بطبعها نافرة عن الطاعات، ومائلة إلى حب الثناء والمدح على الأعمال الصالحات، فإن سلم له عمل من الآفات، فبمنّة مولاه، وتفضله عليه في دنياه وأخراه.

قال الشيخ رحمه الله: **واللطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده عن جميع المعاني إلى معنى الحكم**.

قلت: وهذا الكلام يحتاج إلى بسط وشرح، فإنه لا بد من استحسان ما حسن الله واستقباح ما قبح، والطاعات جميعها مستحسنة والسيئات مستقبحة. فإذا تقرر ذلك قلنا مراده أن العبد إذا غلب على قلبه معنى من المعاني شغله عما سواه، فمن غلب على قلبه النظر إلى ما سبقت له به المقادير وهو مغيب عنه، لم تسكن نفسه لحسنة لاحتمال التغيير والتبديل ولم يقنط لوقوعه في معصية لاحتمال العفو والتسهيل. فهذا وجه ثانٍ أن مَن نظر إلى ما سبق الحكم به من تفضل مولاه عليه وإدراجه في سلك من قربه لديه وإبعاده عن طريق من هان عليه، لم يستحسن من نفسه حسنة لعجزها عن تحصيل ذلك بها، ولم يستقبح سيئة أي لم يستنكرها منها لكون ذلك شأنها وخلقها. وهذا كله لا يمنع من معرفة الحسنة والفرق بينها وبين السيئة.

قال الشيخ رحمه الله: **فتوبة العامة لاستكثار الطاعة، فإنه يدعو إلى ثلاثة أشياء: إلى جحود نعمة الستر والإمهال، ورؤية الحق على الله تعالى والاستغناء الذي هو عين الجبروت والتوثب على الله**.

قلت: وقوله **لاستكثار الطاعة** يعني رجوعهم لاستكثار الطاعة، فإن استكثارها مقرون بآفات منها نسيانه نعمة الله تعالى في ستره على العبد وقت

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

معصيته إياه، وإمهاله له ولم يعاجله بالعقوبة؛ فعبر الشيخ عن غفلته بالجحود.

والآفة الثانية رؤية العبد أن له حقاً على ربه بعمله، وهو عين الجهل فإن سائر أعماله فضل من ربه عليه. والآفة الثالثة رؤية العبد استغناءه بعمله واجتهاده في عباداته، وسماه الشيخ **عين الجبروت والتوثب على الله**.

قلت: وهذا صحيح، فإن الفقير الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر على سد جوعه ولا شربه من ماء، ثم رآه ملك عظيم كريم فأنم عليه في وقت ببعض نعمه، فنسي فقره الماضي إليه وأظهر استغناءه عنه، فكفى بهذه الحالة عتواً وتوثباً عليه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النّحل: الآية 60] .

قال الشيخ رحمه الله: **وتوبة الأوساط من استقلال المعصية وهو عين الجرأة والمبارزة، ومحض التزين بالحمية، والاسترسال للقطيعة**.

قلت: وفرق ما بين هذه الدرجة والتي قبلها أن ما قبلها توبة عن عمل وله آفات. وهذه توبة عن استقلال ما وقع فيه من المعصية وكان غير معظم للنهي عنها؛ فالأول يرى عمله جرأة ومعصية، والثاني سهل عنده ما وقع فيه من الإثم واستقلال الجرم. **وهو عين الجرأة على الله والمبارزة ومحض التزين بالحمية**، ومعنى **الجرأة** الإقدام على الأمور الهائلة المخوفة من غير تثبت؛ **والمبارزة** إظهار القبائح التي ينبغي سترها وإخفاؤها؛ ومن فعل هذه الأفعال مع مولاه فقد **تزين بالحمية** أي تحلى بنصرة هواه، وترك أمر مولاه، واسترسل بهذه الأفعال للقطيعة عمن تولاه.

قال الشيخ رحمه الله: **وتوبة الخاصة من تضييع الوقت فإنه يدعو إلى إدراك النقيصة، ويطفىء نور المراقبة، ويكدر عين الصحبة**.

قلت: وهذه الرتبة أرفع مما قبلها، فإن من تاب عن تضييع أوقاته، ليس كمن تاب عن استقلال زلاته، ومن لم يتب عن تضييع الأوقات أدركته النقائص ولم ينتقل في درجات القرب لكدورة قلبه وهو طفىء نوره وتضيق عليه حاله مع الله وهو تكدُّر عين الصحبة، وذلك أن من لم يعرف زيادته من نقصانه بعُد عليه انتقاله في أحواله مع الله.

قال الشيخ رحمه الله: **ولا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الحق، ثم رؤية علة تلك التوبة، ثم التوبة من رؤية تلك العلة.

قلت: وهذا صحيح، فإن غاية المقامات كلها الوصول إلى مقام التوحيد وهو غلبة النظر بالقلب إلى الحق من العبد بالخلاص من سائر الأسباب الدنيوية والدينية توبة أو غيرها. فيرجع العبد أولاً عما دون الله من الأسباب الدنيوية والأشخاص... ثم يرجع عن رؤية رجوعه خوفاً من سكون نفسه إلى كمال توبته وهو علة التوبة، ثم يتوب من رؤية العلة خوفاً من استرواح نفسه إلى معرفة العلة، حتى يتبرأ مما سوى مولاه، ولا يسكن بقلبه لسواه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[3]. باب المحاسبة

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ﴾ [الحَشر: الآية 18] **وإنما يُسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة.** قلت: وجه الاستدلال بالآية الأمر منه تعالى للعبد بالنظر فيما يقدم من الأفعال هل وقعت على وجهها المشروع أم لا. وهذا لا يكون إلا بعد صحة العزيمة من العبد على الخلاص مما هو فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **والمحاسبة لها ثلاثة أركان، أحدها أن تقيس بين نعمته وجنايتك، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء: نور الحكمة، وسوء الظن بالنفس، وتمييز النعمة من الفتنة.**

قلت: إنما كانت هذه أركان المحاسبة من حيث أن النظر. . . .[1] بالمنظور فيه؛ وركن يعني ما يكون به قوامه؛ والمنظور. . . . .[1] نفسه. . . . .[1] بمعرفتها بنعم الله عليها المتوالية مع جنايتها. . . . .[1] بركوب معصيتها، وهل يليق بالمنعم عليه مجازاته إياها للمنعم بالمخالفة في الأوامر وارتكاب المناهي، وهل هذا إلا كفران النعم وكفران الإحسان. ولكن لا يقوم العبد بهذه المحاسبة إلا بنور الحكمة النبوية والمواهب الربانية مع سوء الظن بنفسه الأمارة بالسوء، فإن العبد متى حسُن ظنه بنفسه عميت عليه نقائصها ومتى اتهمها فتش عن عيوبها. وإذا ميز بين خواطره بالعلم وفرق بين المحمود منها والمذموم، حصل له الفرق في حاله بين النعمة و الفتنة.

قال الشيخ رحمه الله: **والثاني تمييز ما للحق عما لك أو منك، فتعلم أن الجناية عليك حجة والطاعة عليك منّة والحكم عليك حجة ما هو لك معذرة.**

---

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: ويحاسب العبد نفسه ويميز بين لطف ربه به وحلمه عنه وقت عصيانه وتوفيقه إياه للتوبة والطاعة مع ما سبق من مخالفته وإجرامه وبين قبح أفعاله. فيتبين له من ذلك أن معصيته حجة لله عزَّ وجلَّ عليه في العقاب، وطاعته لربه منّة عليه في تيسير أسباب الثواب، وأن حلم الحق عنه وإمهاله إياه وكونه لم يؤاخذه على الفور حجة لله تعالى في إمهاله ليرجع ويتوب وليس ذلك عذراً للعبد عند ربه تعالى.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: **والثالث أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك، فلا تضع ميزان وقتك من يديك.**

قلت: وهذه رتبة أرفع في النظر مما قبلها، وذلك أنه ما من مقام بلغه العبد إلا وفوقه ما هو أكمل منه. فإذا رضي العبد عن نفسه بحاله وقنع به لم يطلب ما هو أرفع منه، فبهذا الوجه كان رضى النفس بالطاعة عليها لا لها. وكذلك متى تفرغ العبد لعيوب غيره دل ذلك على قلة شغله بنفسه، وبهذا الاعتبار رجع النقص إلى من عير أخاه بذنب. ولا يكمل العبد في هذا النظر الجليل إلا بدوام التثبت عند كل حركة وسكنة بقلب أو بجارحة أو خاطر داعٍ إلى عمل قليل أو كثير ما. وبهذا لم يدع ميزان وقته من يديه لما هو فيه من اليقظة وإدراك الزيادة والنقص بسرعة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[4]. باب الإنابة

قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: الآية 54]. **الإنابة ثلاثة أشياء: الرجوع إلى الحق إصلاحاً كما رجع إليه اعتذاراً، والرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً، والرجوع إليه حالاً كما رجع إليه إجابة.**

قلت: والتوبة والإنابة والأوبة بمعنى الرجوع في أصل الوضع، وخص الشيخ الرجوع إلى الله على وجه التقرب بالإنابة وإن لم يكن ذلك عن ذنب. وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: الآية 30]: أي رجاع إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ. فيرجع العبد إلى الله **إصلاحاً** لعمله وتكميلاً لمقامه **كما رجع إليه** أولاً **اعتذاراً** عنه. ويرجع إليه وفاءً بما عزم لله عليه من الخيرات كما رجع إليه قبل ذلك قياماً بحق الله تعالى لقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ [يس: الآية 60] الآية. ويرجع إليه **حالاً** وتخلقاً بأكمل الصفات **كما رجع إليه إجابة** لدعائه إياه إلى القيام بالواجبات.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحاً بثلاثة أشياء: بالخروج من التبعات، والتوجع للعثرات، واستدراك الفائتات.**

قلت: وهذا صحيح، فإن إصلاح الأعمال وتحقيقها وحفظها عن الانتقال، إلى ديوان غيره بما عليه من حقوق العباد مقاصة في المآل، يكون بالخروج من تبعات الخلق وحقوق الخالق. وكذلك محو الزلات، التي كانت من العبد فيما مضى من الأوقات، وإن كان تائباً عنها غير ملابس لها، إنما يمحوها توجعه للعثرات الماضيات، وبه يحفظ من الزلل في الأوقات الآتيات، وإذا تخلق بهذا الخلق استدرك بأوقاته المقبلات، ما وضر فيه من الأوقات الماضيات.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاءً بثلاثة أشياء: بالخلاص من لذة الذنب، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفاً عليهم مع الرجاء**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

لنفسك، وبالاستقصاء في رؤية علل الخدمة.

قلت: وهذا بالغ، فإن الأواب المنيب إلى الله سبحانه الذي ....[1]ـالته مع مولاه لا يخلو في ابتداء أمره وقربه من توبته عن تذكر شهواته الماضية وخطور الخواطر الداعية إلى ما عهدته النفس من اللذات الغابرة، فكمال وفائه لربه بما عزم عليه من إنابته إليه ببدنه وقلب خلاصه من لذة الذنب الماضي وقت ذكره. وكذلك من تمكن في حالته وتحقق في استقامته، إذا رأى غيره من أهل الغفلة والإعراض عما هو فيه من الخير، أخطر له العدو خواطر الاستهانة والاستنقاص لما يخشاه عليهم بزعمه وتنزّه نفسه عنه لحسن ظنه بها. وحقيقة وفائه لربه بما عزم عليه من موافقته له وقربه منه الخوف على نفسه قبلهم، لأنه من معصيته على يقين ومما يختم له به على شك ومن أحوال غيره على ظن وحسبان ومن خاتمة حاله أيضاً في شك. وكذلك من كمل في درجات عزمه ووفائه لربه تمكن في الاستقصاء عن آفات أعماله وعلل أحواله.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما يستقيم الرجوع إليه حالاً بالإياس من عملك، ومعاينة اضطرارك، وشيم لطفه بك.**

قلت: والوفاء حالاً أتم من الوفاء عملاً، فإن صحة الأحوال تبع لصحة الأعمال. وإنما يقوى الحال بدوام رؤية الفضل من الله في التوفيق للأعمال والصيانة من الخذلان، فلا يرى لنفسه عملاً يعتمد عليه، بل هو غريق في بحر الأفضال مضطر في جريانها عليه مقارنة لقدرة التوفيق لديه وتنسمه شيم لطف مولاه به.

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[5]. باب التفكر

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: الآية 44] **اعلم أن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية.**

قلت: والتلمس بالقلب التفتيش عن المطالب العقلية والشرعية.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاثة أنواع: فكرة في عين التوحيد، وفكرة في لطائف الصنعة، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال. فأما الفكرة في عين التوحيد فهي اقتحام بحر الجحود ولا ينجي منه إلا الاعتصام بضياء الكشف والتمسك بالعلم الظاهر.**

قلت: ومعنى كونه **بحر الجحود** أن المتفكر في حقيقة ذات لا داخل العالم ولا خارجة و لا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا تشبه شيئاً من الموجودات لا في الأرض ولا في السموات. . . . .[1] ولا النيران ولا النجوم ولا النّيران يتحير في هذه البحار، ومن خذله الله فيها وقع في بحر الجحود. ومن أراد الحق عصمتَه تمسك بنور الكشف الحقيقي وضياء العلم الشرعي النبوي، فيعلم أن الفعل المفتتح الوجود المصنوع لا بد له من صانع ولا بد أن يكون قادراً مريداً عالماً حياً. فإن الفعل يستحيل صدوره عن الموتى عن العجزة، ولا يقع الفعل على بعض الصفات والجهات والخصائص مع إمكان الوقوع على غير ذلك إلا من عالم مريد. وأما الضياء الشرعي فمن قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: الآية 10] وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المَائدة: الآية 120] وقوله: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ [المُلك: الآية 14] وغير ذلك من الآيات.

قال الشيخ: **وأما الفكرة في لطائف الصنائع فهي ماء يسقي زرع الحكمة.**

---

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وذلك أن الفكرة في أسرار صنع الحق سبحانه تُطلع العبد على أنواع من حكمة الله سبحانه. وإذا تمكن العبد في ذلك تزيدت حكمته في نفسه وكثرت فصار حكيماً.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما الفكرة في معاني الأعمال والأحوال فهي تسهيل سلوك طريق الحقيقة.**

قلت: وهو صحيح، فإن العبد متى اطلع على معاني الأعمال وفوائد الأحوال، اتصف بكريم الفعال. والحقيقة كما تقدم عند القوم حال للقلب كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما يتخلص من الفكرة في عين التوحيد بثلاثة أشياء: معرفة عجز العقل، والإياس من الوقوف على الغاية، والاعتصام بحبل التعظيم.**

قلت: ومما يعين على سرعة الخلاصة من الفكرة في عين التوحيد، والسلامة من الوقوع في بحر الجحود، معرفة العبد بعجز عقله عن إدرك كل الموجودات من المخلوقات فضلاً عن خالقها. وقد عجزت العقول عن إدراك الخاصية التي يجذب بها المغناطيس الحديد، والسقمونيا الأخلاط الصفراوية وغير ذلك. فمعرفته بقصور عقله تحمله على التوقف عن القطع بالنفي لما لم يعلم، وكذلك ما علم منه وجهاً وجهل غيره من الوجوه كالعلم بتعلق القدرة بالمقدور قطعاً، وإيجاده من العدم والجهل بكيفية تعلقها به، إذ يستحيل الكيفية في وصفه تعالى. وكذلك يعلم قطعاً تعلق العلم القديم بما لا يتناهى على التفصيل من الممكنات كما دلت عليه الأخبار والآيات من خلود أهل الجنة والنار، وتوالي النعيم والعذاب، وهي أعراض خلقها الله تعالى لهم، بها ينعمون بمآكلهم ومشاربهم ومناكحهم لا إلى غاية ونهاية. فإذا عرف العبد عجزه وأيس من الوقوف على غاية مطلبه في التوحيد، حمله ذلك على التمسك **بحبل التعظيم** والإجلال، ويسلم كذلك من الوقوع في شيء من الإخلال.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: **وإنما تُدرك لطائف الصنائع بثلاثة أشياء: بحسن النظر في مبادىء المنن، والإجابة لدواعي الإشارات، وبالخلاص من رق الشهوات.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهو صحيح، فإن العبد إذا أنعم نظره في مبادىء المنن عليه، وهل كان ذلك بسبب من جهته أو كله فضل من خالقه عليه، عظمت في قلبه المنّة وكبر عنده اللطف وصنائع المعروف. وإذا علم ذلك أجاب دواعي الإشارة بالطاعة وبادر وأعرض عن الشهوات العاجلة، وتخلص من رق نفسه وشهواتها.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء: باستصحاب العلم، واتهام المرسومات، ومعرفة مواقع العبر**.

قلت: وهو صحيح، فإن مستندات الأحكام والأحوال وتفاوت مراتبها الأدلة الشرعية، وإذا لم يستصحبها العبد بنفسه أو يقلد من يعرفها هلك مع الهالكين. وإذا أخذ العلم بنفسه فلا يقبله من كل أحد ولا يعتمد على ما يجده في الكتب بل على فهم العلماء وهو المراد **باتهام المرسومات** حتى يحقّقها عن أهلها. **ومعرفته مواقع العبر** يعني مواقع الأقيسة وإلحاق الشيء بأمثاله في الحكم، سواء كان الحكم واجباً أو مندوباً فاضلاً عن بلوغ مراده، جد في التحصيل. وأنجع الفكرة ما كان في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فإنه المقطوع بصحته المحتوي على جميع الفوائد التي ينتفع بها المريدون لمولاهم. وإنما تصفو الفكرة بزوال المشغلات عن القلوب من الظاهر والباطن: أما الظاهر فالاجتماع بالخلق وصرف النظر والسمع إلى جهتهم وكثرة الامتلاء من الطعام، ويلزم عنه كثرة المنام؛ وأما الباطن فكثرة المنى والشهوات والتفات القلب وقت الفكرة إلى بعض الأسباب المحبوبات وهي المتعلقات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[6]. باب التذكر

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: الآية 13] ﴾ التذكر فوق التفكر فإن التفكر طلب والتذكر وجود. وأبنية التذكر ثلاثة أشياء: الانتفاع بالعظة، واستبصار العبرة، والظفر بثمرة الفكرة. وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء: بشدة الافتقار إليها، وبالعمى عن عيب الواعظ، وبذكر الوعد والوعيد. وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء: بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض. وإنما يُجنى ثمر الفكر بثلاثة أشياء: بقصر الأمل، والتأمل في القرآن، وقلة الخلطة والتمني والتعلق والشبع والمنام. قال الشيخ رحمه الله:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[7]. باب الاعتصام

68 ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103] ﴾، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الحَجّ: الآية 78] ﴾ **الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعة الله موافقاً لأمره، والاعتصام بالله هو الترقي عن كل موهوم والتخلص عن كل تردد.**

قلت: حبل الله هو السبب الموصل إليه وهو شرعه الذي يدل على طاعته والوصول إليه. والاعتصام بالله دون غيره من الأسباب هو إفراده بالقصد والاعتماد، والإعراض عمن سواه من سائر العباد.

قال الشيخ رحمه الله: **والاعتصام على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر استسلاماً وإذعاناً، بتصديق الوعد والوعيد وتعظيم الأمر والنهي وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف؛ وهو الاعتصام بحبل الله. واعتصام الخاصة بالانقطاع، وهو صون الإرادة قبضاً، وإسبال الخُلق على الخلق بسطاً، ورفض العلائق عزماً؛ وهو التمسك** ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية 256] ﴾. **واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال، وهو شهود الحق تفريداً، بعد الاستجابة له تعظيماً، والاشتغال به قرباً؛ وهو الاعتصام بالله.**

قلت: وما ذكره رضي الله عنه من هذه الرتب الثلاث، وجعل الأولى للعامة من أهل هذا الشأن، صحيح: فإن أول الأمر الإيمان والتصديق لما جاء عن الله من وعده للمطيع ووعيده للعاصي. فإذا حصل له هذا يقيناً واتصف به عملاً كان مستمسكاً بحبل الله الموصل إليه. ثم إذا ارتفعت درجته وانقطع بقلبه عن الأغيار قبضاً لا كبراً، وبذل ما يقدر عليه لعباد الله من الخير بسطاً وديناً لا رياءً أو فخراً، ورفض كل ما يشغله عن ربه جداً وعزماً، فهذا قد استمسك ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية 256] التي لا انفصام لها وقد ارتقى عن درجة العامة المريدين

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قدماً. وإذا تمكن في مقام التوحيد، بعد حمل جده في تحصيل التعظيم لمولاه المجيد، واشتغل به عن سواه من العبيد، فاعتمد بقلبه عليه في سائر تصرفاته، حل بقلبه ذوق الاعتقاد الصحيح السديد، فهذا هو الاعتصام بالله ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحجّ: الآية 64] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[8]. باب الفرار

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذّاريَات: الآية 50] **الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى من لم يزل.**

قلت: إنما فسر الشيخ الآية بقوله **هو الهرب**؛ وهو الفرار إلى الله عزَّ وجلَّ الذي لم يزل، من العالم بأسره الذي كان بعد أن لم يكن. فهو يفر منه إلى ربه تعالى بقلبه وعمله وإن كان بين الخلق ببدنه، ولهذا قيل: الصوفي كائن بائن هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً، ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء.**

قلت: قد تقدم القول مراراً أنه رضي الله عنه إنما يريد بالعامة في ترتيب المقامات عامة السالكين والمبتدئين منهم. والمبتدىء يجب عليه أن يفر إلى علمه بربه وعلمه بدينه إما اعتقاداً أو معرفةً على حسب حاله في. . . .[1]، فيفر إلى تحصيله عقداً وعزماً بقلبه وسعياً ببدنه. فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم إما تحصيلاً أو تقليداً بعالم. فإنه شرط صحة طاعته ومتى لم يعلم دينه بنفسه ولا قلد غيره استحالت منه الطاعات. ويفر أيضاً بعد التحصيل للعلم إلى العمل به ويترك الكسل ويشمر بالجد في تحصيل الخيرات. وإذا حصل العلوم والأعمال الصحيحة على حسب ما علم، غلب على ظنه لطف ربه به لتوفيقه لذلك، فيفر من ضيق المعصية والقنوط إلى سعة حسن الظن والثقة بالله تعالى، ويفر أيضاً من ضيق النظر في الأسباب إلى سعة الرضاء بالأقدار.

قال الشيخ رحمه الله: **وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود، ومن الرسوم إلى**

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد.

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن فرار أهل هذه الدرجة مما فر إليه مَن تقدم: ففرار الأول إلى تحصيل السكون إلى الحق بالتقليد والأخبار عن الحق تعالى المعبود، وفرت هذه الطائفة إلى الاستدلال بآثار الحق عليه وتحصيل مقام الشهود. وفرت الأولى من الكسل إلى الأعمال والرسوم، وفرت هذه الطائفة من رؤية أعمالها إلى مجريها عليها وهو الحق القيوم، وهذا هو المراد والله أعلم بالأصول. وفرت الأولى من ضيقها إلى سعة الرجاء على أعمالها، وفرت هذه الطائفة من رؤية أعمالها إلى فضل ربها عليها، وكونها محلاً لذلك خاصة وهو التجريد.

قال الشيخ رحمه الله: **وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق، ثم من شهود الفرار إلى الحق، ثم الفرار من الفرار إلى الحق.**

قلت: وهذا قد يكيع عن فهمه من لم يُنَبَّه عليه بتقريب؛ وذلك أن العبد قد يفر إلى الحق من كل موجود حتى من نفسه، فيفر من إضافة عمل محمود إليها، ويكون مع ذلك ساكناً لحالته الشريفة مستحسناً لها. فهو يفر من استحسان حالته إلى ربه ويبقى مدركاً لفراره؛ فيفر من رؤيته لفراره مطلقاً. وتقريب ذلك بالمثال أن من أنعم عليه ملِك كريم مفضال بشيء يسير من النعم، ثم أذن الملك لرعيته في أن يهدوا إليه ما يقدرون عليه فقربوا إليه هداياهم؛ فقلب هذا المذكور مستحقر لما يهديه إلى الملك لكونه من اليسير الذي أنعم عليه به، فار عن نسبة هذه الهدية إلى نفسه لكونها نعمة عليه من الملك؛ ثم إذا تفطن لمعرفته بقبح دعوة الملِك لما أهداه إلى الملك المنعم وكونه تبرأ من إضافة ذلك إليه، عد ذلك نعمة من الله الذي حفظه من قبح هذه الحالة وتبرأ من دعواه في شيء من النعم التي جرت عليه من جهته مطلقاً لقبح الدعوى فيما ليس منه ولا إليه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[9]. باب الرياضة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: الآية 60]

قلت: ووجه الاستدلال بهذه الآية والله أعلم تهمة النفس في كل حال، وخوف اختلال الأعمال، مع الاجتهاد في تحصيل الكمال.

قال الشيخ رحمه الله: **الرياضة تمرين النفس على قبول الصدق.**

قلت: قوله **تمرين النفس** صحيح وهو حقيقة الرياضة، فإن النفس تراض كما يراض الجواد على السير. وقوله **على قبول الصدق** يعني قبول الحق والصدق من أي جهة ورد عليها في الأقوال والأحوال وغيرها، حتى يقبل الحق من كل قائل من غير تفرقة ولا تفصيل.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: رياضة العامة تهذيب الأخلاق بالعلم، وتصفية الأعمال بالإخلاص، وتوفير الحقوق في المعاملة.**

قلت: وهو صحيح، فإن التائب قد تقدمت منه عوائد واكتسب في صبوته أخلاقاً مذمومة، فرياضة نفسه لتهذيب أخلاقه والنقل عن عوائده بمبايعة العلم، فهذه هي التصفية عند القوم. ثم يروض نفسه بعد ذلك في تصفية أعماله من الشوائب والالتفات إلى الخلق بحفظ درجة الإخلاص. ثم يروض نفسه في تكميل الأعمال **وتوفير الحقوق** لله تعالى وللخلق **في المعاملة**، وهذه هي التحلية.

قال الشيخ رحمه الله: **ورياضة الخاصة حسم التفرق، وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه، وإبقاء العلم يجري مجاريه.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها رياضة في التنقل عن أخلاق مذمومة والتحلي بأعمال محمودة وذلك تفرق وشتات بالإضافة إلى المقصود، وهذه رياضة في تحصيل مقام الجمع بين يدي الله تعالى وقصر الهمة عليه ومنع القلوب أن تلتفت إلى غيره من حال أو مقام. وقوله **وإبقاء العلم يجري**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

مجاريه معناه أن العبد لا يحمله ما هو فيه من كمال الحال، على الوقوع بسببه في شيء من الإخلال.

قال الشيخ رحمه الله: **ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود والصعود إلى الجمع، ورفض المعارضات والمعاوضات.**

قلت: وهذا أرفع مما قبله فإن ما قبله سكون عمل ورياضة في تحصيل مقام الجمع، وهذا قد حصله وبقي لقلبه بعض الالتفات إلى الأغيار وهو يعمل في قطع ذلك. وهو **رفض المعارضات والمعاوضات،** فما عارضه من مشغل أقصاه، وما خطر له على عمله من طلب عوض كرهه ونفاه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[10]. باب السماع

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية 23] . **نكتة السماع حقيقة الانتباه.**

قلت: نكتة الشيء روحه والمقصود منه، فلذلك قال: **حقيقة الانتباه.** فمن أسمعه مولاه نداءه إياه بنفسه أو بواسطة سواه حتى انتبه من غفلته واستيقظ قلبه من رقدته، فقد سمع السماع المحمود.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: سماع العامة ثلاثة أشياء: إجابة زجر الوعيد روعةً، وإجابة دعوة الوعد جهداً، وبلوغ مشاهدة المنّة استبصاراً.**

قلت: وهذا صحيح، فإن أول محرك لقلوب الغافلين زاجر الوعيد من الله سبحانه على التفريط في حقه خوفاً منه وروعاً. ثم إجابة داعي الوعد من الله سبحانه على الطاعة بالجد والجهد. ثم الانتقال إلى رؤية فضل الله تعالى والمنّة له في تيسير الخيرات لكمال بصيرته وتحقيق معرفته.

قال الشيخ رحمه الله: **وسماع الخاصة ثلاثة أشياء: شهود المقصود في كل زمن، والوقوف على الغاية في كل حسن، والخلاص من التلذذ بالتفرق.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها انتباه لخلاص من نقص واشتغال بخير في وقت، وهذه الدرجة انتباه لملاحظة الحق في كل وقت وطلب معالي الأمور من الأعمال والأحوال ونقل النفس عن التلذذ بالأحوال التفاتاً لطلب مقام الجمع حتى لا يبقى معه للنفس حظ من لذة.

قال الشيخ رحمه الله: **وسماع خاصة الخاصة سماع يغسل العلل عن الكشف، ويصل الأبد بالأزل، ويرد النهايات إلى الأول.**

قلت: وقوله **يغسل العلل عن الكشف** يعني الخواطر المشغلة عنه وفتور

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

النفس عن تحمل أعباء ملازمة مقام الجمع. وقوله **ويصل الأبد بالأزل ويرد النهايات إلى الأول** يعني غلبة السوابق على القلب حتى لا يلتفت إلى ما يتجدد عليه من الأحوال وما يتراقى فيه من الدرجات في المآل. وفي هذا المعنى قال بعضهم: ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله هـ، وذلك لما غلب على قلبه من رؤية السوابق.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[II ـ قسم الأبواب]

قال الشيخ رحمه الله: **وأما قسم الأبواب فهو عشرة أبواب (وهي): الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة.**

قلت: قد قدمنا أن لكل سالك باباً يغلب على قلبه، تكون منه نهضته ودخوله في السلوك.

فمنهم من يغلب على قلبه الحزن لما عرفه من الوعيد للمعاصي من الأخبار والآيات.

ومنهم من يغلب على قلبه الخوف لما اجترحه من الزلات.

ومنهم من يطلعه مولاه على تفضله وإحسانه لغيره ممن خالفه فيما أمره به أو نهاه، وكيف عفى عن السحرة، ونقلهم في لحظة إلى مقام مَن تولاه، وملأ قلوبهم من معرفته حتى هان عليهم تقطيع أيديهم وأرجلهم في رضاه، ويمتزج خوفه ورجاؤه فيهدأ بعض قلقه ويبقى مشفقاً مما جناه.

ويكون بعضهم خاشعاً ذليلاً مخبتاً بين يدي مولاه، لما ثبت في قلبه من معرفة من وفقه للتوبة وهداه.

وبعضهم يغلب على قلبه العلم بحقارة دنياه، لمعرفته بحقيقتها وهوانها عند الله فيُعرض عنها للتفرغ لعمل أخراه.

وبعضهم يعرف ضعف نفسه وقلة صبرها عن الشهوات، وسرعة ميلها إلى الراحات، فينفر عن الدنيا طمعاً في الخلاص من الآفات.

وبعضهم يثير له مولاه علماً من محبّة الخدمة له والتبتل لعبادته، حتى يصل إلى مقام أنسه به، فيلزم عن ذلك موت صفات نفسه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ومنهم من يحمله رجاؤه لمولاه على الجد في الأعمال طلباً للجزاء في أخراه.

ومنهم من تكون رغبته في رضاه، وحصول قربه منه ونجواه.

فالله تعالى يوفقني وإياكم لجميع هذه الأبواب، فإنها قد تجتمع في بعض الأحباب، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما وصف النبي عليه السَّلام أبواب الجنة الثمانية فقال أبو بكر: «ما على من يدخل من تلك الأبواب كلها» أو كما قال، فقال النبي ﷺ: «أنت منهم يا أبا بكر»[1]، وذلك لكمال اتصافه بجميل الصفات، ومبادرته لجميع أبواب الطاعات والقربات، لا أنه يدخل بجسمه من جميع الأبواب إلى الجنة في وقت دخوله إليها، بل هو أهل للدخول من أي الأبواب شاء بخلاف غيره.

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[11]. باب الحزن

قال الله تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾ [التّوبَة: الآية 92]

الحزن توجع لفائت أو تأسف على ممتنع.

قلت: وحقيقة الحزن قبض يطرق القلب يمنعه من الانبساط، وقد يكون معه ألم وقد يكون غماً وكمداً يمنع من الشعور بالألم. ويكون سببه نظر في أمر ماضٍ فائت، أو استشعار فوات محجوب حاصل أو ممكن الحصول، أو نزول مكروه مؤلم في المستقبل.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات، الأولى حزن العامة؛ وهو حزن على التفريط في الخدمة، وعلى التورط في الجفاء، وعلى ضياع الأيام.**

قلت: وهذا صحيح، فإن السابق إلى قلوب المقصرين حزنهم على التقصير. والتقصير يكون إما لشغل بالدنيا وهو **التورط في الجفاء** أو لكسل عن أعمال الأخرى وهو **التفريط في الخدمة**، أو لفكرة فيما مضى وهو سبب الندم على ما ضاع من الأيام في البطالة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية حزن أهل الإرادة؛ وهو حزن على تعلق الوقت بالتفرقة، وعلى اشتغال النفس عن الشهود، وعلى التسلي عن الحزن.**

قلت: وهذا الحزن أرفع مما قبله بالنظر لمتعلقه. فإن الأول حزن على التفريط في الأعمال، وهذا حزن متعلق ببعض الأحوال بعد حفظ الأعمال؛ فحزنه على وقته كيف كان ظرفاً لتفرقة حاله واشتغال نفسه بغير شهوده لمحبوبه. ويحزن أيضاً على نقص حزنه المذكور وسلوه عنه.

قال الشيخ رحمه الله: **وليست الخاصة من مقام الحزن في شيء.**

قلت: ومعناه أن الخاصة هممهم لمقام الجمع وكمال المجاهدة والفناء في

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

التوحيد، والحزن لا بد فيه من التفرقة بين المحزون له والمحزون عليه أو من أجله والله أعلم.

قال الشيخ رحمه الله: **ولكن الدرجة الثالثة من الحزن التحزن للمعارضات دون الخواطر ومعارضات المقصود والاعتراضات على الأحكام.**

قلت: وهذه الرتبة أتم مما قبلها من الدرجات، فإن التي قبلها حزن على التفرقة وسعي في طلب مقام الجمع، وهاهنا حزن للمعارضات على مقام الجمع والعارضات المشغلة عن القصود وعلى وجود الاعتراضات على الأحكام، الجارية بين الأنام، بل حقه أن يتلقاها بالقبول والاحترام، ما لم تكن من الآثام.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[12]. باب الخوف

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: الآية 50] **الآية. الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر.**

قلت: وهذا حد صحيح، فإن الخوف والفزع والروع والرهب كل ذلك يدل على انزعاج القلب وعدم أمنه وطمأنينته. قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طٰه: الآية 67] . وقال: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [ص: الآية 22] . وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هُود: الآية 74] وهذه المعاني جميعها تضادد الطمأنينة والأمن، فعبر الشيخ رضي الله عنه عن الخوف بزوال ضده وهو **الانخلاع عن الطمأنينة**.

قال الشيخ رحمه الله: وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الخوف من العقوبة، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو خوف العامة؛ وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة.

قلت: وهذا صحيح، فإن من صح إيمانه بوعيد الله تعالى للعاصين وعرف من نفسه ارتكابها للمعصية المتوعد عليها بالعقاب في الآخرة إلا أن يعفو الله، واجتمع في قلبه ذكر الآخرة وعذابها وذكر المعصية والتوعد عليها، هاج الخوف من قلبه لا يملكه.

وقوله **وهو الذي يصح به الإيمان** يعني به أن وجوده من العبد دليل على صحة إيمانه بوعيد الله عزَّ وجلَّ.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن هذا الخوف يكون من المتقي المستقيم الذي لا مخالفة عنده، وما قبله يكون من العصاة وغيرهم. فإنه ثمرة

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الإيمان بالوعد والوعيد، وهذا تثمره المعرفة بكمال الحق وجلاله وأنه ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحَجّ: الآية 18] . ولذلك قال: **مع جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة**، يعني أنه يخاف المكر وإن كان دائم اليقظة حسن الحالة مع وجود الحلاوة في أعماله، ومع هذا كله لا يأمن من المكر فإنه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 99].

قال الشيخ رحمه الله: **وليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الإجلال، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف؛ وهي هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة، وتصون المشاهد أحيان المسامرة، وتعصم المعاين بصدمة العزة.**

قلت: وهذا كلام دقيق بالغ في الأحوال وأنواع المواجيد، وذلك أن الهيبة الكائنة للعبد عن إجلال الحق وتعظيمه لا تفارقه ما دام العبد فيه بقية من التفرقة إلا إذا اصطُلم بالكلية.

وقوله: **تعارض المكاشف أوقات المناجاة** أي تطرقه وتلبسه. **وتصون المشاهد أوقات المسامرة**. والمسامرة أخص من المناجاة، فإنك تناجي القريب عندك والبعيد والحبيب لك والبغيض أي تحادثه منك إليه، ولا تسامر أي تساهر الليل في المباسطة والاطلاع على الأسرار إلا كل حبيب قريب ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: الآية 60] . فمن قرَّبه مولاه، وحببه إليه وأدناه، وأطلعه على أسرار حكمته فيما أنشأه وبراه وقدره وأمضاه، وانقطع إليه بقلبه وغربه عن جميع ما يهواه، فالهيبة لمولاه تصونه في أحيان المسامرة من الوقوع في الإخلال، بشيء من الآداب مع الله سبحانه أو الإذلال، وترك الاحترام والإكرام.

وقوله: **وتعصم المعاين بصدمة العزة** يعني أن الولي لله تعالى الدائم النظر إليه المستغرق فيه إذا طرقته قوات العزة اصطلمته، فهيبته له تعصمه وتحفظه وترده إلى إدراكه لما هو فيه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[13]. باب الإشفاق

قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطُّور: الآية 26] . **الإشفاق دوام الحذر مقروناً بالترحم، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، وإشفاق على الخليقة لمعرفته بمعاذيرها.**

قلت: وهذا صحيح، فإن الإشفاق إما أن يكون على نفسه أو على غيره، والغير يشمله لفظ الخليقة. وشفقته على نفسه إما لفساد أخلاقها أو لفساد أفعالها.

فأما فساد أخلاقها فبأن **تجمح إلى عناد** خالقها فيما يختاره ويقضيه، وتكره كثيراً من أفعاله وتنفر منه وتقصيه، وتتكبر على عباد الله بنعمه وتخالف ربها في نهيه عن ذلك وتعصيه.

وأما الإشفاق على العمل فبأن تختل شروط صحته، أو يدخل في أثنائه ما يفسده، أو ينقّص فضيلته على حسب درجة عامله.

وأما الإشفاق على الخليقة للمعرفة بعجزهم وجهلهم وقهرهم في تصرفاتهم، فبالعفو عنهم والصفح عن زلاتهم، وبمساعدتهم على أغراضهم الصحيحة في دنياهم وآخرتهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق، وعلى القلب أن يزاحمه عارض، وعلى اليقين أن يداخله سبب.**

قلت: وهذا أرفع مما قبله، فإن الأول إشفاق على نفس أو عمل، خوفاً من الكسل أو دخول خلل، وهذا إشفاق على حال ووقت مجموع مع الله، وقلب معمور لا بغير الله، ويقين أو نفس خالص لله.

فأما الوقت المجموع فيشفق عليه، من وصول آفات التفرقة إليه، وفوات كمال الحضور لديه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وأما القلب المعمور بالذكر له والأدب معه، فيشفق عليه من عارض يقطعه، أو مشوش يشغله.

وأما اليقين الصافي أو النفس العالي فيشفق عليه من سبب عن الله يحجبه أو يداخله فيضعفه وينقصه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة إشفاق يصون سعيه من العجب، ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق، ويحمل المريد على حفظ** الحد.

قلت: وهذه الدرجة يظهر أنها أدون مما قبلها وليس الأمر كذلك: فإن الأولى إشفاق على وقت مجموع يخاف عليه آفة التفرقة، وهذا وقت كامل في درجات الجمع يخشى عليه من زهو النفس بكماله وجماله فيقع في العجب به. فهو يسعى في درجات الجمع بكمال إشفاقه، وينكف عن مخاصمة الخلق بالاعتراض عليهم بسره فضلاً عن لسانه. **ويحمل المريد على حفظ الحد** في أدبه مع الله، ولا يحمله قربه على إهمال ذرة من الآداب الشرعية، وإن تراقى في الدرجات السُنيَّة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[14]. باب الخشوع

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحَديد: الآية 16] . **الخشوع خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مفزع.**

قلت: وهذا حد بالغ في الخشوع، فإن الأرض الخاشعة التي لا حركة بها من النبات هي الهامدة. قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾ [الحَجّ: الآية 5] ، وفي موضع آخر ﴿خَٰشِعَةً﴾ [فُصّلَت: الآية 39] .

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق.**

قلت: ومعنى **التذلل للأمر** سرعة القبول وشدة الإذعان والانقياد للشرع، وافق الغرض أو خالف. ومعنى **الاستسلام للحكم** الرضى بما يجريه الله تعالى من تصاريف القضاء وافق الهوى أو خالف. ومعنى **الاتضاع لنظر الحق** ذبول النفس وسكون الجوارح وانكسار القلب عند استشعاره نظر الحق سبحانه إليه.

قال الشيخ: **والدرجة الثانية ترقّب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، وتنسم نسيم الفناء.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها في الخشوع، فإن الأولى خشوع انقياد للأمر اللازم الواجب واستسلام للقضاء الواقع، وهذا سكون وهمود وهدوء لترقُّب آفات النفس في أثناء حركاتها وسكونها ومعرفة آفات الأعمال وقت دخولها وتمييز الحق من الباطل ومعرفة الحق لمستحقه.

وقوله: **ترقب آفات النفس** يعني رياءها وعجبها وكبرها وغرتها وسكونها لعملها ونسيانها الحق سبحانه المنعم عليها به.

وأما رؤية الفضل لكل ذي فضل عليك فله فوائد عديدة بالنظر إلى الحال

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والمآل: أما فوائده في الحال فالإنصاف في الخصام، ومبادأته بالسلام، واستماع الكلام، وقبول النصح منه من غير اهتمام، ومتى رأيت لنفسك عليه فضلاً لم تنل شيئاً مما ذكرنا.

وأما فوائده الأخروية فنظرك للمآل، وما الذي يصير إليه أمرك وأمر غيرك في الاستقبال، ومن الذي يختم له بالحسنى فيهنى، ومن الذي يختم له بضدها فيُعزى. وإذا كان الأمر عنك مغيباً فرؤيتك الفضل لنفسك على غيرك عين الجهل والغرور، والتزين بلباس الزور. وإذا قل قدر نفسك في عين قلبك عظم قدر ربك فيه وتنسمت نسيم الفناء عن غيره.

قال الشيخ وفقه الله: **والدرجة الثالثة حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل.**

قلت: وهذه الدرجة أتم، فإن ما قبلها هدوء لترقب آفات النفس والأعمال، وهاهنا لترقب كمال الأدب ومراعاة حرمة الإقبال، وتصفية الوقت عن رؤية الأغيار بكمال التعظيم والإجلال، والتبري عن الأعمال، ورؤية الفضل لله والكمال.

وأما حفظ الحرمة عند المكاشفة فدوام الاستحياء، والتذلل واللجاء، وإيثار الوقت والحال على ما يخطر بالبال، لكمال الجد في الإقبال، وعنه يصفو الوقت عن الالتفات إلى الخلق فضلاً عن مراءاتهم، وعنه يرى الفضل لله لا لغيره وهو **تجريد رؤية الفضل.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[15]. باب الإخبات

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: الآية 34] . **الإخبات من أوائل مقام الطمأنينة، وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد والشرود.**

قلت: يعني وجود السالك راحة المعرفة بالله والاستحياء منه، ومن وصل إلى هذه الحالة بعُد في حقه الرجوع إلى الشهوات العاجلة والشرود عن الطاعات الفاخرة لما استعاض عن ذلك من اللذات وتمكن فيه من القرب والمناجاة.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تستغرق العصمة الشهوة، وتستدرك الإرادة الغفلة، ويستهوي الطلب السلوة.**

قلت: وهذا بالغ فإنه داخل إذا كان معنى الإخبات الطمأنينة والأمن؛ فمن قوي في هذا الأمر استغرقت عصمته في الآداب ما يطرق قلبه من أنواع المشاهدة للأغيار لقوته، وتستدرك إرادته بقوة عزمه سائر أنواع الغفلة أي تذهبها وتهلكها، وتستهوي أي تتلف وتسقط قوة طلبه كل سلوة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية ألا ينقض إرادته سببٌ، ولا يوحش قلبه عارض، ولا تقطع الطريق عليه فتنة.**

قلت: وهذه الدرجة في الطمأنينة والثبوت أرفع مما قبلها، فإن الأولى من الإرادتين قويت حتى أذهبت الغفلة، وهذه أبلغ في القوة بحيث لا يغيرها سبب من الأسباب ولا يستوحش قلبه لعارض من العوارض الطارئة المشوشة للقلوب ولا تقطع عليه طريق سلوكه وجدّه فيه فتنة من الفتن المشغلات من المحبوبات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة أن يستوى عنده المدح والذم، وتدوم لائمته لنفسه، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذا أبلغ في السكون مع الله سبحانه والطمأنينة إليه، فإن من عرف الله سبحانه وأنه لا ضار ولا نافع سواه علماً يقيناً حتى صار له حالاً، استوى عنده مدح الخلق وذمهم ولا يرى حسناً إلا من ربه تعالى ويقوى جده في طلب رضاه. ونفسه مائلة بطبعها إلى الراحات نافرة عن المشقات فتدوم لائمته لها؛ وإذا اشتغل بالثناء على ربه وذم نفسه، عمي عن عيب غيره. قال الشيخ رحمه الله:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[16]. باب الزهد

قال الله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هُود: الآية 86] **الزهد إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية.**

قلت: وما ذكره من الاستدلال بالآية على بُعدٍ، وجهه هو أن الله سبحانه إنما زهد العباد في الفضول لا في المحتاج إليه شرعاً، فما أبقاه الله للعبد وجعله حقَّه من بيت يسكنه وثوب يستره وجلف الخبز والماء(1) خير له من الدنيا وما فيها. ووجه ثانٍ أنه لا يبقى لقلب العبد تعلق بغير الله، فإذا بقي الله وحده في القلب كان فيه الخير كله.

وأما ما قاله في حده صحيح، وهو ضد الرغبة في الدنيا، قاله الجوهري في الصحاح وقاله أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية 20] أي مقلين من الرغبة في يوسف عليه السَّلام لكونهم لا يعرفون قدره عند الله. فمن عرف قدر العظيم رغب فيه، ومن عرف حقرية الحقير زهد فيه. فكذلك لا يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة إلا من عرفهما على الحقيقة وبمقدار نقصه ينقص. هذا زهد أكثر الزهاد.

وأما زهد العارفين فإن معرفتهم بالله وعظمته وعظمة ما عظمه وإفضاله عليهم زهدتهم فيما سواه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو للعامة قربة، وللمريد ضرورة، وللخاصة خسّة.**

قلت: وهذا صحيح، فإن عامة أهل هذه الطريقة والمبتدئين فيها لا يتركون

---

(1) قال الثعالبي في التفسير: قال النضر بن شميل: جلف الخبز يعني ليس معه إدام انتهى (تفسير الثعالبي، تفسير سورة القصص [3/ 185] وفي الحديث: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء». رواه الترمذي في سننه، باب 30 منه، حديث رقم (2341) [4/ 571].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

شهواتهم التي ليست بمحرمة إلا متقربين بذلك إلى الله عزَّ وجلَّ طالبين الجزاء منه عليه.

وأما المريد المجدّ في سلوك الطريق المتخلق بالصفات الحميدة والبُعد عن الصفات الذميمة، فالزهد في حقه ضرورة لا بد له منه في سلوكه، فإنه إعراض عن الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ومشغلة له عن سلوكه.

وأما العارف بالله تعالى المشتغل برؤية جماله وجلاله، ودوام مناجاته وإقباله عليه في سائر أحواله، فالتفات قلبه إلى الدنيا والزهد فيها خسة في حاله، ونزول عن مقامه الشريف وحسن مناله، من البر اللطيف.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام، بالحذر من المعتبة والأنفة من النقيصة وكراهية مشاركة الفساق.**

قلت: وهذا صحيح، فإن الزهد يصح في الحرام والمكروه والحلال، وهو في الحرام واجب وفي المكروه مهم وفي الحلال فاضل. وقوله **الزهد في الشبهة** يعني المشكلة في الحكم التي لم يتضح كونها حراماً ولا حلالاً؛ فيزهد فيها حذراً من عتاب مولاه له في أخراه على ارتكاب نهيه عن تعاطي الشبهات، وأنفةً أي حمية لدينه من وقوعه في نقيصة أو نزول درجة.

وأما **كراهية مشاركة الفساق** فتحتمل وجهين: **أحدهما** حذره من الشبهة أن تجره إلى حرام فيشاركهم في الحرام تحقيقاً وهو الفسق، و**الثاني** أن الفسق في اللغة هو الخروج فمن خرج عن الحق سمي فاسقاً. وارتكاب الشبهة مخالفة لله تعالى في نهيه فقد شارك المخالفين لله في ارتكاب نهيه وإن كان نهي تنزيه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الزهد في الفضول وما زاد على المسكة والبلاغ من القوت، باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها زهد في مشكل وهذا زهد في فضول حلال، طمعاً في التخلي من المشغلات، والتحلي بأفضل القربات.

فأما الزهد في الفضول من الدنيا فيطرد في سائر أقسامها من الطعام والشراب

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والمنام والكلام وغير ذلك من الأقسام، والفضول منه ما لم تدع العبد إليه ضرورة ولا حاجة دينية. وقوله **باغتنام التفرغ لعمارة الأوقات** يعني أن تركه للفضول يكون بهذه النية، فيصير تركه للدنيا الحلال بهذه النية قربة لله تعالى وطاعة. ولينحسم طمعه أي ينقطع تعلق نفسه بالدنيا، يقال «جأشت نفسه للشيء» إذا تشوقت إليه وتعلقت به. وقوله **والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين** يعني به الإعراض عن فضول الدنيا وأخذ الكفاف منها؛ هذه حليتهم وأخلاقهم رضي الله عنهم أجمعين آمين.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة في الزهد بثلاثة أشياء: باستحقار ما زهدت فيه، واستواء الحالات عندك، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادي الحقائق.**

قلت: وقوله **الزهد في الزهد** فيه نظر، فإن الزهد مقام شريف فكيف يزهد فيه؟ ومعناه إعراض القلب واستصغاره لحال الزهد لكمال اشتغاله بربه، واستواء وجود الدنيا وعدمها عنده، ذهاباً عن شهود ذلك وغيره من الأسباب الجارية عليه لما غلب على قلبه من نظر الحق سبحانه إليه وانفراده بالفعل تعالى وهو وادي الجمع. قال الشيخ رحمه الله:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[17]. باب الورع

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدَّثِّر: الآية 4] . **الورع توق مستقص على حذر أو تحرج على تعظيم، وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للخاصة.**

قلت: الذي يقتضيه الترتيب للمقامات أن يكون الورع قبل الزهد والزهد بعده؛ ورتب الشيخ الأمر على خلاف ذلك، ثم قال **إنه آخر مقامات الزهد للعامة** فجعل الورع آخر مقامات الزهد. ويحتمل ما قاله الشيخ وجهاً وهو أن العامي لا يمكنه التحلي بشيء من الترك للمنهيات من الشبهات والمكروهات إلا بعد تقديم الزهد في الحرام عليه، فإذا زهد فيه أمكنه أن يترك ذلك ورعاً. فيكون غاية مقام العامي من الزهد الزهد في الشبهات، وهذا هو أول ما يزهد المريد فيه حتى يزهد في نفسه. ثم ينتقل العبد إلى الزهد في غير الله سبحانه فيكون الورع على هذا التقدير **أول مقامات الزهد للخاصة**، وتحصيله أن الورع في المشكل والمتشابه آخر مقامات العامة في الورع وهو أول مقامات الخاصة.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تجنب القبائح لصون النفس، وتوفير الحسنات، وصيانة الإيمان.**

قلت: وهو صحيح، فإن أول الورع الورع الواجب، والقبائح ارتكاب المحرمات، والإخلال بالواجبات، يصون المتجنب لها نفسه عن العذاب دنيا وأخرى. ويوفر حسناته لكيلا تذهب في المقاصة في يوم الجزاء، ويحفظ إيمانه من النقص بدوام مخالفة المولى، ويصير في صورة المنكر لما جاءت به الأنبياء، وإن كان مصدقاً بالنبوة ويوم الحشر لفصل القضاء، فإن الإيمان يزيد وينقص بالطاعات والمعاصي، كما صح من مذهب أهل الدين والنُّهى.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به، إبقاءً**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

على الصيانة والتقوى، وصعوداً عن الدناءة، وتخلصاً عن اقتحام الحدود.

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإنها ورع عن متشابه أو حلال خشيةً من الوقوع بالتمادي في الغفلة به في شيء من الاختلال، والأولى ورع عن محرم بلا إشكال. فيقف **عند ما لا بأس به،** حفظاً لصيانة حاله مع ربه، واتقاءً لشيء من مشوشات قلبه، وارتقاءً عن دناءة الأخلاق، وخلاصاً من مواقعة الحدود ومزاحمة الرسوم؛ فإن من طاف حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض حال الجمع.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإنه تورع عن الفضول من الأفعال، صيانةً عن الوقوع في شيء من الاختلال، وهذه ورع عن الخواطر الداعية إلى شتات الأوقات وتفريق البال، والبُعد عن كل عارض يعارض مقام الجمع، وهو إفراد الحق بالقلب والطلب، والإعراض عن كل عمل أو سبب.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[18]. باب التبتل

قال الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: الآية 8] . **التبتل الانقطاع إليه بالكلية وقوله عزَّ وجلَّ:** ﴿إِلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 178] **دعوة إلى التجريد المحض.**

قلت: البتل القطع، والتبتل تفعّل منه؛ فأمر سبحانه الخلق بتكلف أسباب الانقطاع إليه بالقلب حتى يخلص العمل له لا لغيره، وهو التجريد المحض.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفاً أو رجاءً أو مبالاة، بحسم الرجاء بالرضاء وقطع الخوف بالتسليم ورفض المبالاة بشهود الحقيقة.**

قلت: وهذا كلام بالغ، فإن أول الانقطاع الانقطاع عن الخلق بالقلب، وعبر الشيخ عنهم بالعالم فإنه عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، فينقطع عن حظوظه فيه وعن رؤيته له، وهذه اللحوظ لحوظ استحسان له. فلا يخاف شيئاً منه سوى ما خوّفه منه مولاه، ولا يرجو سوى ما رجّاه، ولا يبالي بما فاته منه إذا صح له وجود مولاه. فيحسم رجاءه لخلاف ما وقع له برضاه بالمقسوم، ولا يمنعه هذا عن الرجاء لما وعده به ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] . ويقطع خوفه من آفات العالم بالتسليم، ويرفض عن قلبه المبالاة بما فات من نعيمه لما حصل له من شهود الحقيقة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس، بمجانبة الهوى وتنسم روح الأنس وشيم برق الكشف.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ذلك انقطاع عن الخلق وإعراض عن خوفهم ورجائهم، وهذا انقطاع عن النفس بمجانبة هواها وتنسم رائحة الأنس بالمولى ومطالعة **برق الكشف** أي مبادئه وأوائله.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الاستقامة والاستغراق في قصد الوصول والنظر إلى أوائل الجمع.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإنه انقطاع عن النفس إلى الله بمجانبة الهوى، وهذا انقطاع إلى الحق مع كمال الاستقامة في الأدب معه والنظر لما يجريه الله سبحانه عليه بعين السبق والتقدير، وطلب الاستغراق والتكلف له بالجد والتشمير، قصداً للوصول إلى الغيبة عن غير الله في الله ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحَجّ: الآية 62].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[19]. باب الرجاء

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ **[الأحزاب: الآية 21]. الرجاء أضعف منازل المريد، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه. وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة، إلا ما فيه من فائدة واحدة ولها نطق باسمه التنزيل والسُنَّة ودخل في مسالك المحققين، وتلك الفائدة أنه يفتر حرارة الخوف حتى لا يعدو إلى الإياس.**

قلت: وهذا كلام بالغ، وذلك أن الرجاء إنما يكون على الأعمال ورؤيتها، والخواص لا التفات لهم إلى أعمالهم لغلبة رؤية فضل الحق عليهم.

وأما كونه معارضة من وجه فإن الراجي يخصص بإرادته ما يرجوه ويريده وما يدريه أن يكون مراد الحق به غير ذلك فأشبه المعارضة في المراد؛ وإذا كان في حال اختاره له مولاه وتمنى سواه كان اعتراضاً من وجه.

وأما كونه وقوعاً في الرعونة فمن حيث استحسان حاله التي رجا عليها الثواب؛ ومتى رضي العبد حاله فتر عن الجد والطلب وهي الرعونة.

قال الشيخ رحمه الله: **وإنما طلبه الحق في كتابه وأثنى على المتصف به رسوله عليه السَّلام لكونه يكسر الخوف الشديد ويسكنه، ويعصم الله به من الوقوع في القنوط من رحمة الله والإياس من روح الله لهذه الفائدة خاصة.**

قلت: وهذا فيه نظر، فإن فوائد الرجاء عدة، منها الحمل على الأعمال، ومنها تعلق الهمم بما يشرف من الأحوال، فكيف لا والكمال، استواؤه مع الخوف في القلب لصفاء العلم ولاتساع المعرفة بصفات ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 78].

قال الشيخ رحمه الله: **والرجاء على ثلاث درجات: الدرجة الأولى رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولد التلذذ بالخدمة، ويوقظ لسماحة الطباع بترك المناهي.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذا صحيح، فإن الرجاء متى قوي في القلب حمل على الاجتهاد في التسبب للوصول إلى المرجو المراد. وإذا اجتهد وتكررت منه الأعمال، خفت عنه الكلف ورزق اللذة فيها. وإذا التذ العبد بالطاعات، هان عليه ترك المشغلات، من الشهوات المباحات، فضلاً عن المحرمات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية رجاء أرباب الرياضات أن يبلغوا موقفاً تصفو فيه هممهم، برفض الملذوذات، ولزوم شروط العلم، واستقصاء حدود الحمية.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة متعلق الرجاء، فإنه هناك متعلق بزيادة الأعمال بالاجتهاد ليشغله ذلك عن الشهوات، المحرمات والمباحات، ولتلذ له الطاعات، ورجاؤه هنا متعلق بالترقي في الدرجات، وحصول صفاء الأحوال والمقامات، فلا ملذوذ من المشتهي يصرفهم أو يوقفهم. وهم قائمون لمولاهم بشروط العلم فيما أمرهم به أو نهاهم، بالغون في ذلك غاية إمكانهم من ترك الشبهات، والتحصن من الآفات بالقربات، وهو المعبر عنه **باستقصاء حدود الحمية**.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة رجاء أرباب طيب القلوب، وهو رجاء لقاء الحق عزَّ وجلَّ، الباعث على الاشتياق المنغص للعيش المزهد في الخلق**.

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة أن الرجاء فيما قبلها متعلق بتصفية الأحوال، والتحصن من الاختلال، وهذا رجاء متعلق بدوام الإقبال، والنظر إلى ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] . فينغص للمتصف به الحياة، ويحبب إليه هجوم الممات، ويقوي منه القلق للاشتياق، الهائج بقلبه في حصول التلاق.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[20]. باب الرغبة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبيَاء: الآية 90] . **الرغبة ألحق بالحقيقة من الرجاء، وهي فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق.**

قلت: وإنما كانت ألحق بالحقيقة منه من جهة أن الرغبة في الشيء إنما تكون بعد امتلاء القلب به وبكمال صفاته وغلبة ظن بحصوله وقوة العزم بكونه ووقوعه بخلاف الرجاء للشيء، فإنه يجوز أن يكون مع تيسر أسبابه خاصة. والحقيقة عند القوم غلبة الأحوال والجد في الطلب، كما قال حارثة: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وإلى أهل النار في النار يتعاوون هـ.[1] فسأله عليه السَّلام عن حقيقة الإيمان. فأجابه بغلبة الأحوال، فرضي منه بذلك عليه السَّلام. ولذلك قال الشيخ: **لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق.**

قال الشيخ رحمه الله: **والرغبة على ثلاث درجات: الدرجة الأولى رغبة أهل الخير تتولد من العلم، فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود، وتصون السالك عن وهن الفترة، وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص.**

قلت: وهذا بالغ، فإن من كملت رغبته في تحصيل الخيرات بعد معرفتها ومشاهدة كمالها، حمله ذلك على الاجتهاد في تحصيلها. وصانه ذلك عن الكسل والفتور عنها والرجوع إلى الرخص البعيدة من أحوال أهل الجد فيها. ولذلك قال الشيخ **غثاثة الرخص** يعني ضعيفها ونازلها، كما يقال للذي لم يتحفّظ في كلامه «أتى بالغث والسمين في حديثه».

---

(1) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية رغبة أرباب الحال، وهي رغبة لا تُبقي من المجهود إلا مبذولاً، ولا تدع للهمة ذبولاً، ولا تترك غير المقصود مأمولاً.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن الأولى رغبة حملت على الاجتهاد وصانت عن الفتور عن الأعمال، وهذه رغبة بذلت كل المجهود وحفظت الهمة عن الذبول وهو الانكسار فضلاً عن الاختلال. فيبذل صاحب هذه الدرجة من نفسه كل مجهود، وتعلو همته فلا يُقصر عن تحصيل المقصود، ويفرده بالقصد حتى لا يبقى لغيره عنده في الإدراك وجود.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة رغبة أهل الشهود، وهي تشرفٌ تصحبه تقية، وتحمله همة نقية، ولا تبقى معه من التفرق بقية.**

قلت: وهذه الحالة أوضح في الرفعة مما قبله من حيث تعلقها بمشاهدة الحق سبحانه ودوام النظر إليه.

قوله **تشرفٌ** أي تطلع وملاحظة بالقلب إلى عظمة الرب تعالى مع دوام الهيبة له، وهو قوله **تصحبه تقية** أي حذر وهيبة. ثم **تحمله** على التشرف **همة نقية** أي خالصة من طلب غيره، لا يبقى معها لغيره ذكر ولا خطور ولا التفات لحظ نفس بشيء كامل ولا بقية، وهو المراد بنفي التفرقة عن القلب، وتكون الهمة مجموعة مع الحق سبحانه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[III ـ قسم المعاملات]

وأما قسم المعاملات فهو عشرة أبواب، وهي: الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم. قلت: وهذه العشرة الأقسام إنما جعلها من قسم المعاملات وما قبلها من قسم الأبواب من حيث إن العبد قد خرج من سلك الغافلين ودخل في جملة المشتغلين، المتخلقين بجميل أخلاق المقربين؛ فهم بهذه السجية معاملون لمولاهم، عاملون في الخلاص من أسر أنفسهم وهواهم.

فمنهم من تكون معاملته الغالبة على حاله رعاية الحركات والسكنات، والتفريق بين الواجب والمندوب والمحظور والمكروه وغيره من المباحات، فيسلم من الآفات، ويسعد بتحصيل ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: الآية 46].

ومنهم من تكون معاملته مراقبة مولاه في الأنفاس واللحظات، واستشعار نظره إليه في عموم الأوقات.

ومنهم من يعمله بعد المراقبة له بتحصيل مقام الإجلال له والإعظام، وملازمة الأدب معه والاحترام. ومنهم من يعامله بتحصيل مقام الإخلاص، بالجد في الخروج عن الالتفات إلى الخلق وحظوظ نفسه، طمعاً في الخلاص وخوف الانتقاص.

ومنهم من تكون معاملته تهذيب أخلاقه، والسعي في الخلاص من عوائده، ليتخلص من المشغلات، وينجو من الآفات.

ومنهم من تكون معاملته حفظ استقامته، والتمسك بجميل حالته، خوفاً من غلبة نفسه وعدوه فيرجع إلى عادته، من قبل توبته وإنابته، على حسب مقامه من ربه ودرجته.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ومنهم من تكون معاملته بعد إصلاح ظاهره تحسين باطنه، بحسن الاعتماد على مولاه، فيما يحتاج إليه من أمر دنياه وأخراه، ويسعى في قطع التفات قلبه إلى الأسباب، وإن كان في وقت يلابسها فلأمر مولاه، لا لخوف تأخر مضمون لو لم يأته العبد لأتاه.

ومنهم من تكون معاملته في تحصيل مقام تفويض الأمور إليه، والخروج عن اختياراته إلا ما أمره به أو دعاه إليه.

ومنهم من يحصل لنفسه فراغ القلب من هم التقدير، واختياراته والتدبير، ويتراقى عن اختيار التفويض ويبقى بحسن اختيار مولاه، ويسلم الأمر إليه تسليم العاجز عن النظر لنفسه لعلمه بجهله وعلم مولاه، ولنقصه وكمال من خصه بذلك وتولاه. وبين مقام التفويض والثقة والتسليم تقارب في المعنى يظهر في موضعه إن شاء الله.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[21]. باب الرعاية

قال الله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحَديد: الآية 27] **الرعاية صون بالعناية.**

قلت: وهذا حد بالغ في مقصوده، فإنه متى كانت الصيانة للشيء خالية عن العناية لم تحصل صيانة كاملة، وما تلف حاصل دنيوي أو أخروي غالباً إلا من قلة العناية في الصيانة. ويجوز التلف مع كمال العناية إذا جرت به الأقدار، ولذلك قلنا غالباً أي كثيراً.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى رعاية الأعمال، والدرجة الثانية رعاية الأحوال، والدرجة الثالثة رعاية الأوقات. فأما رعاية الأعمال، فتوفيرها بتحقيرها، والقيام بها من غير نظر إليها، وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها. وأما رعاية الأحوال، فهي أن يعد الاجتهاد مراءاة، والنفس تشبعاً، والحال دعوى. وأما رعاية الأوقات، فأن يقف مع خطوه، ثم أن يغيب عن خطوه بالصفاء من رسمه، ثم أن يذهب عن شهود صفوه.**

قلت: فأما رعاية الأعمال فقوله **فتوفيرها بتحقيرها**، أي تكون كاملة محفوظة من النقائص شرعاً، وتكون في عين فاعلها حقيرة قليلة بالإضافة لما يليق بجلال الله عزَّ وجلَّ. وكذلك يقوم لله بها، مع غيبته عنها غيبةً عن استحسانها والسكون إليها، لا غفلةً عن المعرفة بصحتها وكمالها. ولذلك قال: **وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها.**

قلت: وقوله **وأما رعاية الأحوال، فهو أن يعد الاجتهاد مراءاة، والنفس تشبعاً، والحال دعوى،** فمعناه أن المجتهد، إذا رأى نفسه واجتهاده فهو التفات لغير الله، فمراعاة حاله أن يعد التفاته لاجتهاده مراءاة من حيث خطور غير ربه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بقلبه. وكذلك يعدّ نفسه تشبعاً بما لا يملك، بل كماله كتم أحواله فلا يظهر منه نفَس ولا إشارة. وكذلك يعد حاله، وإن كان كاملاً، دعوى فيما لا يملك، فإن حقه أن ينسبه إلى الحق خالقه ومجريه.

قلت: وقوله **وأما رعاية الأوقات فأن يقف مع خطوه، ثم أن يغيب عن خطوه بالصفاء من رسمه، ثم أن يذهب عن شهود صفوه،** فمعناه ألا يجاوز نظره موضع قدمه، ولا يرتقي من مقام حتى يحكمه. ولهذا قيل «الصوفي ابن وقته»، لا التفات له إلى ماضٍ ولا مستقبل. ثم يرتقي بصفاء حاله وبُعده عن نفسه ورسمه، حتى يغيب عن ذكر مقامه وهو خطوه. ثم يرتقي حتى يذهب عن ذكر صفائه، شغلاً بربه تعالى عن تذكر حاله وكماله.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[22]. باب المراقبة

قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدّخَان: الآية 59] **المراقبة دوام ملاحظة المقصود.**

قلت: **قوله دوام ملاحظة المقصود** فيه تنبيه على أن المراقبة فيها زيادة معنىً على العلم، فإنه من علم شيئاً ثم أعرض عنه أو نسيه، صح أن يسمى عالماً به وإن لم يدم علمه به. ولا تكررت عليه العلوم به بخلاف المراقبة، فإنها تشعر بدوام النظر إلى المقصود المراقب به، وهذا يقتضي تكرار النظر. وقد قال الجوهري في كتابه الملقب بالصحاح: الرقيب هو الموكل بالضريب وهو الذي يضرب بالقدح هـ، فيكون الرقيب مشرفاً عليه دائم النظر إلى فعله.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى مراقبة الحق في السير إليه على الدوام، بين تعظيم مُذهل ومداناة حاملة وسرور باعث.**

قلت: وهذه المراقبة مراقبة السالك المجدّ الكامل العارف بربه؛ فإنه بدوام جده سائرٌ، وتعظيم مولاه في قلبه متمكنٌ، ولعقله عن ذكر غيره غالب قاهرٌ، ولوائح القرب وأنس الوجد له حاملٌ، وتنعمه بما وجده من السرور بمولاه باعثٌ له على الخير وعن كل مشغل زاجرٌ.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية مراقبة نظر الحق إليك، برفض المعارضة، وبالإعراض عن الاعتراض، ونقض رعونة التعرض.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة أنها **مراقبة نظر الحق إليك،** فتثمر لك الإجلال له والحياء منه، والأولى مراقبة سلوك بالأعمال إليه بالجد والارتقاء، وشتان بين جاهد في الطلب وواجد للأرب.

وقوله **برفض المعارضة** يعني ما يعترض للقلب من الخواطر المشغلة. **وبالإعراض عن الأعواض** يعني طلب الجزاء على أعماله المستحسنات. **ونقض**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

رعونة التعرض يعني التعرض على ما يرد على قلبه من أفعال ربه فيه، بنقض الاختيارات، لدوام علمه بنظر الحق إليه في سائر الحالات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالاً لعلم التوحيد، ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد، ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الثانية مراقبة نظر الحق إليك وهو مقام الإحسان أن تعبد اللّٰه كأنك تراه، وهذه المراقبة مع الحضور مع الحق بالقلب وترقب ما يظهر مما سبق به علمه وهو علم التوحيد، أعني التحسس لما تجريه الأقدار، مما سبق في العلم القديم بدلالة الآثار، يتصفح ذلك الموفق في سائر الحوادث فيه وفي غيره من الأخيار والأشرار. ثم ينتقل من هذا المقام إلى الغيبة عن كونه مراقباً، شغلاً بالمراقب وهو قوله **الخلاص من ربطة المراقبة**.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[23]. باب الحرمة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحجّ: الآية 30] **الحرمة هي التخرج عن المخالفات والمجاسرات.**

قلت: الحرمة وجود تعظيم في القلب يكون عنه ما ذكره من التحرج عن المخالفات، والحجز عن التجاسر على الإخلال ببعض الأدب في شيء من الأوقات.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهي، لا خوفاً من العقوبة فيكون خصومة للنفس، ولا طلباً لمثوبة فيكون متشوقاً للأجرة، ولا مشاهداً للجد فيكون متزيناً للمراءاة؛ فإن هذه الأوصاف كلها شُعَب من عبادة النفس.**

قلت: وهذا صحيح، فإن العبد متى كان شديد التعظيم والاحترام للأمر والنهي، دل ذلك على عظمة الآمر والناهي في قلبه، وحصل من العبد الامتثال لعظمته وإن لم تخطر بقلبه عقوبته ولا إثباته. فإن العبد العامل خوفاً من العقاب صار امتثاله لأجل العقاب، فأشبه خصومة بين شخصين فيذعن أحدهما للآخر لأجل غلبته له وقهره، والعبد المملوك لسيده، ينبغي أن يكون ممتثلاً لحق أمره وملكه. وكذلك من يعمل رجاء الجزاء والثواب يشبه المستأجرين الأحرار، وليس هذا نعت العبيد العارفين بقدر العبودية. وكل هذا من رؤية النفس والنظر لحظّها وحقها، ومن كمل في حاله لم يشاهد جد نفسه فيكون متزيناً بالمراءاة؛ ويعني بالمراءاة رؤية النفس لا مراءاة الخلق، ومن هذه الجهة كانت شُعَباً من **عبادة النفس**، أي تعظيمها وطلب الجزاء لها على عملها واستحسان ما يبدو منها.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية إجراء الخبر على ظاهره، وهو أن يُبقي أعلام توحيد العامة الخبرية على ظواهرها، لا يتحمل البحث عنها تعسفاً، ولا**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يتكلف لها تأويلاً، ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلاً، ولا يدعي عليها إدراكاً أو توهماً.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الأولى تعظيم الأمر والنهي واحترامهما للحمل على الأعمال، وهذه الدرجة احترام لأدلة الأحكام، فإن الأعلام هي الأدلة، فيمرها على ما جاءت، لا يتعرض لها بتأويل، ولا يحملها على تمثيل. وهذا والله أعلم في الأخبار المتعلقة بالاعتقادات التي توهم التشبيه المتضمنة للنزول والمجيء واليد والأصابع، وكذلك الآيات المتضمنة للاستواء والوجه واليد وغير ذلك.

فمذهب بعض الأئمة إمرارها كما جاءت مع نفي ظواهرها وما توهمه من التشبيه والتمثيل، ويُمسكون عن التأويل.

ومنهم من يحمل اللفظ على محمل شائع بعد القطع بنفي الظاهر الموهم. فالشديد الاحترام يكف عنها، إذا لم تدع إلى تأويلها ضرورة ولا خشي من السكوت عن التأويل دخول فتنة على العامة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة، وصيانة السرور أن يداخله أمن، وصيانة الشهود أن يعارضه سبب.**

قلت: وهذا في الاحترام أرفع مما قبله، فإنها حرمة حضور مع الحق. فتصون حرمته انبساطه مع الحق أن تشوبه جرأة فيخرج عن الأدب، وتصون سروره به أن يزاحمه أمن من مكره وإبعاده، وتصون شهود قلبه له أن يعارضه سبب يشغله عنه أو يغفله.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[24]. باب الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: الآية 3]. **الإخلاص تصفية العمل من كل شوب.**

قلت: قوله **تصفية العمل من كل شوب** أمر عام شامل للرياء والعجب والكبر والغرة وسائر ما يشوب العمل من حظ النفس، سواء كان الشوب مبطلاً أو غير مبطل، فإن كان مبطلاً للعمل عصي فاعله. وبطل عمله كالرياء إذا دخل العبد العمل عليه، ومنه ما يعصي بفعله؛ ولا يبطل العمل كالغرة بالعمل والتكبر به والعجب، على خلاف في العجب هل يبطل العمل أم لا، وجميع ذلك شوب.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى إخراج رؤية العمل من العمل، والخلاص من طلب العوض على العمل والنزول عن الرضاء بالعمل.**

قلت: وهذه الدرجة في الإخلاص أعلى مما قبلها من الخلاص من الرياء والعجب، وإن لم يذكره الشيخ. فإن رؤية العمل وسكون النفس إلى ما أجراه الله عليها من الطاعات، ليس برياء ولا عجب بالعمل، وإخراج رؤية العمل والسكون إليه أولى. فإنه في درجة الخواص نقص لأنه اعتماد على غير الحق، بل نظرهم إلى فضل مولاهم عليهم في سائر الحركات والسكنات، فهم غافلون عن أنفسهم وإضافة شيء إليها لاشتغالهم بذلك. وبهذا يتخلص العبد من طلب الجزاء على العمل، إذ هو غريق في بحر النعم وأعمالهم من جملة النعم عليه.

وقوله **والنزول عن الرضى بالعمل** أي لا تقنع نفسه به ولا ترضاه في حق مولاها والتقرب به إليه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الخجل من العمل مع بذل المجهود،**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

قلت: وهذه الدرجة في الإخلاص والسلامة من الشوائب أرفع مما قبلها، فإن الدرجة الأولى خلاص من رؤية العمل وطلب الجزاء عليه، وهذه الدرجة استحياءً من رؤية العمل بعين الفضل لله مع التقرب به إليه. فكأنه في تحقيق المثال عبد يهدي لمولاه بعض ما أنعم عليه به وأولاه، فالخجل والحياء غالب على قلبه وقت تقربه. ولو بالغ فيما يتقرب إليه به، فيوفر اجتهاده ويخلصه بالاحتماء من رؤيته، بل يرى اجتهاده في أعماله بنور التسديد والتوفيق، جارياً عليه من عين الكرم والجود بالتحقيق.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة إخلاص العمل بالخلاص من العمل، تدعه يسير مسير العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم، حراً من رق الرسم.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الأولى خجل من العمل لقلته بالنظر إلى جلال المولى ولعدم صلاحيته للمتقرب إليه به، وهذه الدرجة تخليص العمل من رؤيته له فضلاً عن قلته وكثرته أي شغلاً عنه بمجريه عليه تعالى. ويعني بكونه لا يراه رؤية استحسان وكمال من جهة العبد وحسن فعله، وإن كان يراه صحيحاً شرعاً واقعاً على شرطه فضلاً من ربه. ولذلك قال: **تدعه يسير مسير العلم** أي يكون عندك صحيحاً لا غير؛ **وتسير أنت مشاهداً للحكم أي ناظراً لما سبق من حكم الله فيك، شاكراً لما منّ عليك به، حراً من رق الرسم** أي نظرك لنفسك وأعمالها.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[25]. باب التهذيب

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية 76].

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن التهذيب أن ينقلك الحق من حال إلى حال أرفع منه حتى تصل به إليه.

قال الشيخ رحمه الله: **التهذيب محنة أرباب البدايات، وهو شريعة من شرائع الرياضة؛ وهو على ثلاث درجات:**

قلت: قوله **محنة أهل البدايات** أي هو بلية عليهم، في نقل أنفسهم عن عوائدها الذميمة وأخلاقها المعتادة في زمن الغفلة، كلفة ومشقة وابتلاء وامتحاناً. **والشريعة** الطريقة، أي التهذيب بعض طرق الرياضة.

قال الشيخ رحمه الله: **الدرجة الأولى تهذيب الخدمة، ألا تخالجها جهالة، ولا تشوبها عادة، ولا تقف عندها همة.**

قلت: وهذا صحيح، فإن من هذب عبادته وحسّن طاعته، أوقعها على أكمل وجوهها الشرعية. فلا يخالجها جهل ويكون قيامه بها لله تعالى ولأمره، **فلا تشوبها عادة** أي تخالطها، وتكون همته فوق ما عمله من الطاعات، متعلقة بأرفع المندوبات؛ وهو مراده والله أعلم بقوله: **لا تقف عندها همة.**

قال الشيخ: **والدرجة الثانية تهذيب الحال؛ وهو أن لا يجمح الحال إلى علم، ولا يخضع لرسم، ولا يلتفت إلى حظ.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها تهذيب أعمال وهذه تهذيب أحوال، ولا يصل إلى تهذيب الأحوال إلا من تحقق في الأعمال. وقوله **وهو ألا يجمح الحال** أي ذو الحال **إلى علم** أي يحفظ حاله أن يرجع إلى محض العلم، فيخرج عن الحال إلى العلم به، ويزعم أنه في حال وقد خرج منه إلى غيره فيكذب. وإذا كانت النفس في الحال تحقيقاً وذوقاً أو وجداً أو وجوداً، على

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

حسب الوارد عليها وتمكنها، لم تخضع أي تذل أو تفتر عن حالها لرسم من الأغيار ولا تلتفت لحظّ النفس.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تهذيب القصد؛ وهو تصفيته من ذل الإكراه، وتحفظه من مرض الفتور، ونصرته على منازعات العلم.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن العبد، إذا هذّب أعماله وأحواله وفرغ من شغله بنفسه، جرد قصده في التوجه لربه. فتهذيبه وتحسينه أن يصفيه بكمال المحبة والشوق عن ذل الإكراه والحمل بسياط الترغيب والترهيب، ويحفظه بعد تحركه وإقباله عن مرض الفتور إلى أن يصل إلى المطلوب، وينصره على منازعات العلم الداعية إلى الرفق بالنفس، فيفوته انتهاز مَن فتح له باب من الخير بخلاف المجاهد لنفسه المكروب، فإن الرفق في حقه بها مطلوب، خوفاً عليها من النفور عن الطاعة والهروب.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[26]. باب الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فُصِّلَت: الآية 6] **قوله عزَّ وجلَّ:** ﴿إِلَيۡهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 178] **إشارة إلى عين التفريد؛ والاستقامة روح تحيا بها الأحوال، كما تربو للعامة عليها الأعمال، وهي برزخ بين وهاد التفرق وروابي الجمع.**

قلت: قوله **والاستقامة روح تحيا بها الأحوال** يعني أنها حالة نشاط يعيش بها قلب العبد فيستقيم حاله مع مولاه. وحقيقة الاستقامة الاعتدال على الطريق الحق المطلوب؛ فتارة يستقيم عمل العبد الموزون بالعلم الواقع على وجهه من فاعله، وتارة يستقيم حاله الغالب عليه في وقته الموصل له إلى مطلوبه.

وقوله **وهو برزخ بين وهاد التفرقة** يعني المواضع الوطية، **وروابي الجمع** يعني أعاليه؛ فهو لقوة حاله ناظر إلى مقام الجمع، وبالنظر لأعماله مفرق في الأغيار.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، لا عادياً رسم العلم، ولا متجاوزاً حدّ الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السُنَّة.**

قلت: وهذا بالغ، فإن المجتهد في الأعمال، إذا لم يكن في عمله إخلاص لله تعالى، فهو مجتهد في إهلاك نفسه؛ وإذا لم يكن اجتهاده مقروناً باقتصاد، تعرّض باجتهاده للانقطاع، فإن «المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». ولا يتم له إخلاصه لربه واجتهاده باقتصاده في عمله، إلا إذا كان محروساً بسُنَّة نبيه عليه السَّلام.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية استقامة الأحوال؛ وهي شهود الحقيقة لا كسباً، ورفض الدعوى لا علماً، والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظاً.**

قلت: وهذا بالغ أيضاً وهو أتم من الأول، فإن استقامة حال السالك

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المشاهد للحقيقة غلبة ذلك عليه، حتى يغفل عن كسب نفسه ويصير محلاً لفعل ربه وإذا بلغ إلى هذا المقام، رفض دعوى ما هو فيه رفض حال لا رفض علم؛ فإن العبد يعلم أن كل ما هو فيه من فضل ربه، ومع ذلك تدّعيه نفسه كسباً لها وإضافةً، فاستقامته في حاله رفض الدعوى حالاً. ومتى رفض العبد الدعوى حالاً، وأضاف حاله لمسديه تحقيقاً، بقي في نور هذه اليقظة من غير تكلف ولا تحفظ من الغفلة لكمال يقظته وتبريه من حوله وقوته.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة بترك رؤية الاستقامة، وبالغيبة عن تطلب الاستقامة، بشهود إقامة الحق وتقويمه عز اسمه.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإنها استقامة مع الحق وما قبلها استقامة في طلب الحق وبالحق عملاً أو حالاً. واستقامته في هذا المقام غيبته عن رؤية استقامته وعن رؤية كونه طالباً للاستقامة، لغلبة رؤية قلبه أن الله أقامه وقومه. فهو مُقام في استقامته، بعيد عن رؤية حاله ورتبته، لما غلب على قلبه من رؤية الحق وعظمته، عزَّ اسمه وجلَّ جلاله.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[27]. باب التوكل

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 23] **التوكل كلة الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته.**

قلت: ومالك الشيء هو المقتدر عليه العالم بجهات مصالحه، ومنه «مالك العجين» إذا قدر عليه وأصلحه.

قال الشيخ: **وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة، لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه وآيس العالَم من ملك شيء منها.**

قلت: وهو صحيح، لأن هذا المعنى إذا تمكن في قلب العارف، أعرض عن الأسباب بالكلية واعتمد على الله بقلبه وهو حقيقة التوكل. فمن هذا الوجه كان **أوهى سبل الخاصة** أي أضعفها وأخفها عليهم كلفةً. وأما عامة هذه الطريقة، فإنهم موقوفون مع عوائدهم وملتفتون إلى الأسباب، وإيمانهم ويقينهم بانفراد مولاهم بالأفعال يحملهم، وعوائدهم تجاذبهم؛ فمن هذه الجهة كان **أصعب منازل العامة.**

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات، كلها تسير مسير العامة: الدرجة الأولى التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب، على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى.**

قلت: وهذا صحيح، فإن اعتماد القلب على الله تعالى إذا كان ضعيفاً مع وجود السبب في اليد، كانت النية فيه صالحة، إما لشغل به عن التشويش أو نفعٍ لمن يعامله من الناس بتيسير أسباب المعاش، فللنفس سكون إلى الأسباب. وربما يبدو للمكتسب المدعي لكمال التوكل خلاف ما ظنه من نفسه عند تغيّر الأسباب، فمن هذه الجهة كانت أول درجة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية التوكل مع إسقاط الطلب وغض العين**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

عن السبب اجتهاداً في تصحيح التوكل وقمع تشوف النفس وتفرغاً إلى حفظ الواجبات.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن صاحبها أقوى في الاعتماد، وأمكن في مقام التوكل على الحق والإعراض عن العناد، فلا تعلق لنفسه بطلب لكمال الوثوق بالمضمون، ولا التفات لقلبه إلى سبب سوى ما أمره به ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]. وقصده في ترك السبب والإعراض عن الطلب تصحيح دعوى نفسه السكون إلى الحق جلت قدرته لا غاب الحق عنها ولا حجب، فيتحقق دعواها عند بعدها من الأسباب، وينقطع تشوفها إذا تغير عليها الأصحاب والأحباب وإذا وصلت إلى هذا المقام، تفرغت للقيام بالأحكام، على أحسن وجه وتمام.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة التوكل مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل؛ وهو أن تعلم أن ملكة الحق عزَّ وجلَّ للأشياء ملكة عزة، لا يشاركه فيها مشارك، فيكل شركته إليه. فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق هو مالك الأشياء وحده.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها إعراض عن الأسباب لتصحيح المقام، وهذا طلب وبحث في خروج العبد عن مقام التوكل بالكلية وبقاء ملك الأشياء كلها لمالكه ومن جملتها توكله. فتتخلص منه نفسه بنظرها في حقيقة التوكل الذي يحمل على الخلاص من **علة التوكل**، وهي رؤيته وعلمه أن ملك ربه للأشياء ملك عزة وتعال، لا ينبغي أن يشاركه غيره في شيء من ملكه ولا من مخلوقاته، ومن جملة مخلوقاته توكل العبد. فإذا تحقق ذلك تبرأ من أحواله فضلاً عن أعماله، ولذلك قال: **فإن من ضرورة العبد أن يعلم أن الحق سبحانه مالك للأشياء وحده** من حيث تحقق أن جملة نفسه مملوكة له ذاتاً وفعلاً وحالاً.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[28]. باب التفويض

قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غَافر: الآية 44] **التفويض ألطف إشارةً وأوسع معنىً من التوكل، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه.**

قلت: قوله **فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده** معناه أن التوكل يصح مع تعاطي الأسباب ووجودها، ويعتمد العبد بقلبه على الله سبحانه في حصول المُسَبَّب بخلاف التفويض، فإن حقيقته ترجع إلى تسليم الأمور كلها إليه أسباباً ومسبَّبَات. فلذلك كان التوكل **شعبة منه** أي طرفاً وبعضاً، والتفويض أعم منه وأخص في التبري من الاختيار.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعةً، فلا يأمن من مكر ولا ييأس من معونة، ولا يعول على نية.**

قلت: وهذا صحيح، فإن العلم بأن العبد لا يملك لنفسه قدرة عند إرادته للفعل قبل فعله، وإنما يخلق الله له القدرة مقارنة لفعله وتتكرر؛ وإذا تكرر عليه ذلك أكسبه حال التفويض لله. فإنه **لا يأمن من مكر الله** بأن لا يخلق له قدرة عليه، وكذلك لا ييأس من فضل ربه بخلقها لديه فتحصل له المعونة، ولا يعول العبد على ما تقدم له من النية لما هو فيه من خطر المشيئة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية معاينة الاضطرار، فلا يرى عملاً منجياً، ولا ذنباً مهلكاً، ولا سبباً حاملاً.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن التفويض في الأولى نشأ عن العلم بأن قدرة العبد تقارن فعله، وفي هذه نشأ عن المشاهدة لما سبق والحالّ. وفي بعض كلامه رضي الله عنه في هذه الدرجة قلق يحتاج إلى زيادة بسط ليُفهم، وهو

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قوله **فلا يرى عملاً منجياً، ولا ذنباً مهلكاً**، مع أن الطاعات أسباب النجاة شرعاً والذنوب أسباب الهلاك قطعاً، إلا أن يعفو الله عزَّ وجلَّ عمن يشاء.

فنقول: من تمكن حاله في النظر في التصرفات الجارية من الحق سبحانه في نفسه وغيره من المخلوقين تحقق ذلك. فكم عزم على أمر صرفتْه عنه الأقدار جبراً بغير اختيار، وكان في صرفه عنه أعظم بركة في الآخرة وفي هذه الدار، وكم من بلاء ومحنة تخوفها على نفسه وخشي فيها الهلاك والدمار، تقشعت عنه وتمزقت بقدرة ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ﴾ [الحَشر: الآية 23]، وكم من طعام أكله طلباً للتنعم به والانتفاع، كان سبب الهموم وتوالي الأوجاع! فإذا تفكر الموفق في هذه الجهات من التصرفات، قطع نظره عن الأسباب، وعلق قلبه باختيار رب الأرباب، فلا يرى عملاً منجياً من حيث كونه عملاً إلا بفضل مولاه، ولا يرى ذنباً مهلكاً لاحتمال توبته عنه وجميل تقواه. وهو مع ذلك خائف من ذنبه لتخويف مولاه لا لسواه، وراج لفضله وعطائه ونعماه، قد أعرض قلبه من حيث نفسه وعوائده عن الأسباب، وهو ملابس لها لأمر ربه على وجه الحق والصواب.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة شهودك انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط، ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها نظر إلى نفسه بعين الاضطرار، وهذه نظر إلى ربه بعين الانفراد وكمال التصرف بالاختيار، فهو المالك للحركة والسكون في الأعمال، والقبض والبسط في الأحوال، والتفرقة والجمع في مقام الخصوص، لا إله إلا هو ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 100] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[29]. باب الثقة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القَصَص: الآية 7] **الثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم.**

قلت: نعم، فإن الثقة هي السكون البالغ إلى الله تعالى، ولا يتوكل على الله ويفوض إليه ويسلم إلا من وثق به اقتداراً وعلماً وإحساناً. فلذلك كانت **سواد عين التوكل** وخلاصته، **ونقطة دائرة التفويض** أي مركزه وعليها مداره وهي أصله، **وسويداء قلب التسليم** أي لبه وخاصيته.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى درجة الإياس، وهو إياس العبد في مقاواة الأحكام، ليقعد عن منازعة الأقسام، (و)ليتخلص من قحة الإقدام.**

قلت: وذلك أن أول ما تكون عنه الثقة قطع اليأس من النفس فضلاً عن غيرها، فتسكن النفس حينئذٍ للقادر على نفعها وضرها. فتيأس نفسه عن مقاواة الأحكام، أو تغيير ذرة مما قدره العزيز العلاّم، فتقعد النفس عن منازعتها عند اختلاف الأرزاق والأقسام، في سائر الأنواع من رزق الآخرة أو الخطام، ويتخلص بذلك من قحة الإقدام، على الاعتراض على المقدور من غير أدب مع مقدّره ولا احترام، وهو المراد **بقحة الإقدام**.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية درجة الأمن، وهو أمن العبد من فوت المقدور وانتقاض المسطور، فيظفر برَوح الرضى وإلا فبعين اليقين وإلا فبظلف الصبر.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها كان عن إياس النفس من الاقتدار، والوثوق في هذه الدرجة لكمال العلم بصفات ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحَشر: الآية 23] . فمن علم أن علمه تعالى وإرادته للحادثات صفتان قديمتان

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يستحيل عليهما التغيير والتبديل، وأن ما سبق وقوعه لا بد من وقوعه مما أخبر الصادق عليه السَّلام عن وقوعه، أمنت نفسه ووثقت. فلا تبالي بفوات ما تحقق لها أنه لا بد من فواته وما سبق لها كونه فلا بد من حصوله، إذ لا يتغير معلوم، ولا يتبدل ما ثبت في اللوح المحفوظ من مسطور. **ويظفر** من هذه حاله **برَوح الرضى، ويتنعم بالحلو والمر من القضاء، لعلمه بأنه اختيار مولاه، لأنه الذي خلقه له وأجراه. فإن فاته هذا المقام وإلا قوي يقينه وتمكن حاله وهو عين اليقين؛** وفي بعض النسخ **فبغنى النفس** فتستغني نفسه عن غير الله، فإنه لا يملك عندها أحد شيئاً سواه. وإن لم يتمكن **فبظلف الصبر** أي قويه وشديده.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة معاينة أزلية الحق، ليتخلص من محن القصود، وتكاليف الحمايات، والتعريج على مدارج الوسائل.**

قلت: وهذه الدرجة من الثقة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها سكون كائن عن أمن من فوات القسم المسطور المقدور، وهذه الدرجة كائن سكونها والثقة فيها إلى ما سبق من اللطف بالعبد من غير تقدم سبب منه ولا أمر من الأمور، بل خصه في أزله بالإيقان بعد الإيمان، ونقله في رتب الإحسان، والمكاشفة والعيان، فإذا وصل العبد إلى هذا المكان، بفضل الواحد المنّان، **تخلص من محن القصود** والنيّات وجرت عليه قصوده بسهولة، وحُفظ من **تكاليف الحمايات** عن المشوشات فدفعها بأيسر إعراض وإشارة، واستراح من **التعريج في مدارج الوسائل** لدوام نظره إلى المقصود، وبُعده عن الفتور والقعود.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[30]. باب التسليم

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: الآية 65] .

قال الشيخ رحمه الله: **وفي التسليم والثقة والتفويض ما في التوكل من الاعتلال، وهو من أعلى درجات سبيل العامة.**

قلت: قد تقدم التنبيه على الجهة التي كان التوكل من أصعب سبل العامة وأوهى سبل الخاصة.

وقوله: **في التسليم والثقة والتفويض ما في التوكل من الاعتلال** يعني من الضعف عن مقامات الخاصة، إلا أن التسليم من أعلى مقامات العامة من حيث كان تبرياً من الاختيار والاقتدار وإضافة ذلك إلى الحق سبحانه، ولكنه إلى التفرقة أقرب منه إلى الجمع من حيث كان العبد يرى نفسه مسلّماً.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب، والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول والقِسَم، والإجابة إلى ما يقرع المريد من ركوب الأحوال.**

قلت: وهذا التسليم واجب، وكذلك سائر المقامات، فيها الواجب والمندوب وأعلى المندوبات. فإن العقول تبحث عن الحقائق العقلية المتعلقة بالاعتقادات، والأوهام يشق عليها مخالفة المعروف بالعادات. فيسلم العبد لكل ما جاءت به الشريعة من المغيبات مما تعجز العقول عن إدراكه وإن كانت تجوزه، وبهذا الاعتبار كان **يزاحم العقول ويشق على الأوهام** لقلة الاعتياد. وكذلك يسلّم ويذعن **لما يغالب القياس** والجاري من المعتاد من تغيير الدول واختلاف القِسَم، فإنها سُنَّة الله سبحانه يرفع ويضع، ويعطي من يشاء ويمنع، فعلى العبد التسليم

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

في ذلك أجمع. وكذلك يسلم فيما يطرق قلبه من ركوب الأحوال من الهم والحزن والبلايا والمحن، فيسلم في جميع هذه الأحوال أمره إلى ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] ، ولا يعترض ولا يتسخط، فتزل به القدم ويبقى في جهله متخبطاً لا يجد فرجاً ولا مخرجاً. وكذلك إن ارتقت منزلته وطرقت قلبه أحوال غالبة ونعم سابغة عالية، تضعف قوته عن حملها، سلم وقت ورودها وصبر إلى أن يأتيه العون من ربه والظفر بها.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تسليم العلم إلى الحال، والقصد إلى الكشف، والرسم إلى الحقيقة.**

قلت: وهذا كلام غامض والله ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: الآية 26] . فأما قوله **تسليم العلم إلى الحال** وما بعده، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. ومعناه أن يسلّم صاحب العلم لصاحب الحال، وصاحب النيّة والقصد إلى الحق لصاحب الوجود والكشف، وصاحب الوقوف مع الرسوم من الأعمال والأحوال لصاحب الحقيقة وهو مقام الجمع وغلبة ذكر الحق على القلب، ويكون ذلك للشخص الواحد باختلاف حاله ومقامه. وقد قال سيد السالكين أبو القاسم الجنيد رحمه الله: كنت أسمع أن العبد يصل إلى حالة لو ضُرب بالسيف لم يشعر، وكان في نفسي منه شيء حتى تبين لي صحة ذلك هـ. أو كما قال. فكان يؤمن وينقاد ويسلم حتى فتح الله عليه بنيل ذلك ووجوده، ففي هذه الحكاية مقصود هذه الدرجة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تسليم ما دون الحق إلى الحق، مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها من حيث إن تلك تسليم مخلوق لمخلوق حاله، وهذه تسليم العبد للحق ذاته وفعله وحاله فضلاً عن غيره، فلا يدعي شيئاً من ذلك ولا يلتفت إليه ولا يعول عليه. وذلك مع براءته من وقوعه في استحسان تسليمه وكمال حاله مع مولاه، لما غلب على قلبه من لطف الحق به حتى أوصله إلى هذا المقام من التسليم. فهو يرى فضل مولاه عليه في توفيقه للتسليم وخلقه له، إذ لا فعل عنده لسواه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[IV ـ قسم الأخلاق]

وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب، وهي: الصبر، والرضى، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلُق، والتواضع، والفتوة، والانبساط.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[31]. باب الصبر

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النّحل: الآية 127] **الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى؛ وهو أيضاً من أصعب المنازل على العامة، وأوحشها في طريق المحبة، وأنكرها في طريق التوحيد.**

قلت: قوله **الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى،** المقصود حبس النفس عن الشكوى على وجود جزع كامن، إذ في الكلام تقديم وتأخير بيناه قبل هذا. فإن حقيقة الصبر الحبس ولا يكون إلا عن شيء أو على شيء. فإن كانت النفس في ألم من مقاساة أمر محمود شرعاً وهي متفلتة منه طلباً للراحة، والعبد حابس لها على الخير وعن الميل إلى الراحة، والنفس تجد راحة بالشكوى، فهي محبوسة عنها امتثالاً لأمر المولى. وكونه **من أصعب المنازل على العامة** لما فيه من مخالفة النفس والهوى.

وقوله **وأوحشها في طريق المحبة** إنما كان من حيث إنه لا يمكن المحب الصبر عن محبوبه؛ وأيضاً فإن المحب محمول بالمحبة، فهو بعيد عن الآلام، مستغنٍ عن الصبر، مستوحش من وقوعه.

وقوله **وأنكرها في طريق التوحيد** إنما ذلك من حيث رؤية الفضل لله عليه وانفراده بالفعل، فلا يرى الموحد فعلاً مؤلماً حتى يصبر عليه، بل يجد لأفعال محبوبه لذة؛ وأيضاً فإن من تمكن في توحيده، غفل عن مراعاة نفسه وعن تحسّسه لآلامها وأفراحها، شغلاً منه بالله تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد، إبقاءً على الإيمان، وحذراً من الحرام؛ وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً.**

قلت: وهذه أول درجة من الصبر في حق التائب، فإنه قريب العهد

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بالمخالفات المشتهيات، شديد التلفت إلى كثير من المحرمات المعتادات، فيحتاج إلى الصبر ليكف نفسه عن ذلك. ويستعين على ذلك بمطالعة وعيد الله سبحانه للعاصين، ليقوى حذره من مجازاة رب العالمين، ويتحفظ إيمانه من النقصان عن درجات المتقين.

وقوله **وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً**. قلت: هذا صبر العارفين بالله تعالى، فإنهم بنظره في سائر حركاتهم وسكونهم، فيمنعهم حياؤهم من نظره أن يعصوه، ويمنعهم دوام إحسانه إليهم أن يخالفوه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الصبر على الطاعة، بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً**.

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن الأولى صبر على مفارقة المألوفات من المحرمات، وهذه صبر بعد القيام بذلك على ملازمة نوافل الطاعات، والتحلي برفيع الحالات. فيحافظ عليها دواماً، ويرعاها في حال فعلها وفي أوله إخلاصاً، ويحصنها بعد فراغه منها مما ينقلها إلى ديوان غيره علماً.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الصبر في البلاء، بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعدّ أيادي المنن وتذكر سوالف النعم. وفي هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت** ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني في البلاء،** ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني عن المعصية،** ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني على الطاعة**.

قلت: وإنما تأخرت هذه الدرجة وكانت أخيراً في الصبر لكمالها وعزة القائم بها لله تعالى؛ فإن كثيراً من المكلفين يصبرون عن المعاصي، وإن كانت لهم لذيذة، خوفاً من النار، وكثيراً منهم يصبر على فعل الطاعات لما يرجوه من الجزاء بدار القرار، وأما الصبر على ما ينزل بالعبد من الأقدار، في تصاريف الليل والنهار، فصبر العارفين بالله الذين دام نظرهم إلى الله، فلا يليق ولا يحسن بهم ظهور الجزع والشكوى إلى غير الله تعالى.

ومنهم من يصبر لملاحظة الجزاء وانتظار روح الفرج مما هو فيه من البلاء، ومنهم من يهون البلية على نفسه بعدّ منن الحق عنده وما سبق به فضله عليه من

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

غير سبب يعرفه من نفسه. وقوله **وفي هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **الآية كما تقدم**، لم يرد أنه سبب نزولها، وإنما أراد والله أعلم أن معنى الآية راجع إليها. فإن الصبر هو حبس النفس على جزع كما تقدم، ولا يكون العبد صابراً حتى يحبس نفسه على ذلك من غير كلفة، وما لم يبلغ إلى هذه الدرجة فهو متصبر لا صابر.

وأما المصابرة فهي مفاعلة من تكلف الصبر؛ ومن حبس نفسه عن الشهوات المحرمات، وهي متفلتة إلى نيلها، فهو مصابر مجاهد.

وأما المرابطة فهي المحافظة والحراسة، والمطيع محافظ على الدوام على طاعاته، خائف عليها من آفاته. فلذلك قال الشيخ: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **في البلاء** ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **عن المعصية** ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **على الطاعة**.

قال الشيخ رحمه الله: **وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة، وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريد، وفوقهما الصبر على الله وهو صبر السالك**.

قلت: وهذا كلام بالغ، فإن الصبر لله صبر العابد الذي يرى عمله وأنه موقعه، إما لأمر الله أو لجزائه على العمل؛ والصبر بالله تبرٍّ من الحول والقوة، وإضافة ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ وبعون الله عزَّ وجلَّ، وهو صبر المريد. وأما الصبر على الله فهو صبر السالك لطريق الخاصة على ما تجريه الأقدار، ويقدره الفاعل المختار، فهو بعين التحقيق إلى أفعال مولاه ناظر، وفي سلوكه وتنقله في المقامات سائر.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[32]. باب الرضا

قال الله تعالى: ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفَجر: الآية 28] **لم يدع في هذه الآية للمتسخط إليه سبيلاً، وشرط القاصد الدخول في عبادة الرضى.**

قلت: يعني أنه تعالى خص بالرجوع إليه الراضين خاصة، دون المتسخطين بقضائه. فمن دخل في عباده الراضين، فقد ضمن له الرضى عنه بقوله: ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ [الفَجر: الآية 28]، فرضي عنهم ووعدهم جنته الأخروية والنعيم في الدنيا بروَح الرضى وزوال الهموم والأحزان بما فات أو بما هو آتٍ.

قال الشيخ رحمه الله: **والرضى اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد، لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً، ولا يستزيد مزيداً، ولا يستبدل حالاً؛ وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص وأشقها على العامة.**

قلت: وهذا فيه نظر وتفصيل، فإن العبد مأمور بطلب المزيد من فضل الله والتنقل في درجات التقرب إلى الله، فهو يلتمس التقدم إلى المراتب العالية أبداً، ويهرب عن مجال النقص، ويسأل الله في استبدال الأحوال في درجات الكمال. نعم، إن حمل مطلق الكلام على ما يحتاج العبد إليه في دنياه، أو ما يطرقه من النوازل التي لم يتعلق طلب الشرع بالنقلة عنها وأمر بالصبر عليها والرضى بها، فصحيح؛ وإن حمل الكلام على ما تقدم من الإطلاق، كان فيه تفصيل نذكره. فنقول: يمكن حمله على وجه، وذلك أن الرضى إنما يتحقق بعد نزول القضاء، فأما قبله فعزم على الرضى. وإذا تقرر ذلك، فلا يمنع الدعاء والسؤال لما لم يحصل الرضى بما حصل أصلاً، فيكون العبد الموفق ناظراً إلى ما وقع به من الخيرات وتمكن فيه من المقامات بعين الرضى وحسن الاختيار له من الله سبحانه، لا يتمنى أنه وقع خلاف ما وقع، خوفاً من المعارضة لمولاه في الاختيار، ويرضى بما أجراه سبحانه عليه من الأقدار. وهو في ذلك راء فضله،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وشاكره على نعمه التي أسداها إليه، داع سائل متضرع في طلب المزيد من إحسانه ونعمه التي أولاها. فلم يكن مستقلاً لنعم مولاه بل راضياً بها معظماً، ولا غافلاً عن طلب المزيد منه بل طالباً داعياً، وهذا أكمل الأحوال.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى رضى العامة، وهو الرضاء بالله رباً بسخط عبادة ما دونه؛ وهذا قطب رحى الإسلام وهو يطهر من الشرك الأكبر. وهو يصح بثلاث شرائط: أن يكون الله عزَّ وجلَّ أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة.**

قلت: وهذه الشرائط المذكورة إنما تكون في الرضى بكون الله رباً على الإطلاق في معنى الربوبية. فيكون **أحب الأشياء إليه** لمعرفته أنه لا منعم عليه سواه ولم يرَ خيراً قط إلا من فضله. ويكون **أولى الأشياء بالتعظيم** إذ لا ثاني له في سلطانه ولا صفاته ولا ملكوته. ويكون **أحق الأشياء بالطاعة** إذ لا رب عنده سواه، ولا مالك له إلا إياه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الرضى عن الله، وبهذا الرضى نطقت آيات التنزيل، وهو الرضى عنه في كل ما قضى وقدر؛ وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص. ويصح بثلاث شرائط: باستواء الحالات عند العبد، وسقوط الخصومة مع الخلق، وبالخلاص من المسألة والإلحاح.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن الأولى واجبة وهذه مندوب إليها ما لم يضعف حاله جداً، حتى يفوته الصبر فيقع في التسخط ويكون خارجاً عن الرضى بالكلية، وما قبله من درجات الصبر. وهذه الشرائط لا بد منها في حق صاحب هذا المقام من الرضى: فإنه، إن لم تستوي الحالات عنده من حيث علمه بأنها من اختيار ربه، لا من حيث طبعه وميل نفسه، لا يرضى بكل قضاء الله وقدره أبداً. ومتى بقي في نفسه اعتراض على الخلق في تفصيل أحواله معه، من حيث محبة نفسه وكراهتها لأفعالهم، لا من حيث أمر ربه ونهيه، لم يتم له ذلك.

وقوله **بالخلاص من المسألة والإلحاح** يحتمل حمله على طلب الحوائج من الخلق؛ بل حقه، إن سنحت له حاجة، أن يشير إليها ويتكلم الكلام اليسير،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ويبقى متعلق القلب بالله سبحانه في تيسيرها وقضائها، إذ لا فاعل عنده سواه، ولا مقصود إلا إياه.

وأما السؤال من الحق والإلحاح فيه، فمطلوب محثوث عليه؛ وقد بينا أنه لا يمنع من الرضى بما وقع فيما تقدم. وقد يترك العبد الدعاء والسؤال في بعض الأحوال، لما غلب على قلبه من رؤية ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 78] ، له وعلمه بتفاصيل ما هو فيه من الحاجة والإقلال، أو لتوالي فضله عليه وكرمه لديه من غير إخلال، وليس هذا من الرضى بسبيل.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الرضى برضى الله، فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضى؛ فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار، وإسقاط التمييز ولو أدخل النار.**

قلت: وإنما كانت هذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة أن رضى العبد ثَم متعلق بما وقع من الأفعال، وهاهنا تعلق رضاه بصفة من صفات ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] ، فيرضى برضى مولاه، من حيث كان هو المختار المريد لما أجراه، عليه، موافقاً له كان أو مخالفاً لهواه، معرضاً عن سخط نفسه ورضاها، مقبلاً على محبة ما أجراه عليها خالقها. فيثمر له هذا المرام البُعد عن التحكم على ربه والاختيار، وزوال التمييز عن قلبه والتفرقة بالنظر إلى مصلحته **ولو أدخل النار**، هذا مع جريانه على الاستقامة وسمت الأخيار، لا بكونه متخلقاً بأخلاق الأشرار والفجار، (نعوذ بالله تعالى من علامات أهل النار، وصلَّى الله على محمد وآله!).

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[33]. باب الشكر

قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية 13] **الشكر اسم لمعرفة النعمة، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم؛ ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكراً.**

قلت: قوله **الشكر اسم لمعرفة النعمة** فيه بحث، فإن المعرفة أصل الشكر وثمرته لا عينه؛ فإن الشكر الثناء على المنعم بإنعامه وهو راجع إلى الكلام، إما كلام النفس أو النطق باللسان، وهو فيهما كلام والمعرفة علم فافترقا؛ نعم لا يشكر على النعمة من لا يعرفها.

وقوله **لأنها السبيل إلى معرفة المنعم** صحيح، لأن النعمة لا تكون إلا من منعم تضاف إليه النعمة فتصير مذكرةً له. ويحتمل أن يريد الشيخ بقوله المعرفة الاعتراف، فيرجع إلى ما قلناه من الثناء على المنعم بذكر نعمه، إما بالقلب وإما باللسان وإما بالأعمال. قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾ [سَبَإ: الآية 13] فسمي العمل شكراً وهو (والله أعلم) المراد بقول الشيخ **سمي الإسلام والإيمان شكراً** أي الأعمال.

قال الشيخ رحمه الله: **ومعاني الشكر ثلاثة أشياء: معرفة النعمة، ثم قبول النعمة، ثم الثناء بها؛ وهو أيضاً من سبل العامة.**

قلت: قوله **ومعاني الشكر ثلاثة أشياء** يعني التي بها يتم، فإن من لم يعرف النعمة استحال أن يشكرها؛ وإن عرفها من حيث كونها نعمة مطلقاً، أي من جملة النعم، ولم يرها نعمة عنده أو عليه من المنعم، لم يشكره عليها؛ وإن علم كونها نعمةً وجاريةً عليه من المنعم، ولم يثن على المنعم بها عليه، لم يكن شاكراً. فهذه أركان الشكر ومعانيه التي بها قوامه، وأصلها معرفة النعم كما تقدم.

وأما كونه **من سبل العامة**، فلما فيه من التفرقة بين الشاكر والمشكور والمنعم

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والمنعَم عليه، وكونه ذاكراً للمنعم عليه مجازياً بشكره على النعم؛ فإن الغالب على قلوب الخواص مقام الجمع والله أعلم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الشكر على المحاب، وهذا شكر شاركت المسلمين فيه النصارى واليهود والمجوس؛ ومن سعة بر الباريء أنه عده شكراً، ووعد عليه الزيادة، وأوجب له المثوبة.**

قلت: قوله **شاركت المسلمين فيه النصارى واليهود والمجوس** أي إنه كل مخلوق عاقل يشكر من فعل به فعلاً محبوباً إليه، جارياً على مقتضى غرضه؛ وإنما يشكر في المصائب وعلى كل حال الخواص.

وقوله **ومن سعة بر الباريء سبحانه أنه عده شكراً** إلى آخر كلامه، معناه أنه عد شكر الشاكر على محابه طاعة وأثاب عليها؛ فإنه تعالى فاعلها والمتفضل بها أولاً، ولإخباره تعالى أن أعمال العبد يكون جزاء عنها وإن لم يكن لها جزاءً تحقيقاً. فكيف بوعده الثواب عليها والزيادة منها تفضلاً منه تعالى، أولاً وآخراً، في الآخرة والأولى، فهذا دليل على سعة بره ولطفه بعباده تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الشكر في المكاره؛ وهذا ممن تستوي عنده الحالات إظهار الرضى، وممن يميز بين الأحوال كظم الشكوى ورعاية الأدب وسلوك مسلك سبيل العلم.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الشكر على المكاره لا يصح إلا ممن يعدّها نعماً؛ ولا يعدّها نعماً حتى يراها لطفاً من الله تعالى به، إما للجزاء عليها أو لدفع ما هو أعظم منها. والشكر على المكاره، ممن استوى عنده فعل الحق به، فلم يفرق بين النعم والبلايا، والعوافي والأسقام، لتمكنه في مقام الرضى بما جرت به الأقدار، يكون إظهاراً لما هو عليه من مقام الرضى. وهو، ممن يميز بين الأحوال، كظم للشكوى لما هو فيه من البلاء، ومراعاة للأدب مع الله سبحانه، وعملٌ بمقتضى العلم وهو أنه لا فاعل إلا الله سبحانه. قال الشيخ: **وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة.**

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة ألا يشهد العبد إلا المنعم؛ فإذا شهد المنعم عبودةً استعظم منه النعمة، وإذا شهده حباً استحلى منه الشدة، وإذا شهده**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

تفريداً لم يشهد منه شدة ولا نعمة.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإنها اشتغال بالمنعم عن النعم والبلايا، لكمال المحبة أو التوحيد أو الذلة له والالتجاء. فإن شهد مولاه مع معرفته بفقره وذلة نفسه وعدم صلاحيته لما أنعم به، وهذه هي العبودة، أفاده ذلك استعظام النعمة وكمال المنّة. وإن شهد مولاه مع صفة الحب منه له، استحلى جميع ما يحل به من محبوبه، مما هو مُر عند غيره من البلاء والشدة. وإن شهد العبد المنعم عليه تفريداً، أي لم ير سواه، واشتغل قلبه بكمال ربه وجلاله عن تذكر منعه أو عطائه، أو التحسس لنعمه عليه أو بلائه.

وقوله **لم يشهد منه نعمة ولا شدة** أي حجبه ذلك عن تذكر النعم والبلايا لكمال شغله بمولاه، وإعراضه عمن سواه، هذا مراده لا أنه شهدها من نفسه أو غيره، بل هو مشغول عنها بمجريها وإن كان غريقاً فيها.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[34]. باب الحياء

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العَلق: الآية 14] **الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص، يتولد من تعظيم منوط بود.**

قلت: قوله **الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص** صحيح، فإنه كائن عن دوام مراقبة الحق سبحانه في الحركات والسكنات، بل في الأنفاس واللحظات. وعن هذا مع كمال المعرفة يكون التعظيم، وبه يكون الشغل عن الخلق، ثم عن النفس، ثم عن الحال، وهو مقام الجمع؛ فلذلك كان الحياء **من أوائل مدارج أهل الخصوص**. ويتولد الحياء من تعظيم مجتمع مع محبة العظيم وهو الود؛ فلو انفرد التعظيم لأثمر الخوف والهرب، ولو انفردت المحبة لأثمرت الشوق والطلب، ولما اجتمعا لزم العبد الحياء منه والحشمة والأدب.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق، فيجذبه إلى محل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويمسكه عن الشكوى.**

قلت: وهذه الدرجة من الحياء من أول درجات المراقبة لله تعالى، وهي التي دل الخبر الصحيح على أنها من درجات الإحسان بقوله عليه السَّلام لجبريل عليه السَّلام لما سأله عن الإحسان: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] خرجه مسلم وغيره. ومتى استشعر العبد نظر المالك الآمر له بالعمل، جد فيه واجتهد على حسب عظمته في قلبه، أو محبته له، أو طلب إحسانه ورحمته، على حسب قربه منه ودرجته؛ وهو المراد بجذبه إلى المجاهدة.

---

(1) صحيح مسلم، باب الإيمان والإسلام والإحسان..، حديث رقم (8) [1/ 36] ورواه البخاري في صحيحه باب إن اللَّه عنده علم الساعة، حديث رقم (69) [4/ 1793] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وكذلك يصونه علمه بنظره عن تعاطي شيء من المخالفة؛ وإن وقع في شيء منها وكان يسيراً، رآه قبيحاً مهلكاً خطيراً كبيراً، وهو المراد باستقباح الجناية. وإن أجرى عليه مولاه، شيئاً من بلائه في دنياه، لم يشك ذلك لسواه، لكمال علمه بأنه يسمعه ويراه، وهو المراد بمسكه عن الشكوى.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية حياء يتولد من النظر في علم القرب؛ فيدعوه إلى ركوب المحبة، ويربطه برَوح الأنس، ويكره إليه ملابسة الخلق.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها عن استشعار نظر الحق إليه، وهذه عن علمه بقربه منه ولديه. وقربه تعالى من العبد بدوام الحفظ له والإحسان، ونقله إياه في درجات اليقين والعرفان. فإذا تيقن العبد جميل هذه الأفعال، وتبين ذلك فيما أجراه عليه الحق من الحركات في ظاهره وفي باطنه من كريم الصفات والأحوال والتعريفات، دعاه ذلك إلى محبة ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] ، وتنعم بروح الأنس به وبقربه تعالى وتقدس عن الزمان والمكان والحلول والانتقال. وإذا وصل العبد إلى مقام التنعم بمولاه وأنس به، قطعه ذلك عن غيره، وكره ما يشوش عليه حالَه، وهو مراده بملابسة الخلق، حتى يتمكن فلا يبالي بغير ولا يُحجَب عنه بشيء.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة حياء يتولد من شهود الحضرة، وهي التي تشوبها هيبة، ولا تقارنها تفرقة، ولا يوقف لها على غاية.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها نشأ عن علم بقرب، وهذه عن مشاهدة الحق بغير حَجْب. والفرق بين المقامين والله أعلم ما أشار الخبر الصحيح إليه في قوله عليه السَّلام: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه)[1] فهذه رتبة عالية في المشاهدة؛ ثم قال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2] وهذه رتبة أخرى؛ والأولى أعلى، وبيانه أن الأخيرة ينالها المعتقد والعالم. فمن اعتقد أنه يراه، عمل على ذلك مع الحياء من نظره، مع احتمال إعراض الرائي عنه مثلاً في حقنا، والحق سبحانه منزه عن ذلك. ومن كان مشاهداً له، رائياً له بقلبه، قاطعاً

(1) ـ (2) هذا الحديث سبق تخريجه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

برؤيته، كان حياؤه أتم، ودرجته أرفع وأعم، لما يتطرق إلى المعتقد من الاحتمال عند ورود المشككات، والعالم المشاهد بعيد عن هذه الآفات. وهذه المشاهدة هي المقرونة بالهيبة، لا بالتفرقة عنه والغيبة، ولا يوقف في مواهب الله سبحانه لأربابها على غاية، فإنهم أهل الله وخاصته، وأحقهم بفضله وقد فعل ذلك بهم.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[35]. باب الصدق

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: الآية 21] **الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه، حصولاً ووجوداً.**

قلت: وهذا الحد في الصدق يحتاج إلى بيان وتحقيق، فإن الصدق ليس هو اسماً لحقيقة الشيء الموجود الحاصل، حتى يكون كل موجود حاصل يسمى صدقاً. بل الصحيح أن الصدق حالة في العبد، حاملة على إيقاع الفعل على وجهه مع الجد وعدم الفتور. فإن كانت في اللسان، أو في القلب الذي ترجم عنه اللسان، كان إخباراً عن الشيء على ما هو عليه، من غير زيادة ولا نقصان. وإن كان الصدق في النية أو في الأفعال، كان إيقاعها مع المبادرة على وجهها المعروف شرعاً من غير إخلال. قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ [الأحزَاب: الآية 23] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى صدق القصد، وبه يصح الدخول في هذا الشأن؛ وبه يتلافى كل تفريط، ويتدارك كل فائت، ويعمر كل خراب. وعلامة هذا الصادق أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضد، ولا يقعد عن الجد بحال.**

قلت: وأول عامل من المريد قلبه، ويتم عمله بصحة قصده وقوة عزمه. ومتى قوي عزمه، لم يقبل خواطر الكسل والفتور، ولم يلتفت إلى ما تدعو إليه النفس من الراحات أو نقض العهود في ملازمة القربات، ولم يصحب من لا يسلك مسلكه ولا يقصد طريقه، خوفاً على نفسه من التأنس بالبطالين ورؤية أهل الغفلة المقصرين. وهو المراد بكونه لا يصبر على رؤية ضد فضلاً عن صحبته، ولا يقعد عن الجد في طلبه بحال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية أن لا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يشهد من نفسه إلا أثر النقصان، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص.

قلت: وهذه الدرجة في الصدق أتم مما قبلها، فإن ما قبلها صدق النية والعزيمة ليتخلص به من التفريط والنقص، وهذا صدق حمل على استفراغ الجهد حتى نغص عليه الدنيا من حيث نفسه وراحتها، فإنها دار الهموم والأحزان، مشوبة الأرباح والفوائد بالخسران. فلا يحب الحياة إلا إذا كانت حياته عليه أو على غيره رحمة وزيادة، لا لمحبة نفس الحياة أو التنعم فيها بالمال والجاه. ويرى نفسه بعين النقص في سائر التصرفات، في الحركات لله أو السكنات، ولا يقبل من نفسه خواطر الترفيه بالرخص، لما هو فيه من كمال الجد والتشمير في طلب الطاعات، لا أنه يترك ما طلبه الشرع من الفطر والقصر في السفر لطفاً بالعباد، بل يجري على مقتضى صدقه في سلوكه مع ربه من غير فتور ولا تقصير على وجه السداد.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الصدق في معرفة الصدق؛ فإن الصدق لا يستمر في علم الخصوص إلا على حرف واحد، وهو أن يتفق رضى الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته وإتيان العبد وقصده، فيكون العبد راضياً مرضياً. فأعماله إذاً مرضية وأحواله صادقة وقصوده مستقيمة؛ وإن كان العبد كُسيَ ثوباً معاراً، فأحسن أعماله ذنب، وأصدق أحواله زور، وأصفى قصوده فتور.**

قلت: وهذه الدرجة في الصدق أبلغ مما قبلها من حيث تبريه عن رؤية صدقه وخروجه عن آثار نفسه. فإن من كمل صدقه في سلوكه، بحث عن آفات أحواله وأخلاقه ومقاماته، فينظر في حقيقة صدقه، فيجده من فضل ربه وكرمه، الذي منّ عليه به، عوناً له على ما هو بصدده، فإذا وافق صدقه وجدّه في شيء من حركاته رضي الحق به، كان ذلك مرضياً لربه، والعبد محب فيه وله راضٍ به. وهذه هي الموافقة بين رضى الحق وقصد العبد؛ فهو في التحقيق محلٌ، إذ الحق تعالى خلق له الصدق والرضى بما هو مرضي عنده فله الحمد، فإنه المتفضل بالقسمين وهما خلق الفعل المرضي به وثناؤه على فاعله. فإذا تحقق العبد هذا من نفسه، علم أنه في صدقه **كسي ثوباً معاراً**، إذ هو لغيره تحقيقاً. فإن ادعاه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

نفسه واستحسن شيئاً من عمله وكماله لنفسه، كان ذلك عجباً إن نسي منّة ربه؛ وإن ذكرها تبرأ من حوله وقوته، ودخل في مقام الخصوص. ولذلك قال الشيخ: **فأحسن أعماله ذنب** أي إن ادعاه لنفسه، **وأصدق أحواله زور وأصفى قصوده قعود** لأنه لم يصفُ له قصده لربه خاصة لبقائه مع دعوى نفسه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[36]. باب الإيثار

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: الآية 9] **الإيثار تخصيص باختيار، والأثرة تحسن طوعاً وتصح كرهاً**.

قلت: قوله **الإيثار تخصيص باختيار** أي بقصد ونية حسنة؛ وشرطه الاحتياج من جهة المؤثر، وإلا كان سخاءً وكرماً. والفرق بين الإيثار والأثرة أن الإيثار يكون عن قصد واختيار والأثرة أن يتميز أحد الشخصين عن الثاني بمزية عليه، فإن كان ضرورةً وكرهاً وحملاً على النفس صحت، وإن كان اختياراً وكسباً وطوعاً حسنت.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحزم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً. ويستطاع هذا بثلاثة أشياء. بتعظيم الحقوق، ومقت الشح، والرغبة في مكارم الأخلاق**.

قلت: وهذا صحيح، فإن الإيثار المحمود عند الله تعالى الذي أثنى على فاعليه، الإيثار بالدنيا لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ [الحَشر: الآية 9] الآية وفي آخرها: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: الآية 9] والفلاح الفوز بالمطلوب.

وأما أعمال البر والقربات، فقد أمر الله تعالى بالمسارعة إليها والمسابقة فيها، وقال عليه السَّلام: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا)[1] أو كما قال. فلم يجعل الشرع الطاعات محلاً للإيثار، والسر فيه والله أعلم أنه لا ضيق على المكلفين في أعمال البر؛ ولو عمل

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب الاستهام في الأذان، حديث رقم (590) [1/ 222] ورواه مسلم في صحيحه، باب تسوية الصفوف، حديث رقم (437) [1/ 325].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

العمل أو الطاعة الواحدة آلاف من الخلق، لم يكن بينهم تزاحم، ووسعهم فضل ربهم. وإن قُدّر عمل يختص به واحد، بحيث إذا فعله فات غيره، ففي عزمه على فعله ونيته لعمله مثل أجره لو عمله. وفي غيره أيضاً من الطاعات ما يساويه في أجره، بخلاف ما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ولباسه مع الاحتياج إليه في الجهتين، فإذا أخذه أحدهما فات الآخر.

فندب الشرع من وجد من نفسه منّةً وصبراً على مشقة عدمه إلى الإيثار به، **ما لم يحزم عليه ديناً** بحيث يخل بعقله أو يمنعه من طاعته، **أو يقطع عليه طريقاً** عزم على سلوكه لربه وكان ما يريد أن يؤثر غيره به من جملة أسبابه، **أو يفسد عليه وقتاً** أي يشوشه ويبدد قلبه بسبب ضعفه. وهذا كله ما لم يجب عليه الإيثار بالحاصل، لخوف موت غيره، أو شدة ضرره، مع سلامة المؤثر من مثله، وفي هذا تفصيل فقهي يصلح في موضعه.

وقال الشيخ: **ويستطاع هذا بثلاثة أشياء** تقدمت، وهو صحيح؛ فإن النفوس مجبولة على الميل إلى المحبوبات والنفور عن المكروهات، والإيثار بالمحتاج إليه أبلغ في الكراهة والثقل على النفس، وهي تنفر عنه. فإذا عظمت حقوق الله التي جعلها للمسلمين بعضهم على بعض في قلب العبد، خاف من تضييعها، فهان عليه بذل ما هو محتاج إليه، هذا إذا خشي على غيره ضرراً. وإن لم يخشه، استقبح من نفسه صفة الشح مع استغنائه عن ما شح به في وقته ووجود قوته وصبره، ولشدة رغبته أيضاً في التخلق بمكارم الأخلاق، المحثوث عليها عند الواحد الرزاق.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية إيثار رضى الله على رضى غيره وإن عظمت فيه المحن، وثقلت فيه المؤن، وضعف عنه الطول والبدن.**

قلت: وهذه الدرجة في الإيثار أرفع مما قبلها، فإن الأولى آثر بعض العبيد على نفسه في محتاجه، وهذا آثر الله على غيره ونفسه من جملة الأغيار. فلا يوافق أحداً في خلاف مرضاة ربه تعالى، ولا يقصر عن حق أوجب عليه المقام به، وإن أبعده الأحباب، وأنكره الأصحاب، وضعف عن حمله قلبه وبدنه، لقلة اعتياده له، فإنه سيقوى بعزة رب الأرباب.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بطيب العود، وحسن الإسلام، وقوة الصبر.**

قلت: قوله **بطيب العود** هو أن يكون الحق سبحانه خلقه على طبيعة منقادة، وقريحة وقادة، إن عرض على عقله حقائق المعقولات، أدركها بسهولة، وبعد هز الأوهام والشبهات. وإن زجر نفسه عما تعلقت به من الشهوات، انقادت إليه بسرعة لما خلقت عليه من الموافقة وسرعة الإجابات، بخلاف غيره ممن ليست هذه صفته من المخلوقات. ثم يكمل الله سبحانه له هذه الطبيعة الحسنة بأنوار الإسلام وتمكين اليقين به والعرفان، ليؤثره سبحانه في أوامره ونواهيه على سائر خلقه من نفسه وغيره. ويجد لذلك ألماً شديداً في مباديه، ويتحمل ذلك لربه بصبره ويقاسيه، حتى يمده الله بمعونته، ويخفف عنه ذلك، ويعافيه. لا أخلاني الله وإياكم من عونه، ومدني وإياكم بفضله وطوله، إنه ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هُود: الآية 61].

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة إيثار الله فإن الخوض في الإيثار دعوى في الملك، ثم ترك شهود رؤيتك إيثاراً لله، ثم غيبتك عن الترك.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها مقام التفرقة والنظر على الأغيار وإيثار الحق عليهم، وهذه الدرجة جمع القلب على الحق فتؤثر الله بإيثارك له على غيره، أي تضيفه إليه وتبرىء نفسك منه، فإن الخوض فيه دعوى ملكك له، ثم تترك شهودك لكونك مؤثراً له بإيثاره على غيره، ثم تغيب به عن نفسك فضلاً عن إيثارك له، لكمال شغلك به ولرؤية جلاله؛ وهذا هو الفناء في التوحيد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[37]. باب الخُلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ فَإِذَا عَزَمَ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: الآية 4] **الخُلق ما يرجع إليه المتكلف من نعته؛ واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم (على) أن التصوف هو الخُلق. وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد، وهو بذل المعروف وكف الأذى؛ وإنما يدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء: في العلم، والجود، والصبر.**

قلت: قوله رضي الله عنه **الخُلق ما يرجع إليه المتكلف من نعته** كلام بالغ، سديد في وجهه؛ فإن الخُلق إذا رجع حاصله إلى التخلي عن الصفات الذميمة والتحلي بالصفات الحميدة، وكل عبد اشتغل بشيء من ذلك، فلا بد له من مجاهدة، وإن قلت أو كثرت على حسب العون من الله سبحانه والتيسير لأسبابه؛ فإذا حصله وتخلق به، صار الخُلق نعتاً للعبد أي وصفا. فشمل الشيخ في حده جنس الخُلق على الإطلاق من غير تفصيل للآحاد، فقال: **ما يرجع إليه المتكلف** أي المجاهد **من نعته** أي وصفه فهو خلق.

وقوله **وإنما يدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء،** أما **العلم** فبمعالي الأخلاق وسفسافها، ليمكن التخلي والتحلي.

وأما **الجود** فيحتمل أمرين: **أحدهما** جود الحق سبحانه على عبده بعونه إياه ورفده، و**الثاني** جود طبعه ونفسه بما دعاها إليه العلم من التخلق. و**الثالث الصبر** على ما يلقاه من نفسه وغيره؛ فإنه، متى لم يصبر وخاصم الخلق في أكثر أوقاته، قوي شره نفسه وساءت أخلاقه، فصار دواؤه داءه؛ ومتى وافق نفسه عند جزعها من المؤلمات، وشهوتها في المحبوب، لم يتراق في الدرجات، وقعد مع هواه في أنزل الحالات.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تعرف**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

مقام الخَلق، أنهم بأقدارهم مربوطون، وفي طاقتهم محبوسون، وعلى الحكم موقوفون. فتستفيد بهذه المعرفة بثلاثة أشياء: أمن الخَلق منك حتى الكلب، ومحبة الخَلق إياك، ونجاة الخلق بك.

قلت: وهذا صحيح، فإن العبد متى استقر عنده عجز الخَلق عن تدبير أنفسهم بهم، وأن مقادير الحق السابقة وأحكامه الأزلية هي الجارية عليهم في دنياهم وأخراهم، اشتد عنده عذرهم ورحمهم، ولم يؤاخذهم إلا بما آخذهم به ربهم ومالكهم، ولولا مؤاخذة الحق لهم ومطالبته إياهم بنهيهم عما هم عليه لما كلمهم، فيأمر وينهي امتثالاً للأمر. وكذلك يضرب ويقتل، ويقرب ويهرب، ويحب ويبغض، ويرضى ويغضب؛ كل ذلك لمولاه، لا لهواه. وفي الخبر الصحيح: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله[1])، فينتقم لله لا لنفسه. ومتى أوصل الله سبحانه أحداً من عبيده إلى هذه الحال، فأين هو من أذية عباده! فيأمنه كل شيء حتى الذر الذي لا يدرك، ويحبه كل حي لأن الحق أحبه ووضع له المحبة والقبول في السماء والأرض. ومن هذه صفته فدعاؤه مستجاب لكونه من الأحباب لله، فبه وبأمثاله نجاة الخَلق.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تحسين خُلقك مع الحق؛ وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من الحق يوجب شكراً، وألا ترى له من الوفاء بداً.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن صاحب هذه الدرجة قد ارتقى نظره، بعد فراغه من تحسين خُلقه مع الخَلق، إلى التحسين لخُلقه فيما بينه وبين ربه تعالى. وقوله **وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من الحق يوجب شكراً، ولا ترى له من الوفاء بداً** صحيح. وذلك أن من تحقق عنده أن نفسه مائلة إلى الراحات، ممزوجة الطاعات بالآفات، وأنها نافرة عن أعمال البر لثقلها عليها، وقلة اعتيادها لها، بَعُد عنده إخلاصه في أعماله،

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم (3367) [3/ 1306] ورواه مسلم في صحيحه، باب مباعدته ﷺ للآثام. . ، حديث رقم (2327) [1813] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وسلامته فيها من كبره وعجبه وريائه. وتيقن أن كل طاعة يأتي بها، تستحق الاعتذار منها، لما يعرفه من نفسه وقلة أدبها مع مولاها، في طاعتها فكيف بما سواها، وأن جميع ما يصح له من طاعاته، فبرحمة مولاه، وعونه إياه، فهو يوجب شكراً للمنعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النّحل: الآية 53]. وإذا وصل إلى هذا المقام، لم يرَ شيئاً من أعماله وفاءً لفضل مولاه، لحقارة أعماله في عينه وكثرة بر مولاه وفضله.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة التخلق بتصفية الخُلق، ثم الصعود عن تفرق التخلق، ثم التخلق بمجاوزة الأخلاق.**

قلت: وهو صحيح، فإن العبد يتخلق بالخُلق وتبقى معه آثار من نفسه وعوائده، ولا يقدح ذلك في أصل خُلقه وإن فوته كمالُه، فيتخلق العبد بتصفية خُلقه عن تلك الآثار. ثم يرتقي عن ذلك بخروجه عن رؤية تخلقه، والتفرقة في نظره لكونه متخلقاً، حتى ينتهي إلى مجاوزة رؤية جميع الأخلاق، شغلاً منه بالحق سبحانه وجمعاً للهمة عليه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[38]. باب التواضع

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الفُرقان: الآية 63] **التواضع أن يتضع العبد لصولة الحق.**

قلت: قوله: **لصولة الحق** أي لدعوته وقهره، والحق هاهنا ضد الباطل. فيقبل الحق من كل قائل، صغيراً كان أو كبيراً، غنياً كان أو فقيراً، عظيماً كان أو حقيراً، فيكون تواضعه لما قال من الحق لا لغيره.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى التواضع للدين؛ وهو ألا يعارض بمعقول منقولاً، ولا يتهم على الدين دليلاً، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً. ولا يصح ذلك له إلا بأن يعلم أن النجاة في البصيرة والاستقامة بعد الثقة، وأن البينة وراء الحجة.**

قلت: قوله **ألا يعارض بمعقول منقولاً** يعني به منقولاً عن الرسول عليه السَّلام متواتراً، فإنه معلوم قطعاً، ودليل العقل، إذا صح كونه دليلاً، كان قاطعاً أيضاً. فإذا وجد العاقل في نفسه معارضة بين دليل العقل ودليل الشرع القاطع، فليعلم أن القواطع يستحيل أن تتعارض على الشيء الواحد، فإنه يؤدي إلى أن يكون الشيء الواحد حقاً باطلاً. فحقه أن يقطع بصحة الشرع ويتهم عقله، ويتواضع للشرع وينقاد له، ويجوز الخطأ على عقله في اعتقاده المعارضة إذ لا معارضة تحقيقاً، **ولا يتهم دليلاً** قاطعاً شرعياً إذ هو عن المعصوم ونقله عدد التواتر المحصل للعلم؛ وإذا كان كذلك لم يجد **إلى الخلاف سبيلاً** وهذا لا يتم له حتى يتحقق عنده أن **النجاة** في حصول العلم **بالبصيرة**، وإذا صحت له الثقة بالمعلوم استقام على العمل.

وقوله **وأن البينة وراء الحجة** يعني والله أعلم أن البيان يكون بعد حصول الأدلة، فإن الحجة هي الدليل والبينة هنا هي الشريعة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَّقَ

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ [البيّنة: الآية 4]، والحجة عليها المعجزة الدالة على صدق النبي ﷺ.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية أن ترضى بمن رضي الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً، وأن لا ترد على عدوك حقاً، وتقبل من المعتذر معاذيره.**

قلت: وهذه الدرجة في التواضع للحق أبلغ، فإن الأولى التواضع تحت قهر الدليل القاطع الشرعي جبراً وإلا فالنار، وهذه الدرجة مندوب إليها من نعوت الأخيار والأبرار. وهو أن يكون عند نفسه كأحد المسلمين، لا يرى لنفسه على أحد مزية ولا فضلاً، فيتخذ كبيرهم أباً، وصغيرهم ولداً، وأوسطهم أخاً. ويقبل الحق من كل قائل، وإن كان له عدواً. ولا يكذب معتذراً، وإن ظهر له من شمائله ضد ما اعتذر به، فلا يُعرضن بوجهه عنه في شيء من ذلك، خوفاً من إخجاله بين الصالحين والأبرار، بل يتكلف الصبر له ما استطاع.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة أن تتضع للحق، فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة، ورؤية حقك في الصحبة، وعن رسمك في المشاهدة.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع من التي قبلها، فإن التي قبلها تواضع للحق مع الخلق وهذه تواضع مع الحق بالحق، والحق هنا هو الله عزَّ وجلَّ. فينزل له عن آرائه وعوائده في الطاعات ويتصرف بالأمر خاصةً، وينزل عن رؤية حقه في الصحبة بل يرى الفضل لمن منّ عليه بأن أهله لخدمته وجعله من خاصته. وينزل أيضاً عن رؤية رسمه في مقام المشاهدة، فلا يبقى معه إدراك لشيء من آثار نفسه، لما تمكن فيه من مقام المشاهدة لربه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[39]. باب الفتوة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: الآية 13] **نكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلاً، ولا ترى لك حقاً**.

قلت: وإذا كان من بذل ما في يديه فتًى، ولا سيما إذا لم يرَ له بما فعل فضلاً، فمن بذل نفسه ومهجته لربه أحق بالفتوة وأولى، مع غفلته عن نفسه حتى لا ينسب إليها فعلاً ولا فضلاً، لما غلب على قلبه من فضل المولى.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة ثلاث ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة، ونسيان الأذية**.

قلت: وهذا لا يتم إلا بالزهد المتمكن في حظوظ النفس، وإلا فلا مطمع فيه مع حب الدنيا. فإن الزاهد بارد الفؤاد، مفتوح العين لما يجريه الله بين العباد، غير ملتفت لما نقص من جاهه فضلاً عن ماله، شديد الرغبة فيما رغبه فيه مولاه من معالي الأخلاق وجزيل عطائه؛ لا يخاصم أحداً على مسبوق إليه محبوب، ولا يؤاخذ أحداً بتقصير في حقه لمعرفته أنه مقهور مغلوب، ولا يذكر لأحد أذية قديمة فيؤاخذه بها في وقت من الأوقات كما يفعله أهل الدنيا للحقد ومحبة المجازاة بذكر العيوب، بل ينسى أذيته له ويسأل ربه في العفو عنه وأن يتوب.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من جنى عليك، سماحاً لا كظماً وبراحاً لا مصابرةً**.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الأولى ترك الخصومة مع الخلق والانتصار للنفس والتغافل عن الزلات والتقصير في حقها، وهذه الدرجة إحسان لمن أساء إليك من الخلق وتقريب لمن أقصى واعتذار لمن جنى. ويكون ذلك بسماحة من النفس لا قهراً لها وكظماً، وبانشراح منها لا بمقاواة ومصابرة، وهذا بالغ جداً.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة ألا تتعلق في المسير بدليل، ولا تشوب إجابتك بعوض، ولا تقف في شهودك على رسم.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها فتوة مع الخلق وهذه فتوة مع النفس؛ فيتفتى على نفسه بإظهار النزاهة عن الأسباب، ولا يتعلق دون الحق بحجاب، ولا رسم ولا اكتساب. فإن دله دليل عليه، عرف منزلته لديه، وشكره بذلك وأثنى عليه، ولا يسكن بقلبه إليه. فإن دعاه داعٍ من الحق لطاعته، أجابه خالصاً من سائر الشوائب لكمال إقباله عليه ومحبته، غيرَ ملتفت لعوض كالأجراء الأحرار، ولا يقف في مقام مشاهدته على رسم فيرجع عن درجات المقربين إلى درجات الأبرار.

قال الشيخ رحمه الله: **واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه، لم يشم رائحة الفتوة. ثم في علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال، لم يحل له دعوى الفتوة أبداً.**

قلت: وهذا الكلام الأول أوضح من الثاني، فإن من أحوج عدوه إلى شفاعة، دل ذلك على سوء خُلقه وقلة عفوه وصفحه؛ فإن عدوه، لو رجا منه العفو عنه لسؤاله إياه بنفسه، لم يحتج إلى شفاعة غيره. وإن لم يخجل من المعذرة إليه، دل ذلك على رؤيته الحق لنفسه على المعتذر إليه والعظمة والحشمة وأنه أهل أن يُسأل. ولو استقل نفسه وعرف قدرها وأقدار الخلق عند الله. أعني المؤمنين، لاستحيا وخجل وقت سؤالهم إياه وتضرعهم بين يديه على يسير من الدنيا وجملتُها لا تزن عند الله جناح بعوضة. وعلى الجملة فكل خير مع الزهد في الدنيا، وكل شر مع حبها وهواها.

وقوله رضي الله عنه: **ثم في علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال، لم يحل له دعوى الفتوة أبداً.** قلت: يعني والله أعلم أن كل مستدل على مقصوده، فهو بَعْدُ لم يحصل له تمكن في معرفة حقيقة مقصوده ولا تنور قلبه بها، لم يمكنه دعوى الفتوة أبداً حقيقةً. فإن حقيقة الفتوة بذل المهجة وعدم التعلق بالأدلة والأسباب، والغيبة عن الفتوة شغلاً بمن منّه الخطاب وبه الجواب.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[40]. باب الانبساط

قال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن كليمه ﷺ: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الأعرَاف: الآية 155].

قلت: موضع الاستشهاد من الآية والله أعلم قوله تعالى: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ [الأعرَاف: الآية 155] فهذا موضع البسط، فإنه تعالى له أن يفعل ما يشاء ويهلك من يشاء بما شاء ﴿ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا مَّن ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية 23]. وقوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 155] أي ابتلاؤك واختبارك في خلقك ليظهر معلومك السابق فيهم من الهداية والإضلال، لا ما يسبق إلى الأوهام من أن هذا القول، إذا صدر من قائل، يدل على ترك الاحترام، وطرح الاحتشام، كما يستعمله كثير من العوام. قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية 1] ﴿ءَامَنُوٓاْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى أَن يَقُولُوٓاْ﴾ [العَنكبوت: الآية 2] إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ [العَنكبوت: الآية 3] الآية. فموضع الانبساط قول موسى عليه السَّلام ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ [الأعرَاف: الآية 155] ثم أتبعه عليه السَّلام بالأدب والإقرار بأنها كلها أفعاله وهو الفاعل لما يشاء من الإضلال والهداية. ثم قال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ [الأعرَاف: الآية 155] أي حافظنا وناصرنا ومسلمنا وقت الامتحان والابتلاء، وهذا ثناءً على الحق سبحانه بإنعامه وإفضاله.

قال الشيخ رحمه الله: **الانبساط إرسال السجية والتحاشي من وحشة الحشمة. وهو السير مع الجبلة.**

قلت: يعني أن العبد المنبسط هو الجاري في كلامه وتصرفاته على عادته من زوال الحشمة عن قلبه لمن يخاطبه ويحدثه، وإن كان مُجلاً له ومعظماً لقدره، وإنما الذي يزول عن قلبه القبض الذي كان يمنعه من الكلام بجميع ما في نفسه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الانبساط مع الخلق، وهو أن لا تعتزلهم ضناً على نفسك أو شحاً على حظك، وتسترسل لهم في فضلك، وتسعهم بخُلقك. وتدعهم يطؤوك، والعلم قائم وشهودك المعنى دائم.**

قلت: وهذه حقيقة الانبساط مع الخلق، لا ما يعتقده من لا تحقيق عنده من أنه بسط الوجه والضحك والمباسطة في الحديث والأكل خاصةً.

فقوله **ألا تعتزلهم ضناً على نفسك** أي بخلاً بها عليهم **أو شحاً على حظك** منهم، وفيه إشارة إلى أنه يجوز لن يعتزلهم لغير هذا المعنى من قصده لتصفية حاله مع مولاه، أو خوفاً من ضرر يدخل عليه من اجتماعه بهم أو لقياه. فأما من قوي في نفسه وتمكن في حاله، فبسطه معهم أبلغ في شأنه، فلا يبخل بنفسه عنهم ولا يؤثر حظه على حظهم، فإن ذلك زيادة في تمكنه وهو خفيف عليه في تحمله.

وكذلك استرساله معهم في فضله سواء كان من حاله أو علمه أو طعامه على حسب مقامه؛ ويسعهم بخُلقه فيحمل ما بدا من جاهلهم من سوء الطباع، ويصبر على ما يلقاه من أذاهم رجاء الزيادة والانتفاع، وإن وطؤوه مثلاً بالأقدام، ففيه يجد كل المقصود والمرام، إن كان من ذوي الأحلام والأفهام. فلقد وجد إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فيه وجداً بالغاً حتى أخبر أنه لم يُسر قط كسروره بثلاث، وذكر مثل الرجل الذي كان يضحك الناس في المركب بلحيته ويقول «هكذا كنا نفعل بالعلوج»، وكذلك جر الآخر برجله والآخر بال عليه. وإنما كان سروره رضي الله عنه بنقل الله سبحانه إياه عن رؤية الأفعال من الأغيار، ودوام النظر لفعل ﴿ مِنۢ بَعۡدِ﴾ [يُوسُف: الآية 39]. ثم قال الشيخ: **والعلم قائم وشهودك المعنى دائم،** أي فتكون، في حال بسطك معهم ولين خلُقك لهم، لا تعدي الحدود، ولا تغفل عن المعبود.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية والانبساط مع الحق، وهو ألا يجنبك خوف، ولا يحجبك رجاء، ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء.**

قلت: وهذه الدرجة في البسط أتم مما قبلها، فإن الأولى بسط لله، وهذه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بسط مع الله، فالأولى سير وسلوك، والثانية وجود ودروك.

وقوله **ألا يجنبك خوف** أي لا يجعلك جانباً منه خوف؛ فقوله **ولا يحجبك رجاء** أي لا يحيد بك ولا يقطعك الخوف والرجاء. وليس مراده أنك لا تخاف ولا ترجو، فإنه لا يفارق قلباً إلا تلف، ولكن الكمال في وجودهما في القلب كاملين متساويين في أعلى درجاتهما وهي الهيبة والتعظيم والمحبة. وكل صاحب درجة عالية خائف من مكره وراج لدوام إحسانه إليه وفضله، ولكن لا يقطعه خوفه عن الانبساط مع الله سبحانه لما يجده من المحبة والإقبال، ولا يوقفه رجاؤه على شيء من الأغيار، لكمال الهيبة والحياء من شهود المنعم الجبار. **ولا يحول بينه وبين الحق آدم وحواء** إشارة إلى جميع بني آدم ونفسك منهم، فإياك أن تشغلك وتحول بينك وبينه باستحسان أحوالها وما هي فيه من مقامها، فإنها مائلة لكل لذيذ نافرة بطبعها عن كل كريه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الانبساط في الانطواء عن الانبساط وهو رحب الهمة لانطواء بسط العبد في بسط الحق جلَّ جلاله.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإنها بسط همة متعلقة ببسط مولاها، معرضة عن بسطها مع الحق لما غلب عليها من سعة فضله إليها، سائرة في رحب فضله وسعة جوده، مشغولة به عنها، لا إله إلا هو ﴿ٱلْفَتَّـاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: الآية 26].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[٧ ـ قسم الأصول]

وأما قسم الأصول فهو عشرة أبواب، وهي: القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذكر، والفقر، والغنى، ومقام المراد.

قلت: وهذه الأصول التي ذكرها الشيخ رحمه الله إنما كانت على حسب مقامات السالكين؛ فكما أنهم اختلفوا في الدخول من الأبواب وتفاوتوا في الأخلاق والمعاملات، فهم متفاوتون أيضاً في الأصول. فلكل عبد أصل ينبني عليه سلوكه بالنسبة لمقامه مع الله وحاله: فأين من يكون أصله صحة القصد ممن أصله تحقيق اليقين ممن أصله تجريد الأنس، ممن (أصله) تمحيض الفقر إليه ممن (أصله) ضياء الاستغناء به؟ فلكل عبد منهم شرعة ومنهاج فتيقظن؛ أسعدك الله لهذا التنبيه، تجد نفعه فيما يلقى إليك في هذه الأصول.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[41]. باب القصد

قال الله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ﴾ ... ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النِّساء: الآية 100] **القصد الإزماع على التجريد للطاعة.**

قلت: الإزماع جمع الهمة على الشيء.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى قصد يبعث على الارتياض، ويخلص من التردد، ويدعو إلى مجانبة الأغراض.**

قلت: وهذا القصد أصل في سلوك المبتدىء، فإنه إذا صح قصده في الخير واجتمع همه فيه، زال تردده، وسكنت نفسه وارتاضت من خوف الإقدام عليه وأعرضت عما كانت متعلق به من الأغراض الدنيوية المشغلة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية قصد لا يلتقي سبب إلا قطعه، ولا يدع حائلاً إلا منعه، ولا تحاملاً إلا سهله.**

قلت: وهذا القصد أتم وأقوى مما قبله وهو قصد السالك، فإنه لقوة قصده وجده، وجمع همه في حصول مراده، إن عارضه سبب شغل قطعه، وإن حال دونه ودون مطلوبه حائل صده عن ذلك ومنعه. ولا يبقى عنده مع صحة هذا القصد من نفسه تحامل على الأعمال وتكلف لها، بل خفف قصده عليه كل عمل وسهله.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة قصد استسلام لتهذيب العلم، وقصد إجابة لوطىء الحكم، وقصد اقتحام في بحر الفناء.**

قلت: قد جمع الشيخ وفقه الله في هذه الدرجة ثلاث درجات من القصود بعضها أتم من بعض. فالأول **قصد استسلام لتهذيب العلم،** وهو قصد المريد المتخلي من الأوصاف الذميمة والمتحلي بالأوصاف الحميدة، ولا يكون ذلك إلا بالاستسلام إلى الشرع والتصرف بمقتضى الأمر والنهي، فحينئذٍ يتهذب إما بنفسه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

أو بشيخ متصف بذلك، عالم بأحكام الله في القلوب والجوارح. **وأما قصد الإجابة لوطىء الحكم** فهو أتم مما ذكرناه لأنه عليه يترتب إذ لا بد من زوال اختياراته، ويكون التصرف بأمر ربه في جميع ما يطرقه ويجري على ظاهره وقلبه وعلى غيره، فيجيب لما يحل به من غير كراهية إلا إذا أمره الحق بكراهيته والبُعد منه، ويذعن وينقاد لذلك وإن خالف هواه، وهذا معنى **وطىء الحكم** أي جريانه على خلاف هوى النفس. وأما **قصد اقتحام بحر الفناء** فهو القصد إلى جمع الهم على الله خاصةً، مع كمال الذكر بالتعظيم، وقطع كل شاغل يشغل عنه حتى يفنى العبد عن ذكر غير الله، حتى عن ذكر نفسه، اشتغالاً بالمذكور عن الذكر.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[42]. باب العزم

قال الله تعالى: ﴿بِهَا مَن تَشَآءُ فَقَدۡ وَقَعَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 159] **العزم تحقيق القصد طوعاً أو كرهاً.**

قلت: قوله **تحقيق القصد طوعاً أو كرهاً** يعني من النفس طوعاً بصحة العزم منها في الخير، أو حملاً لها وإكراهاً على تحقيق قصدها وإتمامه بالفعل بالقلب وهو عزمه عليه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى بناء الحال على العلم لشيم برق الكشف، واستدامة نور الأنس، والإجابة لإماتة الهوى.**

قلت: وهذه الدرجة من العزم بناء الأحوال على العلوم الشرعية وإعراض النفس عن الأمور العادية، فيمتحن المحققون ما يلوح لقلوبهم من برق الكشف عليها وهو أصح البنا وأوثقه. فإن المحقق يصحح ما يطرق قلبه من الأحوال بما تيقنه من العلم. ويبادر لقطع الشواغل عن تحقيق حاله والمواقع، **وهو الإجابة لإماتة الهوى**. وبذلك يستديم نور الأنس إما بالحال أو بمحوله، وحينئذٍ تسرع نفسه لإجابة داعي التنبيه لإماتة الهوى من غير كلفة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الاستغراق في لوائح المشاهدة، واستنارة ضياء الطريق، واستجماع قوى الاستقامة.**

قلت: وهذه الدرجة أمكن مما قبلها. فإن المشاهدة للشيء أتم من الكشف له، فإن الكشف أوائل المشاهدة فإنه قد يكشف له ويستر عنه عقيب الكشف، والمشاهدة من العبد دوام نظره إلى الحق سبحانه بنور اليقين. واللوائح أثبت من البروق، والدرجة الأولى قوة عزم **لشيم برق الكشف** وهذا عزم **للاستغراق في لوائح المشاهدة**، أي أوائلها وما يلوح للقلب من الكمال والجلال. فإذا استنار القلب بضياء طريق السلوك، فيسلم بذلك عن الميل إلى مقتضى الهوى والدلوك،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وتستجمع قوى نفسه وكمالُ همته، في حفظ وقته وطلب استقامته.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة معرفة علة العزم، ثم العزم على التخلص من العزم، ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم، فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم**.

قلت: وهذه الدرجة في العزم أبلغ من حيث كمال المعزوم عليه، وهو تعلق العزم بالبحث عن آفات كونه عازماً وهل فيه وجه يقتضي نقصاً أو ضعفاً. فإذا عرف أن رؤيته لقوة عزمه ضعف في كمال شغله بربه، أعرض عن رؤية العزم، وهو تخلصه منه. ولا يتخلص منه إلا بمجاهدة وتكلف لسبق النفس إلى استحسان ما يكون منها من الأعمال؛ وإذا قوي وارتفعت همته، أعرض عن رؤية عزمه بسهولة، وهو خلاصه من تكاليف ترك العزم.

وقوله: **فإن العزائم لم تورث أصحابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم** كلام بالغ فيه، وهو مطرد في سائر المقامات والأحوال؛ فإن من صح قصده في تحصيل مقام وعزم على التخلق به والتمكن فيه، فأكمل أحواله تبريه مع أتم تمكنه فيه من نفسه وإضافته إلى فضل ربه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[43]. باب الإرادة

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهَ يَخَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ﴾ [الإسرَاء: الآية 84] **الإرادة من قوانين هذا الشأن وجوامع أبنيته، وهي إجابة لدواعي الحقيقة طوعاً.**

قلت: ووجه الإشارة بالآية إلى معنى الإرادة أن من استكملت معارفه لمولاه بما عرفه به من تصرفاته، فيه وفي غيره من مخلوقاته، وتحسس لما يطرق قلبه من الخواطر الداعية إلى العزوم والأفعال، ووزنها بالشريعة في أسرع وقت وأتم إقبال ووضح له حكمها من غير غفلة ولا إخلال، وأجاب داعي الحق منها مبادراً من غير كسل ولا اعتلال، فهو المعبر عنه بالمريد عند أهل هذا الشأن. ولما كانت الإرادة مبدأ سائر الأعمال، وكان ما وصفناه من الحال أول سلوك طريق العمال لله إلى بلوغ المقامات وسني الأحوال، سموه إرادة وسموا المتصف به مريداً، بل قالوا: «المريد من لا إرادةَ له». ولما كان تصرف من ذكرناه بأمر مولاه لا بهواه، خرج عن كونه مريداً لنفسه وهواه فيما يتعاطاه، ولولا دواعي الحق المشهود لصحتها بالشريعة، لما تحرك لمحض إرادته.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى ذهاب عن العادات بصحبة العلم، وتعلق بأنفاس السالكين مع صدق القصد، وخلع كل شاغل من الإخوان ومشتت من الأوطان.**

قلت: وهذه الدرجة أول ما يجيب إليه المريد من دواعي الحق، وهي الدواعي إلى قطع عوائده الدنيوية مع ملازمته للعلم والرفق بالنفس. فلا ينقلها عنها دفعةً فتنفر وتشرد، ولا يتركها على ما كانت عليه فتبرد وتخمد، ولا يروضها في نقلها عن عوائدها بغير الوجوه الجائزة شرعاً فيفوتها خير الدارين وتفسد، ويستعين على ذلك بتعلقه بأنفاس السالكين مع صدق قصده، فإن وجدهم وإلا فبأخبارهم من الكتب، حتى ينقله الله سبحانه عن حاله ويقربه منهم فيسعد، فإنهم

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يُعرفون بالأنفاس والقرائن والنور الساطع، في قلب العبد المطيع السامع. ولا يتم له ذلك إلا بقطع كل مشغل عن مقصوده من الإخوان، وكل مشتت لحاله من الأوطان، ويعني **بالأوطان** موضع إقامة المريد في حاله، وما تمكن فيه من مقامه، فكل سبب يشوشه أو يشتت همه، قطعه عنه وأبعده.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تقطع بصحبة الحال، وترويح الأنس، والسير بين القبض والبسط.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها إجابة لداعي الخروج عن العوائد المشغلات، وهذه إجابة لداعي الأحوال وتحمل ما يبدو منها في القلوب والأبدان من الآلام بترقب الزيادات، وترويح القلوب بمواهب علّام الغيوب، عند ذلك تتنسم نسيم الأنس به. وحينئذٍ يبقى العبد بين قبض مولاه له عند ورود الحال، وبسطه عليه بروح الأنس بـ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] .

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة ذهول مع صحبة الاستقامة، وملازمة الرعاية على تهذيب الأدب.**

قلت: وهذه الدرجة من الإرادة أتم مما قبلها، فإن الأولى وقوف مع الحال وتحمل لما يبدو من الأثقال لتنسم نسيم الأنس وهي تفرقة، وما نحن فيه ذهول عن الأحوال شغلاً بالحق سبحانه، وذلك مع انسلاك العبد في حركاته وسكناته في سلك **الاستقامة وملازمة الرعاية على تهذيب الأدب**. وذلك أن الدرجتين الأوليين قد تأدّب بهما هذا المريد، فتخلصت نفسه من العادات وتحلت بأفضل الصفات. فإذا وصلت في هذه الدرجة إلى الشغل بالله عن نفسها، أجرى عليها مولاها ما تخلقت به له ولوجهه. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النّحل: الآية 128] فهم في الدرجة الأولى متقون، وفي الثانية محسنون؛ ومن كان الله سبحانه معه، فهو المحفوظ من الزلل والخلل، الملحوظ بالكشف وحصول الأمل. لا أخلاني الله وإياكم من فضله، وكفاني وإياكم شدة إقامة عدله بمنّه وكرمه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[44]. باب الأدب

قال الله تعالى: ﴿ أَن يَقُولُوٓاْ ٱللَّهُۗ﴾ [التّوبَة: الآية 112] ﴾.

قلت: وحدود الله سبحانه متعلق أوامره ونواهيه، وهي واجبة ومندوبة ومحظورة ومكروهة، والأدب ملازمة المندوبات، وإن تعالت في الدرجات، والبُعد عن المكروهات، وإن بعُدت عن الشبه بالمحرمات.

قال الشيخ رحمه الله: **الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء لمعرفة ضرر العدوان.**

قلت: وهذا الحد في الأدب حد بالغ، فإن قوله: **حفظ الحد بين الغلو والجفاء** فهذا هو الاعتدال في الأدب؛ فإن من غلا فقد تعدى ويخاف عليه لأجل تعديه الحد الابتداعُ، وإن جفا فقد قصر وهو في عين البُعد عن الانتفاع، واستواؤه هو حفظ الحد شرعاً في الأدب. وكيف يتأدب معه من لم يتأدب بأدبه الذي أدب به حبيبه ورسوله إلى كافة خلقه ﷺ؛ ويستعين على ملازمة الأدب بمعرفته بضرر الجريان على مقتضى العادات.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى منع الخوف أن يتعدى إلى الإياس، وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن، وحفظ السرور أن يضاهي الجرأة.**

قلت: وهذا الأدب واجب في هذه الدرجة، وذلك أن ما لا خلاص من الحرام إلا به، وهو فعل مكتسب للعبد، فهو واجب. والإياس من رحمة الله والأمن من مكر الله والجرأة على الله تعالى حرام، إلا من أمنه الله تعالى بخبر صادق قص من نبي أو رسول. وبالرجاء يتخلص العبد من الوقوع في الإياس من رحمة الله، وبالخوف يتخلص العبد من الوقوع في الأمن من مكر الله، وبمعرفة قدر النفس وعظمة الحق يتخلص العبد من الجرأة على الله تعالى.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله تعالى: **والدرجة الثانية الخروج من الخوف إلى ميدان القبض، والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط، والترقي عن السرور إلى ميدان المشاهدة.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها في الأحوال دونها. فإن حال القبض بملازمة الأدب أكبر من حال الخوف، إذ لا يُخشى على المتخلق به الخروج إلى الإياس من روح الله وإن تعالت فيه درجته. وكذلك البسط أمكن من الرجاء، فإنه وجود والرجاء ظن وأمل. وكذلك الشهود أتم من السرور، فإن الشهود مكاشفة ومحاضرة، والسرور يكون بالوعد ومبادىء لذة القرب والمسامرة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة معرفة الأدب، ثم الفناء عن التأدب بتأديب الحق، ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب.**

قلت: وهذه الدرجة في الأدب أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها بقاء مع الأحوال ورؤية الأدب من نفسه وكسبه وهذا، وإن كان صحيحاً مكتسباً للعبد جارياً عليه، فهو خلق لربه تعالى وفضل منه لديه. فغلب على قلب هذا الموفق النظر لفضل ربه، حتى غفل عن كسبه، وهو المراد **بفنائه عن التأدب** أي عن رؤيته، لا أنه خالٍ عن الأدب بل هو في أفضله وأكمله. ثم هو في هذا المقام قد يبقى عليه تكلف في الإعراض عن الأدب، وإن رآه فضلاً من ربه، وعوناً له عليه لاختصاصه به، إذا ترقى في حاله سقط عنه شهود أعباء ذلك في الأدب، فيكون جارياً عليه من الحق بلا كلفة لكمال إعراضه. وهذا والله أعلم معنى قول سيد هذه الطائفة الجنيد رضي الله عنه: «إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب» أي تكلفه وتعاطيه، فيكون جارياً على العبد بسهولة لكمال محبته وسرعة مبادرته.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[45]. باب اليقين

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذّاريَات: الآية 20].

قلت: فوجه التنبيه بالآية أن أصحاب اليقين هم أهل الآيات وخوارق العادات.

قال الشيخ رحمه الله: **اليقين مركب الآخذ في هذا الطريق، وهو غاية درجات العامة وأول خطوة الخاصة.**

قلت: ويعني بالآخذ السالك لتحصيل مقام الجمع.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى** ﴿عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التّكاثُر: الآية 5] **وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق.**

قلت: وهذه الدرجة من اليقين أول الدرجات، وهو التصديق للأنبياء صلوات الله عليهم، فيقبل العبد لقوة يقينه ما أظهره الحق على أيديهم من الأعلام، وبيّنه من الأحكام، الحلال والحرام، وغير ذلك مما يطول فيه الكلام. وكذلك يقبل **ما غاب** عنه مما أخبروا به مما سيكون أو كان في الدنيا والآخرة **للحق** يعني المعجزة الدالة على صدقهم قطعاً.

وأما قوله **والوقوف على ما قام بالحق** فيرجع (والله أعلم) إلى يقينه بأن العالم بأسره، ملكه وآدميه وجنه وسماءه وأرضه وجنته وناره وكرسيه وعرشه، وجميع ما حواه من تفاصيل مخلوقاته، وبديع مصنوعاته، قائم بالحق سبحانه بقدرته وخلقه وإمداده وعونه وتيسيره. ولهذا كان الحي القيّوم ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى أَن يَقُولُوٓاْ﴾ [فَاطِر: الآية 41] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية** ﴿عَيۡنَ وَيُؤۡثِرُونَ﴾ [التّكاثُر: الآية 7] **وهو الغناء بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وخرق الشهود حجاب العلم.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها من اليقين المتلقى من الأنبياء صلوات الله عليهم، مما يتعلق بالحق سبحانه وصفاته وآثار قدرته وحكمته، قد يناله العبد مباشرةً وسماعاً من رسول الله ﷺ، وقد يحصل له بالخبر المتواتر عنه، وقد يصل إليه بطريق النظر والاستدلال بالعقل. وإذا تمكن العبد في معرفة الحق سبحانه وتحقق ذلك في قلبه، استغنى به عن ذكر الاستدلال بالأدلة العقلية والأخبار المتواترة بحصول الكشف والوضوح عنده. فإنه إنما يحتاج إلى السبب والاستدلال الغافل عن المسبب المطلوب، فإذا كان المطلوب حاصلاً في القلوب، استغنى عن الأسباب الموصلة إليه وهو الاستدلال بالعقل أو النقل عن النبي ﷺ. فهذا معنى قوله استغنى **عن الخبر بالعيان** يعني أنه صار المعلوم مذكوراً حيال عين القلب، فلا حاجة إلى الأخبار عنه.

وقوله: **وخرق الشهود حجاب العلم** أي أنه يترقى في دوام المشاهدة للحق حتى لا يذكر علم نفسه به لكمال الاشتغال. وسمي العلم حجاباً بهذا الاعتبار، أي أن العبد، إذا بقي واقفاً مع ذكره لكونه عالماً، حجبه ذلك عما فوقه من الشغل بمعلومه ومشاهدة مجريه عليه ومنشئه له، ومعنى خرقه له ذهابه عن ذكره.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة** ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾ [الواقِعَة: الآية 95] **وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في** ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾ [الواقِعَة: الآية 95].

قلت: والفرق بين حق اليقين وعين اليقين أن كل حق له حقيقة، والحقيقة كما تقدم في سؤال رسول الله ﷺ لحارثة وجوابه إياه بالحال من قوله: «وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً»[1] الحديث فعين اليقين إشارة إلى المشاهدة، وحق اليقين إشارة إلى الاستغراق في حق الحقيقة. ولذلك قال **هو إسفار صبح الكشف** يعني كمال استنارة القلب بالكشف التام ولتوالي الأنوار عليه حتى يصير في صفائه كاملاً، وقلبه مستغرقاً في صفات الحق، وعمن سواه معرضاً غافلاً، وهو فناؤه في ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾ [الواقِعَة: الآية 95].

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[46]. باب الأنس

قال الله تعالى: فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ﴾ [البقرة: الآية 186] الأنس عبارة عن رَوح القرب.

قلت: يعني نعيم القرب وراحته.

قال الشيخ: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الأنس بالشواهد؛ وهو استحلاء الذكر، والتغذي بالسماع، والوقوف على الإشارات.**

قلت: وهذه الدرجة من الأنس من أوائل مقامات المستأنسين بالحق، إذ فيهم بقايا يتنعمون بها. فيستحلون ذكرهم لمولاهم، وتقوى قلوبهم بسماع ما يطرق أسماعهم من جميل نجواهم، وتعيش أرواحهم بما تدركه من إشارات الحق لها في أنفسها وغيرها مما يدل على إكرامه إياهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الأنس بنور الكشف، وهو أنس شاخصٌ عن الأنس الأول، تشوبه صولة الهيمان، ويضربه موج الفناء؛ وهذا الذي غلب قوماً على عقولهم وسلب قوماً طاقة الاصطبار وحل عنهم قيود العلم. وفي هذا ورد الخبر بهذا الدعاء: (أسألك شوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)**[1].

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها أنس بأوائل الأحوال، وهذه أنس بالتمكن في مقامات الرجال، وشغل عن التلذذ بالوجد لما قهر العقل وغلب القوة من طوارق الإقبال، وأنوار الاتصال بلا اتصال، فقد ارتفعت همته عن التنعم بالأحوال، لتشوفه لمقام الجمع وكمال الإقبال، حتى استولى عليه

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، حديث رقم (1900) [1/ 697] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة. . .، حديث رقم (1971) [5/ 304] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الهيمان، وضربته أمواج الفناء يعني طوارقه وبوادره. وقوله **وحل عنهم قيود العلم** يعني أن العبد، إذا وصل إلى هذا الحد، خفت عليه الأعمال، وقوي نشاطه في السلوك وطلب الجمع والإقبال، بخلاف العالم بهذه المقامات خاصةً غير المتخلق بها، فإنه محبوس بعد علمه بقيود نفسه ومحبة راحته وقلة شوقه.

ويحتمل وجهاً آخر وهو أن الأحوال قهرت عقولهم وضعفوا عن حملها، فيخشى عليهم أن يهملوا قوانين الشريعة وآدابها فيخالفوا العلم، وهذه فتنة عظيمة في محل الغنيمة. ولهذا المعنى استشهد بالخبر الذي أورده (أسألك شوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)[1]، وذلك لخوف الضرر من غلبة الحال أو لخفة الأمر عليه في السلوك، ووجود الحوامل له من غير فتور ولا دلوك.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة أنس اضمحلال في شهود الحضرة صرفاً، لا يعبر عن عينه، ولا يشار إلى حده، ولا يوقف على كنهه.**

قلت: وهذه الدرجة في الأنس أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها فيه للعبد بقايا لمقاومة الأحوال والتنعم بالواردات، وهنا فناء عن رسمه، واضمحلال عن شهوده وإدراكه، فصاحب هذا الأنس مأخوذ عن أنسه فضلاً عن غيره.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، حديث رقم (1900) [1/ 697] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة. . ، حديث رقم (1971) [5/ 304] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[47]. باب الذكر

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَن تَشَآءُ فَقَدَ وَقَعَ﴾ [الكهف: الآية 24] **يعني إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك، ثم نسيت ذكرك في ذكرك، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر. والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان.**

قلت: الذكر مقدور للعبد ومكتسب ويمكن العبد الموفق تحصيله بالفكر، فمعنى الآية تكلف الذكر إذا جرى على العبد نسيان أو غفلة. وما ذكره الشيخ في قوله **إذا نسيت يعني إذا نسيت غيره** من باب التنبيه على تفاوت درجات الذاكرين، لا بمعنى التفسير. فإن الآية نزلت أمراً للرسول ﷺ وتعليماً له وتكريماً لما سئل عن ذي القرنين وغيره، فقال عليه السَّلام (غداً) فأخر الله تعالى عنه الوحي ثم أنزل عليه أنه الاستثناء ثم قال: ﴿ مَن تَشَآءُ فَقَدَ وَقَعَ﴾ [الكهف: الآية 24]. قال الطبري[1]: استثن في يمينك إذا ذكرت ولو بعد مدة. هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان.**

قلت: وهذا صحيح، فإن الذكر بالحقيقة محله القلب واللسان ترجمان عنه، والغفلة والنسيان يضادان ذكر القلب، فإذا ذكر العبد الحق ذهب عنه الأضداد من الغفلة وغيرها؛ ولكنه عبر عن الذكر بزوال ضده ولم يذكر حقيقته، وأيضاً فإن العلم والاعتقاد الصحيح والظن والشك والجهل أضداد الغفلة والنسيان. فحقيقة الذكر نطق القلب بالمذكور، واللسان ترجمان عن كلام النفس على مذهب أهل الحق في إثبات كلام النفس.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء أو رغباء.**

---

(1) تفسير الطبري الكهف 83 وبسألونك عن ذي القرنين [11/ 46].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وإنما كان ظاهراً من وجهين: **أحدهما** أنه بظاهر البدن، و**الثاني** أنه يعرف كونه ذكراً أكثر الناس وما عداه من أنواع الذكر قد يخفي على كثير منهم كما سيأتي. **والثناء** على الله سبحانه يكون بذكر صفاته الكاملة ونعوته الجميلة ويكون بذكر إفضاله وإنعامه على عبده، **والسؤال** يكون بالقلب واللسان، **والرغباء** يكون بالحال والمقال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الذكر الخفي وهو الخلاص من الفتور، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها ذكر لسان وبهذا يتوالى ذكر القلب حتى ينور ويقوى، ويصير مشاهداً للحق بنور اليقن، ويذهب عنه الكسل والفتور. ويلزم القلب **المسامرة** وهي مخاطبة الحق له في قلبه إما بالفهم عنه لما يتلوه أو يذكره أو يخلق له خواطر صادقة يطلعه بها على الأسرار والأخبار المتعلقة بغير الأحكام من الحلال والحرام، فإن ذلك مختص بالأنبياء عليهم السَّلام دون غيرهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الذكر الحقيقي وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك، ومعرفة افتراء الذاكر في بقائه مع ذكره.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، وإنما كان ذكراً حقيقياً من حيث أضيف إلى الذاكر تحقيقاً وهو الحق سبحانه، إذا هو صفته القديمة ومن عداه من الذاكرين محال لما يخلق الحق فيهم من الذكر إذ لا خلق لهم فيه قطعاً. فمن شهد ذكر الحق له قبل ذكره إياه وأنه الذي خصه بذكره له وخَلْقِهِ فيه، وتوالى ذلك على قلبه حتى أنساه ذكر نفسه، فقد تخلص من شهود ذكره. وإذا تحقق عنده أن كمال الذكر غيبة الذاكر عن ذكر نفسه، تيقن **افتراءه** في ذكره أي كذبه وقلة صدقه في دعوى ذكره بنفسه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[48]. باب الفقر

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: الآية 13] **الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة.**

قلت: وهذا الحد بالغ في الفقر فإن الفقير من يتبرأ من الملك؛ لكن البراءة من الملك قد تكون اختياراً وطوعاً وقد تكون جبراً وكرهاً، والفقر المحمود هاهنا هو الذي يكون اختياراً. فيتبرأ العبد من ملك شيء دون الحق عيناً وغرضاً، عملاً أو حالاً أو مقاماً؛ وبمقدار تبريه وخلاصه من الأملاك يتمكن في فقره، وبمقدار تمكنه في فقره يكون استغناؤه بربه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى فقر الزهاد، وهو نفض اليدين من الدنيا قبضاً أو طلباً، وإسكات اللسان عنها ذماً أو مدحاً، والسلامة منها طلباً أو تركاً، وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.**

قلت: وهذه أول درجة من الفقر، وهي الفقر من الدنيا. فيبرىء منها الزاهد سائر أعضائه، فلا يمسكها في يده حباً لها، ولا يسعى في تحصيلها لغير الحق الشرعي طلباً، ولا يشغل لسانه بها ذماً لها، فضلاً عن مدحه إياها، فإن الزاهد بعيد من مدحها، وكذلك يسلم منها دينه في حالتي طلبه لها لله أو تركه إياها، فإن أخذها لأمره فلا يتعدى الحدود، ولا يتشوف لمفقود، وإن تركها لله تعالى لم يخل بواجب ولا مندوب، هو في نظر الشرع أولى بالإمساك له من الإخراج المطلوب. وقوله: **وهذا الفقر الذي تكلموا في شرفه.** قلت: وفضلوه على كسب المال من وجهه والتصدق به، وقد قال سمنون من أصحابنا: ترك الدنيا زهداً فيها أفضل من كسبها والتصدق بها. هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل،**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها براءة من أسباب الدنيا وهذه براءة من أسباب الأخرى. ولست أعني بالبراءة ترك الأعمال، وعدم منازلة الأحوال، والتمكن في مقامات القرب من فضل ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9]، بل نقول: جميع ذلك جارٍ عليهم وهم عنه مشغولون، وإلى ما سبق لهم عند الحق ناظرون، ولما خصهم به في أزله من نعمه التي أجراها عليهم في أبده شاكرون. فبهذا النظر القويم يتخلصون من إضافة أعمالهم لأنفسهم أو يستحسنون منها حالاً أو يسكنون بهممهم إلى غير البر الكريم، وبه أيضاً تعلو رتبهم حتى **يتمحصون** أي يتنظفون **من أدناس مطالعة المقامات**. وإنما سمى الشيخ النظر إلى المقامات في هذا الوطن **أدناساً** لعلو المقام ورفعة المحل الذي بلغوه، فلا يحتمل لكماله أن يكون فيه التفات لغير ولا رؤية لسوى الحق سبحانه. فأصحاب المقامات هم المتمكنون، ولا يليق بالوزير الغفلة عن الملك طرفة عين ما دام في الحضرة، والتمكن هو الدائم الحضور. لا أماتني الله وإياكم حتى يوصلنا إلى هذه الخيرات، ويتفضل علينا به على أحسن الحالات، بمنّه وكرمه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في قيد التجريد، وهذا فقر الصوفية.**

قلت: وهذا الفقر لا يخفى فضله على ما تقدم، فإن الأول براءة من المال، والثاني براءة من الأعمال والأحوال، وهذا براءة من النفس وحظها واستغراق في عين التوحيد بالكمال. قد غلب على قلبه رؤية الاضطرار. إلى فعل الخيرات. والتقطع في يد التوحيد جبراً لا بالاختيار، بالتجرد عن الاختيار، ورؤية نفسه مقيداً بقيد التجريد عن الأغيار، شغلاً بالواحد القهّار، لا يملك لنفسه شيئاً من الاصطبار، عما هو مصروف إليه بل مصرف فيه من آثار الاقتدار ، فتقطُّعُه شكرٌ لمولاه لحسن الاختيار، مع غفلته عما سواه من الأغيار.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[49]. باب الغنى

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَزُولَاۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ۝٨ ﴾ [الضّحى: الآية 8].

قلت: وهذا أحسن الوجوه في تفسير هذه الآية وهو أن غناه عليه السَّلام إنما كان بالمعرفة وخصائص النبوة والزلفى لديه.

وقد تمسك بعض العلماء بهذه الآية في تفضيل الغنى بالمال على الفقر لأنه تعالى امتن على رسوله ﷺ به، وبيان المراد بالآية كما تقدم يصده عن ذلك. ويعضد ما قلناه ما ورد به الخبر الصحيح من دعائه عليه السَّلام (أن يجعل رزق آل محمد كفافا)[1] وفي رواية (قوتاً)، أفكان يختاره لنفسه ويدعو به لعياله وهو عنده نقيصة حاش لله؟ ولم يكن فقره عليه السَّلام عجزاً بدليل جريان خوارق العادات بسؤاله من تكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك، ولو شاء لدعا ربه فأغناه بالدنيا، بل قد عُرضت عليه فأباها واختار جوع يوم وشبع يوم توفيراً لآخرته وليقتدي به أولو العزم من صحابته رضي الله عنهم أجمعين.

قال الشيخ رحمه الله: **الغني اسم للملك التام.**

قلت: لأنه ضد لما تقصّى الفراغ منه وهو الفقر، فإن الفقر اسم للبراءة من الملك وهذا ملك كامل لا نقص فيه، وعلى هذا فلا غنى في الحقيقة إلا لله وبالله فإنه الملك والمملك لا غيره.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى غنى القلب، وهو سلامته من السبب، ومسالمته للحكم، وخلاصه من الخصومة.**

قلت: وغنى القلب بالله تعالى هو أن ينفرد نظره له خاصةً، فلا يرى

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر سؤال المصطفى ﷺ ربه جل وعلا أن تعزب الدنيا عن آله، حديث رقم (6343) [1/ 254].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الأسباب لما غلب على قلبه من رؤية المسبب؛ وإن كان ملابساً لها للأمر، فهو فيها مع الحق لا مع نفسه وسكونها إليها. **ومسالمته للحكم** أي لا يقع في نفسه خلاف عليه ولا خصومة مع نفسه على فوات حظوظها العاجلة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية غنى النفس، وهو استقامتها على المرغوب، وسلامتها من المسخوط، وبراءتها من المراءاة.**

قلت: وهذه الدرجة إنما كانت ثانيةً، وإن كان القلب أشرف من النفس، من جهة أن الغنى في الأولى يرجع إلى محض العلم وله تقدم على العلم والحال وهذه عمل القلب والجوارح. وهي أيضاً تشتمل عليه ويدخل جميعه في قوله **المرغوب** فيه **والمسخوط** عليه، فإن المرغوب فيه يشمل سائر الواجبات والمندوبات، وإن تعالت في الدرجات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الغنى بالحق، وهو على ثلاث مراتب: الأولى شهود ذكره إياك، والثانية دوام مطالعة أوليته، والثالثة الفوز بوجوده.**

قلت: وقوله **الغنى بالحق على ثلاث مراتب** وذكرها كلها في مقام التوحيد بالغ، فإن من شاهد بقلبه ذكر الحق سبحانه له في أزله من غير طاعة سبقت ولا سبب من جهته هو بل محض فضل ربه عليه، وتحقق أن من أجل ما سبق له من فضله تعريفه إياه بنفسه تعالى وإيجاده القرب له منه والأنس به، وأدرك ذلك جارياً عليه في وقته، ومن وصل إلى هذا المقام، سكنت نفسه إلى مولاه، واستغنت به عمن سواه، وفاز وأفلح بوجوده ورؤيته بقلبه في دنياه وبعين رأسه في أخراه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[50]. باب مقام المراد

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص: الآية 46] **أكثر المتكلمين في هذا العلم جعلوا المراد والمريد اثنين، وجعلوا المراد فوق المريد؛ وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر. وللمراد ثلاث درجات: الأولى أن يعصم العبد وهو يستشرف للجفاء اضطراراً، بتنغيص الشهوات وتعويق الملاذ وسد مسالك المعاطب عليه إكراهاً. والدرجة الثانية أن يضع عن العبد عوار النقص، ويعافيه من سمة اللائمة ويملكه عواقب الهفوات؛ كما فعل بسليمان عليه السَّلام في قتل الخيل، حمله على الريح الرخاء والعاصف فأغناه عن الخيل؛ وفعل بموسى عليه السَّلام حين ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه لم يعتب عليه كما عتب على آدم ونوح وداود ويونس عليهم السَّلام.**

والدرجة الثالثة اجتباء الحق عبده واستخلاصه إياه بخالصته، كما ابتدأ بموسى وهو خرج يقتبس ناراً، فاصطنعه لنفسه وأبقى منه رسماً معاراً.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن الأولى حفظ على وجه الجبر والقهر، والثانية تجاوز عن نقص الزلل لطفاً وحملاً على أحسن العمل، وكلاهما مترتب على سبب من جهة العبد، وهذه الدرجة اجتباء أزلي ولطف باصطفاء أولى من غير تقدم سبب من الأسباب، لا من جهة العبد ولا من جهة رب الأرباب، بل فعل مبتدأ اختصاصي كما اختص موسى عليه السَّلام بالكلام فإنه ذهب يقتبس لأهله ناراً فكلمه الحق سبحانه بلا واسطة وأراه من آياته البالغة ما قصه تعالى في الكتاب.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[VI ـ قسم الأودية]

وأما قسم الأودية فهو عشرة أبواب، وهي: الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتعظيم، والإلهام، والسكينة، والطمأنينة، والهمة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[51]. باب الإحسان

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60] **قد ذكره في صدر هذا الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوي يجمع أبواب الحقائق، وهو (أن تعبد اللَّه كأنك تراه).**

قلت: هذا الخبر صحيح خرجه مسلم في أول الديوان، وقد تقدم ذكره وبيان الإحسان وتفاوت المقامين ممن يعبد الله كأنك يرى الحق سبحانه أو يعبده كأن الحق يراه، وبينا أن المقام الأول أتم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الإحسان في القصد بتهذيبه علماً، وإبرامه عزماً، وتصفيته حالاً.**

قلت: وإنما كان الإحسان في القصد من أول الدرجات لأن القصد من أعمال القلوب وهو أول عامل من العبد. فيهذب قصده على مقتضى العلم ويكون منبرماً بالعزم، ويصفيه حالاً أي يصير حاله جريان سائر قوده على مقتضى العلم. فإذا تهذب القصد بالعلم وقوي بالعزم وصفا من الشوائب **حالاً،** دخل صاحبه به في باب الإحسان وهو الإخلاص والصدق في الأعمال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية الإحسان في الأحوال، وهو أن تراعيها غيرةً، وتسترها تظرفاً، وتصححها تحقيقاً.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة أن الإحسان في الأولى وقع في قصد الدخول للأعمال وهاهنا وقع الإحسان بعد الاستقامة فيها وقوة الأحوال الحاملة عليها. وإحسانه فيها مراعاتها حتى لا تغلبه فتظهر عليه، غيرةً عليها من ملاحظة الناظرين، وستراً عن أبصار الخلق. . .، وتخليصاً وتحقيقاً وتصحيحاً ليرتقي بها في درجات المتقين.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الإحسان في الوقت، وهو ألا تزايل**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المشاهدة أبداً، ولا تلحظ بهمتك أمداً، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها فيه تفرقة مع الأحوال وتمييز لما هو فيه منها محمود فيصونه عن المشوشات ويستره عن الآفات، وهذه الدرجة أقرب إلى الجمع. وهي ملازمة المشاهدة في الوقت على الدوام، وقصر الهمة عليه فلا يلتفت إلى ما بين يديه من الأنام، بل يجمع همته في وقته مع الحق على الدوام، على أبلغ وجه وتمام.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[52]. باب العلم

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا﴾ [الكهف: الآية 65] **العلم ما قام بدليل ودفع الجهل، وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى علم جليّ يقع بعيان أو استفاضة صحيحة أو صحة تجربة قديمة.

قلت: العلم الضروري والإلهامي لا يفتقر إلى دليل في ثبوته، وقوله **علم جليّ** العلوم كلها في الكشف على وتيرة واحدة، ليس فيها شيء أجلى من شيء ولا علم أوضح من علم. فإن حقيقة العلم معقولة واحدة وهي معرفة المعلوم على ما هو عليه؛ وإنما المختلف أسبابها والطرق الموصلة إليها ومتعلقاتها خاصةً، وبها كانت ضروريةً وبديهيةً وكسبيةً:

ومنها ما تتأتى الغفلة عنها كالعلوم النظرية.

ومنها ما لا يتأتى الانفكاك عنه كبعض الضروريات.

ومراد الشيخ بكونه جلياً سرعة إدراكه كالبديهي أو الضروري، ولذلك قال بعيان أي بحاسة العين، **أو استفادة** أي بالتواتر، **أو تجربة قديمة** أي العلوم العادية، وكلها من الضروريات التي لا يمكن العبد دفعها عن نفسه إذا جرت أسبابها، ولكن أسبابها حاصلة غير مكتسبة بنظر وطلب فلذلك كانت أسهل. والعلوم النظرية أسبابها، وهي أدلتها، مكتسبة بالبحث عن ثبوت العلم بصحتها ووجه دلالتها على مدلولها.

قال الشيخ: **والدرجة الثانية علم خفيّ ينبت في الأسرار الطاهرة من الأبدان الزاكية، بماء الرياضة الخالصة، ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية، وفي الأحايين الخالية، في الأسماع الصاحية، وهو علم يُظهِر الغائب ويغيب الشاهد ويشير إلى الجمع.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وإنما سمى الشيخ هذا العلم خفياً، وإن كان ذلك محالاً في العلم، إذ لو قدر أن أحد العلمين المتعلقين بمعلوم واحد كشف ما لم يكشفه الثاني لخرج الثاني عن كونه علماً به على ما هو به، وإن تعددت وجوه المعلوم الواحد كان ذلك كتعدد المعلومات؛ وإنما سماه خفياً من جهة أنه مما يختص بإدراكه بعض الناس ويخفى عن بعضهم. فإنه من العلوم الموهبية الإلهامية، بخلاف ما تقدم من العلوم الضرورية والكسبية، فإنها مدركة لسائر العقلاء، وعلم الأحوال والمقامات، و التنقل في الدرجات، يهبه الحق سبحانه لمن استقام على سلوك الطريق، وتهذب بعلم الشرائع بالتحقيق. ويخلقه سبحانه في القلوب الطاهرة بالمجاهدة وهي المنورة بالنور الساطع، **يظهر على الأنفاس الصادقة في** الأحايين الخالية يعني الأوقات الخالية من ذكر غيره تعالى، **بالأسماع الصاحية** إلى فهم خطابه. قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: الآية 37] قال أهل التفسير: لا يحدث نفسه بغير ما هو فيه.

وقول الشيخ: **وهو علم يظهر الغائب** يعني غائباً عن أفهام الناس، **ويغيب الشاهد** يعني أن العبد يستغرق فيه وبه، حتى يغيب عن شاهده، لجلالة قدر من استغرق بذكره، وكمال فتحه له ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: الآية 26]؛ ومن هاهنا أشار هذا المقام إلى الجمع.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة علم لدني إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها كان ثمرة مجاهدة وتصفية، ففيه التفات إلى الأسباب في الاكتساب، فقد اشتمل على نوع من التفرقة، وهاهنا علم بغير سبب ولا طلب بل فتح لدني واختصاص أزلي. **إسناده وجوده** أي لا إسناد له إلى أحد، بل مستنده ما يجده العبد في نفسه؛ **وإدراكه معاينته** أي كشفه لمعلومه، **ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب** أي واسطة ودليل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[53]. باب الحكمة

قال الله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: الآية 269] **الحكمة اسم لإحكام وضع الشيء موضعه.**

قلت: وهذا بالغ فإن العالم بجهات المصالح والمفاسد هو الذي يضع الأشياء مواضعها، وعلى أحسن وجوهها، وأبلغ منافعها، وأوثقها في وضعها، وهو الحكيم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله وقته.**

قلت: وهذا مطرد في نفسك وفي غيرك وفي الأعمال والأحوال. فلا يضع الحكيم شيئاً من أعماله وأحواله إلا على وجهه المطلوب، **ولا يعديه حده** فيخرج في عمله عن الشرع وفي حاله إلى الدعوى والكذب، ولا يعطي أحداً من المخلوقين من الإجلال فوق قدره المأذون فيه شرعاً فيطغيه، ولا يهمل حرمته فيستنقصه ويوذيه. ولا يتعدى بنفسه عن مقام أو حال حتى يحكمه، ولا يحمله شوقه إلى ما فوقه فيستعجله قبل وقته فيخل بأحكام ما هو فيه ويهمله.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية أن تشهد نظر الله في وعيده وتعرف نظره في حكمه، وتلحظ بره في منعه.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها في الحكمة، فإن متعلق حكمته في الأولى أفعال نفسه وأفعال غيره من المخلوقين إذ هو محكمها، وهاهنا متعلق نظره حكمة رب العالمين وكمال علمه وجمال صنعه. فيشهد في وعيد الحق سبحانه للعاصين رحمته بهم وهو نظره لهم، فإن تقديم الوعيد للعاصين، تحذير لهم وإنذار لينكفوا عن الوقوع في أسباب الهلاك من موافقة اللعين. وكذلك تعرف نظره تعالى للخلق في حكمه فتعرف رحمته فيه لهم، فإن الشرائع والأحكام

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

إنما جاءت رحمةً للعالمين، فإنهم، إذا عرفوا الحق سبحانه بدلائل أفعاله ولم يعرفوا كيف يتعبدون له، وقعوا في غمرة الجهل؛ فمن رحمته بهم إرسال الرسل وبيان الأحكام، من الحلال والحرام. وكذلك يلاحظ في منع الحق إياه بعض المحبوبات والمشتهيات بره ولطفه به في ذلك بل في بعض الأحوال والمقامات؛ فكم من محبوب حصل كان سبب هلاك طالبه وباغيه، وكم من حال تمناه متمنٍ علم الحق سبحانه أن عقله لا يحتمله في وقته فصرفه عنه ومنعه إياه فكان فيه عليه أعظم بركة وأتم مصلحة! فله الحمد على نعمه التي لا تحصى، ديناً ودنيا وأولى وأخرى.

قال الشيخ رحمه الله: والدرجة الثالثة أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك الغاية.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها في الحكمة، فإن ما قبلها نظر في تعلم الحكمة وهذه الدرجة تعليم للخلق واستعمال الحكمة في الإرشاد والنصيحة.

فمن حكمته التي حصلها في الدرجة الأولى ألا يدخر عن المتعلم ممكناً يليق بعقله ويوضحه له ولا يقصر عن غاية تصلح لمثله بأقرب الطرق في التفهيم والنصح والشفقة وعدم رؤية الفضل لنفسه عليه، فإن ذلك سبب عظيم في الفتح من الله عليه وعليهم. ويبلغ في إرشادهم حقائق الأمور ولا يخفى عنهم شيئاً مما فيه صلاحهم، فإن الحق سبحانه جعله طبيباً وواسطة بينه وبين العباد. وكذلك إذا كانوا ممن تصلح لهم الإشارة فليشر إلى غاية المقصود اللائق بهم، فإن ذلك أبلغ في وضع الحكمة مواضعها، فيحسن إليهم ويكرمهم؛ وأبعد عن منعها لمستحقها فتظلمها وتظلمهم كقول عيسى عليه السَّلام للحواريين(1).

(1) قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾. [الصف/ 14].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[54]. باب البصيرة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يُوسُف: الآية 108] **البصيرة ما يخلصك من الحيرة، وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى أن تعلم أن الخبر القائم لتمهيد الشريعة يصدر عن عين لا تخاف عواقبها، فترى من حقه أن تلذه يقيناً وتغضب له غيرةً.

قلت: البصيرة هي العلم الذي توالى وقلة الغفلات على المتصف به. وقد تطلق البصائر والمراد بها القلوب: يقال «عميت بصائرهم عن الحق» و«لهم أنوار بصائر» فالأنوار مضافة إلى البصائر وهي القلوب. ومراد الشيخ والله أعلم هاهنا بالبصيرة الكشف والعلم.

فقوله **أن تعلم أن الخبر القائم لتمهيد الشريعة** إلى آخره يعني به كل ما أثبتته الشريعة وأخبر به الرسول ﷺ عن الله تعالى، فإنه مستند إلى دلالة المعجزة على صدقه عليه السَّلام، فهي عين وحق لا تخشى عواقبه وهو كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه عليه السَّلام. فينبغي للعبد **أن يلذه يقيناً** ويحبه بكليته، فإنه يدل على كمال محبته. وكان بعضهم إذا فتح المصحف يقول: «هذا كلام ربي! هذا كلام ربي!» تنعماً به ومحبةً له. وقال بعضهم:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي   وفيها شفاءٌ للذي أنا كاتم[1]

وكذلك **تغضب** له إذا استُنقص ولم يُقَم بحقه **غيرةً**، فإنه دليل على محبتك وإجلالك له، وتعظيمك للمتكلم به والمبلغ له.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل، وفي تلوين أقسامه رعاية البر، وتعاين في جذبه حبل الوصال.**

(1) لم أقف على اسم هذا الشاعر.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة أبلغ في البصيرة مما قبلها، فإن الأولى تبصرة في أصول الاعتقاد وقواعد الإيمان، وهذه الدرجة تبصرة في تصاريف الأقدار وأسرار التفرقة بين الأشرار والأبرار. فمن كملت بصيرته شاهد جميع أفعال الحق سبحانه من الهداية والإضلال، والطاعة والعصيان، والتوفيق والخذلان، عدلاً وحقاً لاستحالة الجور في وصفه ونسبة الظلم إليه. فإن حقيقته راجعة إلى التصرف في ملك الغير بغير إذنه أو في ملكك شرعاً على غير الوجه المأذون فيه، وهذان الوجهان محالان في حقه تعالى إذ لا ملك لغيره ولا آمر له ولا ناهٍ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وكذلك يشاهد **في تلوين أقسامه رعاية البر**، فإن الحق سبحانه أعلم بأحوال خلقه وما يصلحهم من الأرزاق الدنيوية والأخروية، فهو تعالى يعطي كل عبد ما يصلحه وتستقيم حاله به إذا كان ممن سبقت له منه الحسنى. وإن أجرى عليه المعاصي فإنه يجري عليه التوبة منها، فلا تضره معاصيه في آخرته لكونه أجرى عليه ما محاها من صحيفته. ولا نقول إنه في وقت معصيته لم يكن عاصياً حقيقةً ولا كافراً، أعني من وقع منه الكفر وأسلم، بل هو كافر والآخر عاصٍ لربه تحقيقاً؛ وهو في حال كفره عدو لربه وفي حال معصيته بعيد من ربه مخالف له، وفي حال إسلامه وطاعته مسلم محبوب مكرم قريب. وكلاهما معلوم لله تعالى، سبق في علمه القديم وقوعهما وجريانهما على العبد في دنياه، إلا أنه يموت على أحسنهما إن كان ممن سبق له ذلك، أو على أسوأ أحواله إن كان ممن تقدم له إسلام ومات على كفر أو ممن تقدم له طاعة ومات على عصيان. ولا استحالة في شيء من ذلك، فإن علم الحق سبحانه ومعلومه لم تتغير بل وقع المعلوم على حسب العلم؛ والإيمان أو الكفر والطاعة أو العصيان معلومات شرعاً، وقد اتصف المكلف بهما في حالين ووقتين، وعَلِمَه الحق سبحانه في حال كفره كافراً وفي حال إيمانه مؤمناً، وعَلِمَه الخلق كذلك. وخاتمة أمره معلومة لله تعالى غائبة عنا، وهي واقعة على حسب علمه تعالى؛ فلا تغيير في وصفه تعالى وإنما المتغير عندنا المعلوم لا العلم، فهي معلومات مختلفة كالمعلومات كلها والعلم في نفسه واحد قديم.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **وتعاين في جذبه حبل الوصال.**

قلت: وهو صحيح، فإن من نارت بصيرته وتحسس لأفعال ربه به، عرف زيادته من نقصه وإبعاده من تقريبه، ورأى السبب الذي به قُربُهُ لمولاه فتمسك به واعتصم، ثم تبرأ من حوله وقوته فسلم وغنم. قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية 103] وكل معتصم فعصمته على حسب حاله ومقامه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة بصيرة تفجر المعرفة، وتثبت الإشارة، وتنبت الفراسة.**

قلت: وهذه البصيرة أبلغ مما قبلها، فإن الأولى نظر واستعمال البصيرة للتخلص من ورطة جهل العادلين عن الحق المتحكمين على الله في أفعاله بوجوب رعاية الأصلح للخلق في زعمهم عليه أو الجريان على مقتضى الحكمة عندهم، وهاهنا بصيرة تحققت بحق اليقين، وأعرضت عن المخلوقين لما هي فيه من كمال الشغل بالمشاهدة وتوالي الآيات عليها والبراهين في كل حين، فأنوار المعرفة متفجرة من قلبه على لسانه رحمةً للعالمين، وإشاراته فيما أشار إليه عن علم ويقين، لا عن حسبان وتخمين، وعن هذه الحالة **تنبت الفراسة** الصادقة بالخواطر الصحيحة لبُعده عن أحوال الغافلين المدعين، والله الموفق وهو المعين، بمنّه وكرمه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[55]. باب الفراسة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: الآية 75] **التوسم التفرس وهو استئناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد ولا اعتبار بتجربة.**

قلت: السمة العلامة الدالة على الشيء، والتوسم هو التعرف بالسمة الدالة على الشيء. وقد تكون السمة وهي العلامة عادية، وقد تكون شرعية، وقد تكون معرفية كسبية، وقد تكون موهبةً من الله تعالى وإلهاماً. وقد قال عليه السَّلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[1] فإذا وهب الله سبحانه للعبد نوراً في قلبه، كشف به ما لم يكشف لغيره، بغير قياس على شيء ولا تجربة بأمثاله، بل بخاطر صحيح يخلقه له لا يكذب أو بنور كاشف لا يخطىء، كما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: «يا سارية الجبل[2]! والحق أهلك فقد احترقوا» وغيره[3].

وقد حكي أن الجنيد رضي الله عنه بلغه أن شاباً يتكلم على ضمائر الناس لا تخطىء فراسته، فاجتمع به الجنيد وسأله عن حاله فقال له الشاب: «أضمر في نفسك شيئاً». فقال الجنيد: «قد أضمرت». فقال الشاب للجنيد: «أضمرت كيت وكيت». فقال له الجنيد: «لا». فقال له الشاب: «أضمر ثانيةً». فقال: «أضمرت كيت وكيت». فقال له الجنيد: «لا». فقال له: «أضمر ثالثةً». فقال له الجنيد مثل ذلك، فقال الشاب: «هذا عجب! أنت صدوق وأنا أعرف قلبي!» فقال له

(1) رواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة الحجر، حديث رقم (3122) [5/ 296] ورواه الطبراني في الأوسط، حديث رقم (3254) [3/ 312] ورواه غيرهما.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (35788) [12/ 256]. وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. ورواه غيره

(3) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الجنيد: «صدقت في الأولى والثانية والثالثة ولكني أردت أن أمتحن خاطرك هل يتغير». وقول الجنيد رضي الله عنه في كل مرة «لا» ليس بكذب وإنما هو عدول إلى المعاريض، ومراده «لا يكفيني في الامتحان» والله أعلم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى فراسة طارئة نادرة، تسقط على لسان وحشي في العمر مرةً، لحاجة مريد صادق إليها، لا يوقف على مخرجها ولا يؤبه بصاحبها. وهذا شيء لا يخلص من الكهانة وما ضاهاها، لأنها لم تشر عن عين ولم تصدر عن علم ولم تسق بوجود.**

قلت: وهذه الفراسة إنما سميت فراسة لكونها دلت على حق وصدق، وإن كانت **نادرة** وجرت على لسان قائلها رحمةً لغيره وتنبيهاً للمريد الصادق، ودلته على نقص فيه، وقصور يحتاج إلى تلافيه، أو ما يضاهيه. والفراسة التي تمكن صاحبها تكون عن نور معروف وهو العين المفتوحة المضيئة بالعلم الثابت.

وقوله: **ولم تسق بوجود** يعني وجود حال يثمر حقيقة الفراسة. ولا تمكن فيها ولا تكررت عليه أمثالها.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية فراسة تُجنى من غرس الإيمان، وتطلع من صحة الحال، وتلمع من نور الكشف.**

قلت: وهذه الدرجة هي التي فقدها صاحب الدرجة الأولى من الفراسة، فصحة الإيمان غرسها وهو أصلها والحال يطلع نباتها ويظهر آثارها، وبنور الكشف تلمع في عين ناظرها أزهارها.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة فراسة سرية لا تجتلبها رؤية على لسان مصطنع تصريحاً أو رمزاً.**

قلت: وهذا النوع من الفراسة عند الشيخ غير مكتسب، فإن أدنى الكسب الرؤية والنظر اليسير في الشيء قبل النطق به لتعرف صحته إما بميزان العلم الصحيح، أو بثمرات الأحوال المفهومة بالإشارات والتلويح. بل هذه الفراسة مواهب يجريها الحق سبحانه في قلوب المصطنعين من خواصه وعلى ألسنتهم قهراً وجبراً، رحمةً للخلق وعوناً لهم وتقويةً في أحوالهم وتمكناً في مقاماتهم ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: الآية 26] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[56]. باب التعظيم

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نُوح: الآية 13] **التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها.**

قلت: والتعظيم كما ذكره الشيخ رحمه الله مركب من ركنين: علم وحال؛ فإذا صحت المعرفة بعظمة الشيء، أذعنت النفس له وانقادت وذلت وخشعت واستكانت لعظمته.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهي، وهو ألا يعارضا بترخص جافٍ، ولا يعرضا لتشديد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

قلت: وهذا صحيح وأول التعظيم تعظيم الأمر والنهي، فإنه أصل للعامي والخاصي في هذا الشأن، إذ هما أسباب الطاعة واجتناب المعصية. فمتى لم يحصل في القلب تعظيم الأمر والنهي ضعف الإقدام والإجحام، وتعظيمهما عل حسب عظمة الآمر والناهي في القلب وهو تابع لأهل الإيمان، بالاعتقاد الصحيح أو بالعرفان.

ومن تعظيمهما **ألا يعارضا بترخص** مترخص **جاف** في ترخصه، يعني أنه يتمسك بأضعف الأدلة في الترخص ولذلك سماه **جاف**؛ وهذا لا يتم إلا في حق من له نظر في الأدلة، وإلا فالعامي وظيفته التقليد لا غير؛ ومن له نظر، إذا ظهر له وجه يقتضي الوجوب أو الحظر وخالفه لغيره وترخص متمسكاً بما يضعف عنده، فلا يلتفت إليه.

وقوله **ولا يعرضا لتشديد غالٍ** يعني متغالٍ في الدين على زعمه فيُجعلان له حجةً ومتمسكاً ويكلف لتغاليه وتشديده وجه؛ فإن الدين مبني على الحنيفية

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

السمحة، و(إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق)[1] ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن «المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[2] و(يسروا ولا تنفروا)[3]، فالتغالي وتكلف الشدائد مكروه وغيره الأولى في نظر الشرع إذ وضد مقصوده.

وقوله **ولا يحملا على علة توهن الانقياد** أي لا يُستنبط من محل الحكم **علة توهن الانقياد،** وتنفرد عنه أنفس العباد، بل حقه أن يُستنبط منه المعاني والأسرار، المعرّفة للقلوب كمال اللطف والرحمة من الله بالمتقين الأخيار.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تعظيم الحكم، (وهو) أن (لا) يبغي له عوج، أو يدافع بعلم، أو يرضى بعوض.**

قلت: والحكم هاهنا ما وقع وجرت به الأقدار، وإن خالف الغرض والاختيار، فتعظيمه ألا يُطلب له عوج عن العدل ولا خروج عن الحكمة، كما يظنه أهل الجهالة في خروج بعض الأفعال الجارية في العالم عن المصالح في زعمهم؛ وكل أفعاله تعالى حسنة. وافقت غرض العبد أو خالفت، من حيث كان له أن يفعل ما يشاء.

وقوله **ولا يدافع بعلم** أي علم عادي ولا تجريبي وجد العبد المصلحة فيه من نفسه في الحال، فإن مسألة المقادير مغيب عنه في الاستقبال. وعن هذا لا **يرضى بعوض** عنه أي لا يريد تغيير ما وقع ولا يطلبه، بل من تعظيمه حصول الرضى به كيف ما وقع وجرى به القدر، ما لم يكن مما نهى الحق سبحانه عنه وزجر.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تعظيم الحق، وهو ألا يجعل دونه سبباً، أو يرى عليه حقاً، أو ينازع له اختياراً.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها لمزاحمتها مقام الجمع وبُعدها عن حال التفرقة.

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (4521) [3/ 16] ورواه القضاعي في المسند، إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، حديث رقم (1147) [2/ 184].

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (4520) [3/ 18] ورواه القضاعي في المسند، إن هذا الدين متين. . .، حديث رقم (1147) [2/ 184].

(3) رواه الروياني في المسند، حديث رقم (499) [1/ 329].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وقوله **ألا يجعل دونه سبباً** أي ملجأً ولا معتمداً عليه من عمل أو حال أو مقام. وكذلك **لا يرى عليه حقاً** وإن بلغ في الطاعة له، فإن جازى عليها فبفضله، وإن لم يجاز عليها فبعدله، بل الحق له لأنه المالك المتفضل بالأسباب والمسببات جميعاً. وكذلك **لا ينازع له اختياراً** بل يجري تحت الأقدار، مجرى المحب له المختار، وإن خالفت أغراضه في هذه الدار، ويرضى بسائر الأقدار، ما لم يكن من علامات أهل النار، فإنه مأمور بالتألم بها والبكاء والندم على ذلك مع ربه إذ. . . . [1]، وإليه المشتكى خوفاً من العطب.

---

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[57]. باب الإلهام

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل: الآية 40].

قلت: ووجه الإشارة بالآية إلهام ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النَّمل: الآية 40] لما قام بنفس سليمان صلوات الله على نبينا وعليه من طلب السرعة في إحضار العرش بعد قول العفريت ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النَّمل: الآية 39] الآية. فألهم الحق سبحانه ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النَّمل: الآية 40] سرعة أتم من ذلك هي مطلوب النبي عليه السَّلام فقال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل: الآية 40] وفعل، فلما رآه سليمان مستقراً عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النَّمل: الآية 40].

قال الشيخ رحمه الله: **الإلهام مقام المحدثين وهو فوق الفراسة، لأن الفراسة ربما وقعت نادرةً أو استعصت أو استصعبت على صاحبها، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.**

قلت: وما ذكره الشيخ من الفرق بين الفراسة والإلهام صحيح، فإنه عليه السَّلام قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)(1) ولفظ (المؤمن) هاهنا ظاهر في إرادة الجنس ليس لمؤمن مخصوص. وقد قال عليه السَّلام إنه (قد كان قبلكم في الأمم محدثون وإن يأت في أمتي أحد فإنه عمر)(2) والخبر صحيح، فخص عمر رضي الله عنه دون غيره من المؤمنين بكونه محدثاً، وقد أجرى الله على لسانه من ذلك كثيراً ونزل الوحي على موافقته في أسرى بدر، وقصة

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) أورده الذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال، الفصل الثالث في إمامة علي رضي اللَّه عنه [1/ 510].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

عبد الله بن أبي بن سلول، وحجب أزواج النبي ﷺ وغير ذلك. فصاحب هذا المقام أمكن، وكشفه للأشياء أوضح وأتم، وكأن الفراسة أوائل مقام الإلهام فإذا تمكن صار إلهاماً.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى إلهام نبي يقع وحياً قاطعاً، مقروناً بسماع أو مطلقاً.**

قلت: الوحي أصله الاستعجال ومنه «الوحى الوحى»، فلما كان الحق سبحانه ينشئه في قلب العبد سرعةً سمي وحياً وإلهاماً. وقد يكون بواسطة وبغير واسطة وفي النوم واليقظة كما ابتدىء رسول الله ﷺ بالوحي في النوم فكانت رؤياه تجيء مثل فلق الصبح. وهذه الدرجة من الوحي تكون بسماع وبغير سماع، وهو المراد بكونه **مطلقاً** أي غير مقترن بسماع.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية إلهام يقع عيناً؛ وعلامة صحته أنه لا يخرق ستراً، ولا يجاوز حداً، ولا يخطىء أبداً.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها إلهام يكون. . . . .[1] المراد وهذا الإلهام بعين المراد ولذلك قال إنه **عيناً** كما قال عمر رضي الله عنه «يا سارية الجبل!» وقوله **(وعلامة صحته) أنه لا (يخرق ستراً)** إلى آخر كلامه أي لا يتعدى في الكشف. . . . .[2] التجلي مصلحة في حقهم ورحمةً. . . . .[3] كما ستر رسول الله ﷺ المنافقين (عن رؤية) الخلق وكان يعلمهم وأعلم حذيفة بهم، وكذلك أمور الد. . . . .[4] كشف أحوال الناس وما يسترونه عن غيرهم في بيوتهم. فلا يُظهره من أطلعه الله عليه إلا إذا كان مقصود الشرع إظهاره لمصلحة أيضاً. ومن علامة صحته أنه **لا يخطىء أبداً** عادة أجراها الحق سبحانه لأوليائه وكرامة أكرمهم بها. وقد قال حذيفة أنه جلس مع رسول الله ﷺ مجلساً فأعلمه بما كان ويكون إلى يوم القيامة، يعني أن الشيء إذا وقع في العالم ذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه. وهذا كله بخلاف الخرقاء. . . . . .[5] في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، فإن

---

(1) (2) (3) (4) (5) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ذلك. وإن جاز وقوعه للأولياء، فإنه لا يقع لهم لاختصاص الأنبياء به المبلغين عن الحق أحكامه. ولو وقع ذلك لهم لوزنوه بما ثبت عن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولو عملوا به من غير وزن لأدى ذلك إلى باطل وهو كونهم أنبياء تعدوا رسالة المبين وخاتم النبيين وهو عليه السَّلام آخر الأنبياء. وقد قال ﷺ: ....[1] عن ربه بنفسه لكان..........[2] (ﷺ) لا يصح................[3] الأحكام وحكمه........[4] ذلك من الأسرار.

(قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة) الثالثة (إلهام يجلو عين التحقيق صرفاً. وينطق عن) عين الأزل محضاً، والإلهام غاية (تمتنع عن) الإشارة إليها.**

قلت: وهذه الدرجة في الإلهام أتم مما قبلها من جهة المتعلق، فإن صاحب الدرجة الأولى قد يكون ما يقع الإلهام له متعلقاً بالخلق ومصالحهم وإن كان كشفاً حقاً عيناً، وهذه الدرجة من الإلهام متعلقة بالصفات الأزلية والأحكام التحقيقية صرفاً لا يشوبها ذكر غيره. ولذلك قال **وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة** إذ صفات الحق سبحانه وتعلقها بمتعلقاتها لا غاية لها، ولا لما يمكن أن يعرفه العبد من جلاله وعظمته، ولا في حال الجمع بين يديه والإقبال.

(1) (2) (3) (4) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[58]. باب السكينة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: الآية 4] **اسم السكينة لثلاثة أشياء: الأولى سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت، قال أهل التفسير: «وهي ريح هفافة» وذكروا صفتها وفيها ثلاثة أشياء: هي لأنبيائهم معجزة، ولملوكهم كرامة، وهي آية النصر تخلع قلوب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصفان للقتال. والسكينة الثانية هي التي تنطق على ألسن المحدثين، ليست هي شيئاً يُملك، إنما هي شيء من لطائف صنع الحق. تلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء، وتُنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشُبَه.**

والسكينة الثالثة هي التي أنزلت في قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع نوراً وقوةً ورَوحاً، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر، ويستكين إليه العصي والجريء والأبي. وأما سكينة الوقار التي تراها نعتاً لأربابها، فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها.

قلت: وما ذكره الشيخ من إطلاق اسم السكينة على المعاني التي ذكرها صحيح. وقد قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 248] الآية، وقال في السكينة الثانية علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنا كنا أصحاب محمد ونحن متوافرون لنرى أن السكينة نطق على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه». وقد قال تعالى في السكينة الثالثة: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتْح: الآية 26] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: الآية 4].

وهذه السكينة اسم لثلاثة معانٍ: **نور وقوة ورَوْح**؛ وأما النور فالكشف، وأما القوة فالصدق بقوة اليقين، وأما الرَوْح فالتنعم بالحال الذي اجتمع له فيه الكشف

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

والصدق، فالقلب إذا تعمر بهذه المعاني استراح من همّ التدبير و(استقام) على متن التقوى والصراط المستقيم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [الفَتْح: الآية 26].

قال: **وأما سكينة الوقار التي تكون نعتاً لأربابها فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها** وهو صحيح، فإن المعاني إذا قويت في القلوب تبعتها الجوارح، وبمقدار خلوها من الخير تخلو الجوارح منه. والسكينة التي هي نعت في الجوارح إطراق في الرأس وسكون في الجوارح وهدوء في المشي وتثبت في الكلام وحياء في الوجه إلى غير ذلك.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى سكينة الخشوع عند القيام للخدمة، رعايةً، وتعظيماً، وحضوراً.**

قلت: وهذا التقسيم للكسينة الثالثة خاصةً التي نزلها الله في قلوب الأنبياء والمؤمنين، والخشوع السكون والهدوء؛ قال الله تعالى: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ﴾ [فُصّلَت: الآية 39] الآية. وإنما كان ذلك **عند القيام للخدمة** لأنه وقت حضور بين يدي الحق سبحانه، **رعايةً** لحقه **وتعظيماً** لرؤيته **وحضوراً** بين يديه ومعه وبعداً عن الكسل والفتور. وإذا تمكن العبد في هذا المقام، اطرد له ذلك في سائر الأحوال، من التصرفات الدينية والدنيوية من الأعمال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية السكينة عند المعاملة، بمحاسبة النفس وملاطفة الخلق وموافقة الحق.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الطاعة لا بد لها من النية وقصد الحق، بخلاف معاملة الخلق ومبايعتهم. فإن الشرع لم يشترط في صحته أن تكون له، بل يصح أن يكون طاعةً ويصح ألا يكون طاعةً؛ فإذا أوقعها العبد طاعةً، دل ذلك على كمال عزمه، وشدة إشفاقه، من ضياع أوقاته وأعماله. وكذلك لا يُؤثرهم على نفسه، ولا يبالغ في نصحهم إلا لكمال قوته، وشدة زهده.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة هي التي تثبت الرضاء بالقِسَم، وتمنع**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

من الشطح الفاحش، ويقف صاحبها على حد الرتبة، والسكينة لا تنزل قط إلا في قلب نبي أو ولي.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها؛ فإن ما قبلها أدب مع الخلق للحق، وهذه أدب مع الحق بالحق. فهو أن يرضى بقسم اللَّه أدباً مع الله؛ وكذلك يمسك نفسه بالأدب وحسن الاعتياد مع الحق، حتى لا يجري على لسانه في وقت غلبة حاله شيء من **الشطح الفاحش** وهو كلمات تجري على ألسنة الصادقين وقت غلبة الأحوال عليهم. فيقف صاحب هذه السكينة على كل مشكل وريبة حتى يأتيه الشيء الواضح الذي لا إشكال فيه.

وقوله **والسكينة لا تنزل قط إلا في قلب نبي أو ولي** صحيح، ودليله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتْح: الآية 26] ثم قال: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [الفَتْح: الآية 26] فجعلهم أهلها لا غير؛ ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 68] بخلاف الكفار.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[59]. باب الطمأنينة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفَجر: الآية 27] **الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان. وبينه وبين السكينة فرقان: أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس؛ والثاني أن السكينة تكون نعتاً وتكون حيناً بعد حين، والطمأنينة نعت لا تزايل صاحبها.**

قلت: وما ذكره الشيخ من الفرق بين السكينة والطمأنينة لا تدرك حقيقته إلا بالمنازلة والذوق، ولكن ما ذكره فيه إشارة. فأحد الفرقين أن للكسينة صولة تطرق القلب ويغلب حكمها عليه، فيخمد ويهدأ من هيبته لما يخشاه ويزول عنه القلق والهلع، وليس ذلك من جنس الغفلة الطارئة على القلب فتزول عنه أضدادها، والطمأنينة سكون رجاء وأمن وسرورٍ. والفرق الثاني أن السكينة قد لا يستمر مكثها في القلب ولا تتوالى أمثالها بخلاف الطمأنينة، وكأنها في التقريب أوائل المقام والطمأنينة نهايته؛ ونسأله التوفيق والسلامة.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى طمأنينة القلب بذكر الله؛ وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء، والضجر إلى الحكم، والمبتلي إلى المثوبة.**

قلت: وهذه الدرجة من الطمأنينة أول درجات الطمأنينة؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرّعد: الآية 28] يعني به ذكر وعده تعالى. فإن السالك إذا قدر نفسه بميزان الحقيقة، ووجدها غير مستقيمة على الطريقة، ثار من قلبه الخوف على نفسه من فوات مطلوبه، على حسب همته ومرغوبه. فإذا منّ الحق سبحانه عليه بالنظر إلى جهة لطفه به، بإثارة الخوف من قلبه، وإن ذلك رحمة منه سبحانه به، أكسبه ذلك النظر الرجاء لفضله. وكذلك إذا ساءت

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

أخلاقه وضجر على أهله ومن يعامله، ثم تداركه الله بالنظر لكونه من فضل ربه وحكمه، والطمأنينة إلى وعده، لمن حلم عند غضبه، فرجع إلى ربه، وعرف خسة قدره وغضبه، وقبح منظره وتغير حاله، رجع إلى مقام الحكم. وكذلك من نزل به بلاء من ربه، وتألم بسببه، وتكدر عليه عيشه، ثم منّ عليه مولاه بالنظر إلى ثوابه، زال عنه ثقل البلاء، واطمأن بجميل العطاء، وربما عد البلاء من جملة النعماء.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية طمأنينة الروح في القصد إلى الكشف. وفي الشوق إلى العدة، وفي التفرقة إلى الجمع**.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الأولى كانت بوعده، وفي هذه حصلت بوجود عونه ورفده. والروح ألطف معنىً من القلب عندهم، فإن القلب محل الفكر في جهة الخلاص من النقائص والتخلق بالأخلاق الحميدة، والروح شيء له ميل إلى التعلق والانتقال عن الأوصاف إلى المعارف والارتياح برَوْح القرب والأنس. ولذلك كانت الطمأنينة في هذه الدرجة مع صحة القصد إلى الكشف، فصحة القصد أثر القلب والكشف تعلق الروح؛ فيكون عاملاً على صحة القصد لله تعالى، مطمئناً إلى مزيد الكشف والفتح. ويكون مشتاقاً إلى بلوغ مقام منيف، ساعياً فيه، مطمئن القلب لوعد الله سبحانه لمن تعاطى أسباب الوصول إليه. ويكون أيضاً في حال التفرقة والنظر لتدبير نفسه على حسب الأوامر والنواحي مطمئناً لنيل مقام الجمع، وهو أن تغلب على قلبه رؤية التصريف فيه للحق أمراً ونهياً وفعلاً واقتداراً، فيكون عاملاً بالأوامر والنواهي، متبرئاً من عمله بقلبه، رائياً لفضل ربه عليه في توفيقه إياه، غافلاً عن نفسه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة (طمأنينة) شهود الحضرة إلى اللطف، وطمأنينة الجمع إلى البقاء، وطمأنينة المقام إلى نور الأزل**.

قلت: وهذه الدرجة أبلغ، ونسأله أن يوصل إليها كل مشتاق. وذلك أن ما قبلها طمأنينة مع صحة القصد إلى الكشف، وهذه طمأنينة إلى دوام المشاهدة مع صحة الكشف. ولذلك كان في الأولى مطمئناً إلى مقام الجمع مع وجود التفرقة،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وهاهنا طمأنينة **إلى البقاء** في حال الجمع مع وجود أصل الجمع، فإنه قد يحصل له الجمع ولا يدوم له ولا يتمكن فيه. وكذلك أرباب المقامات والمتمكنون فيها مطمئنون **إلى نور الأزل**، وهو ما يشغلهم عن مقاماتهم ويستغرقهم في حين التوحيد عن رؤية الفعل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[60]. باب الهمة

قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: الآية 17] **الهمة ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفاً، لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها.**

قلت: قوله: **ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفاً** أي معنىً له سطوة وملك للحمل على المقصود الصحيح، ويبعث عليه بعثاً لا يخالطه غيره، مما يفتره أو يغيره. وهذا المعنى هو المعبر عنه بالهمة، ولذلك قال: **لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها.**

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر التواني.**

قلت: وهذه الهمة أول همة المريد للسلوك، فإن شدة عزمه في البداية تحمله على الاشتغال بأعمال البر، فيعرض لذلك عن أشغال الدنيا الفانية، ويزول عنه لذلك الكسل والتواني في أعمال الآخرة الباقية.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية همة تورث أنفةً من المبالاة بالعلل، والنزول عن العمل، والثقة بالأمل.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الهمة الأولى أثمرت صيانة القلب عن الاشتغال بأعمال الدنيا الفانية والرغبة في الأعمال الباقية، وهذه الدرجة أورثت أنفةً وتعززاً عن التعلق والسكون لأعمال الآخرة دون الحق سبحانه، فإن العلل هي السكون إلى الأسباب. فلا يبالي صاحب هذه الهمة بورود خاطرٍ داعٍ إلى التعلق بالأسباب، ولا يعلق نفسه بأمل يمنعه من المبادرة في الحال، إلى إتقان ما هو فيه من الخيرات النافعة له في المآل.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة همة تصاعد عن الأحوال والمقامات،**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وتزري بالأعواض والدرجات، وتنحو عن النعوت نحو الذات.

قلت: وهذه الهمة أرفع مما قبلها، فإن هذه الهمة صار مطلوبها دوام النظر إلى الحق سبحانه في الحال والمآل، وبُعدها عن الغفلة عنه في سائر الأحوال والأعمال، لا ترضى بالسكون إلى حال شريف، ولا تلتفت إلى ما تمكنت فيه من مقام عالٍ منيف، فضلاً عن طلب الجزاء من الحق على الأعمال وتمني الدرجات في الآخرة على ما هي عليه من حسن الفعال. بل هي مشغولة عن هذا كله، بجلال مالكها وكماله، وعظمته وكبريائه، ووحدانيته في أزله ودوام بقائه. قد شغلها النظر في كمال الذات، وتنزهها عن الأقطار والجهات وكمالها وجمالها عن ذكر الصفات، التي دلت عليها أفعاله ومخلوقاته الناطقات والجامدات. وبهذا الاعتبار تنحو عن الصفات بنحو الذات، لا إنكاراً للصفات، ولا يجعلها أغياراً للذات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[VII ـ قسم الأحوال]

قال الشيخ رحمه الله: **وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[61]. باب المحبة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54] **المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع على الإفراد. والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو؛ وهي آخر منزل تلقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة، وما دونها أغراض لأعواض. والمحبة هي سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعدن النسبة.**

قلت والله الموفق: ما ذكره الشيخ في حد المحبة بالغ جداً في البيان لأن أهل الأصول قالوا: المحبة هي الإرادة للمحبوب؛ فمحبة الحق سبحانه لعبده إرادته الخيرية وتخصيصه بالإلطاف والإكرام، ومحبة العبد لله تعالى هي إرادته لموافقته وامتثال أمره وطاعته. وإن كانت المحبة في اللغة الميل إلى المحبوب فهي مخصوصة بمحبة الخلق؛ فإن الحق سبحانه منزه عن أن يميل أو يُمال إليه، فإن ذلك مخصوص بذوي الأحياز والجهات المستحيلة على الحق سبحانه. هـ.

هذا قول بعضهم ونحن نقول: الميل يكون بالقلب ويكون بالبدن، وما ذكره في الميل بالبدن صحيح. وأما الميل بالقلب فإنه لا يختص بالأجسام ذوي الجهات والتحيزات، بل بالمستحسنات المعلومات المذكورات، والحق سبحانه متصف بأكمل الصفات، منزه عن النقائص والآفات، علم ذلك بالأدلة الواضحات. والقلوب لمن هذه صفاته تائقة مشتاقة، محبة تواقة، ولكمال معرفتها برؤيته ناظرة حداقة، عاملة باحثة طالبة سائلة باكية متملقة ممتثلة لأوامره سباقة. وهذه نعوت المحبين لله سبحانه مع تنزه محبوبهم عن التقديرات والجهات، ولذلك حده الشيخ بأنه **تعلق القلب بين الهمة والأنس**، فالهمة حاملة على الطلب والأنس تنعم بما أنعم به ووهب.

وقوله: **والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها إلى منازل المحو.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وإنما كان كذلك لأن القلب المحب متعلق بمحبوبه، مشغول به عن غيره، فهذا هو الفناء فيه عن غيره. فإن كملت محبته له وقوي شغله به، اشتغل به عن ذكر نفسه وعن ذكر كونه محباً، وهذا هو محو ذكر نفسه عن القلب بالكلية شغلاً بالمذكور تعالى.

وقوله: **وهي آخر منزل تلقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة صحيح**، وذلك أن العامة من السالكين ناظرون إلى أعمالهم، طالبون الجزاء من ربهم على إتقانها وكثرتها؛ فحاملهم تارةً الخوف من فوات الأحوال، وتارةً الرجاء لحصولها. فإذا تمكنوا في معرفة الله سبحانه بصفاته، وتكرر نظرهم في جميل أفعاله معهم ومع غيرهم من عباده، فأحبوه وأجلوه واشتاقوا إلى قربه، جرت عليهم أعمالهم وهم معرضون عن استحسانها من أنفسهم، شاكرون فضل ربهم عليهم في توفيقهم، فقد انتقلوا إلى درجة الخاصة من السالكين وهم أهل التوحيد وأرباب الجمع مع الحق سبحانه.

وقوله: **والمحبة سمة الطائفة** أي علامتهم يعني أهل الخصوص. **وعنوان الطريقة،** يعني علامة صحة السلوك والدليل عليه. **ومعدن النسبة،** أي من وصل إلى مقام محبة الله فقد وجد محل صحة نسبته إلى الله تعالى، لقوله في الخبر الصحيح: (كنت سمعه الذي يسمع به)[1] الحديث. ولقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحِجر: الآية 42] فهم أهل ولايته والمنسبون إليه. فانظر، هداك الله لفهم كلامه تعالى وتقدس، كيف أعلم عدوك بعجزه عنك وواجهه بالخطاب قطعاً لطمعه فيك وتقويةً لقلبك بكونه تعالى نائباً عنك بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 65] أي حافظاً ومُعينًا.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى محبة تقطع الوسواس، وتلذ الخدمة، وتسلي عن المصائب؛ وهي محبة تنبت من مطالعة المنّة، وتثبت باتباع السُنَّة، وتنمو على الإجابة للفاقة.**

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6136) [5/ 2384] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة باللَّه وقال. . ، حديث رقم (347) [2/ 58] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة من المحبة إنما كانت أول الدرجات لكونها نشأت عن الإحسان، ورؤية الفضل على العبد من ربه والامتنان. والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، ولو قطع، الحق سبحانه إحسانه عن هذه القلوب، لتغيرت أو لخيف عليها التغير والرجوع عن محبتها. فإن صاحبها برؤية الإحسان عليه مشغول، وبتوالي النعم عليه محمول، قد انقطعت عن قلبه وساوس الأطماع، متلذذ بذلك بين يديه، قد أنساه ما هو فيه من توالي النعم، ما تقدم جريانه عليه من المصائب والنقم. فأصل محبته رؤية الإحسان، وثباتها في قلبه باتباع السُنَّة بواضح البرهان، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: الآية 8] وإذا أحبه الله ثبتت محبة الحق في قلب العبد، وتتزايد المحبة في قلب العبد بإجابته لدواعي الفقر والفاقة إلى ربه، فكلما أخطر الحق في قلبه خواطر الفقر إليه أجاب مبادراً بالذل والسكينة بين يديه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية محبة تبعث على إيثار الحق على غيره، وتلهج اللسان بذكره، وتعلق القلب بشهوده، وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في الآيات، والارتياض بالمقامات.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها في المحبة، فإن الأولى كانت عن توالي النعم وهي أفعال وأغيار، وهذه نشأت عن النظر في كمال صفات الحق سبحانه وعموم تعلقها بمتعلقاتها في الآخرة وفي هذه الدار، كالإرادة المتعلقة بسائر المرادات الممكنات ما وقع منها في الدنيا والآخرة إلى غير نهايات، أعني أعراض العذاب في الجحيم وأعراض النعيم في الجنات، وكذلك كمال القدرة التي يوجد الحق بها ما يشاء من المخلوقات، لا من شيء كائن يفعل منه كما يفعله أهل الصنائع بالأسباب والآلات، وكذلك كمال علمه القديم الواحد المتعلق بسائر المعلومات، الواجبات والجائزات والمستحيلات، ما وقع من الجائزات، وما سيقع إلى غير غايات ونهايات، على ما صحت به الأخبار ونطقت به الآيات المحكمات، وأجمعت عليه الأمة من خلود الكافرين في النار والمؤمنين في الجنات، والحق سبحانه يجدد عليهم في كل وقت ما يتنعمون به وتتعذب به

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الطائفة الأخرى، والعياذ بالله خالق الأرض والسموات، وهو سبحانه عالم في أزله بعلمه القديم بتفصيل ما يخلقه لهم ويجدده عليهم لاستحالة قيام العلم الحادث بذاته أو صدور الأفعال خارجة عن معلومه بالأدلة البينات.

فإذا أدرك العبد كمال هذه الصفات وعرف كمال المتصف بها، امتلأ قلبه بمحبته وتعظيمه وإجلاله في عموم الأوقات، ودام ذكره لمولاه، وآثره في تصرفاته على من سواه، وتعلق قلبه بمشاهدته والتنعم برؤيته، كما فعله الكليم (صلوات الله على نبينا وعليه) لما سمع كلام الحق سبحانه بغير واسطة: سأل رؤية الذات، وأعلمه سبحانه أنه لا يطيق ذلك بما أراه من حال الجبل، وصعق موسى (عليه السَّلام) لكمال العظمة والاحتشام، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: الآية 143] ثم رجع إلى قومه وعليه خلع التقريب والإكرام.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت، وهذه المحبة هي قطب هذا الشأن وما دونها محاب؛ نادت عليها الألسن، وادعتها الخليقة، وأوجبتها العقول.**

قلت: وهذه الدرجة في المحبة أبلغ، وهي كائنة عن كمال الاستغراق في كمال الذات التي لم تزل ولا تزال، والمنزهة عن التغير والزوال، التي لا توصف بتقريب العبارة والأمثال، القريبة من كل موجود من غير مداناة ولا اتصال، البعيدة حتى حارت عقول من لم يثبته تثبيتها عن إدراك وجودها فضلاً عن صفاتها ذات الكمال، التي لا أول لوجودها حتى يحصرها حد بمقال، ولا آخر لبقائها حتى يتخيل لها زوال، فسبحان من قرب من قلوب أحبائه بالرحمة لهم والإقبال، وبعُد من قلوب أعدائه حتى صاروا عنه في حيرة وضلال، ونسأل أن يديم علينا كمال الإفضال، ولا يسلب عنا من نعمه ما لا قدرة لنا على القيام بشكره بحال، إنه ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9].

ففي مثل هذا البحر غرقت قلوب العارفين، واستغرقت أرواح المحبين، ولهذا كانت **خاطفة** للقلوب، قاطعة للعبارة عما شاهدوه من الغيوب، وما أشار إليه مَن هذه منزلته، دقت فيه إشارته، ولم يقدر أن يصف ما في قلبه، لأنه لا ينتهي بالصفات والنعوت لانتفاء النهاية عما يجوز أن يبلغه الحق عبيده من

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المقامات، ويطلعهم عليه من أنواع الكشوفات، فإن القدرة الأزلية صالحة لكل ممكن، والإمكان لا نهاية له.

وهذه المحبة قطب هذا الشأن أي قطب لمقام الخوص **وما عداها** من المحبة، تبينها الألسن وتشرحها، ويدعيها أكثر الخلق. **وتوجيه العقول** أي تثبتها وتدل عليها، فإنها متعلقة بالإحسان والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها. وقوله عليه السَّلام: (اللَّهم لا تجعل لكافر عليّ يداً فيحبه قلبي)[1].

(1) أورده أبو الفضل العراقي في المغني عن حمل الأسفار وعزاه إلى أبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع، حديث رقم (2904) [2/ 1147].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[62]. باب الغيرة

قال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن سليمان عليه السَّلام: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: الآية 33].

قلت: ووجه الاستدلال بالآية غيرة سليمان عليه السَّلام على وقته الذي شغل فيه عن فكر ربه.

قال الشيخ رحمه الله: **الغيرة سقوط الاحتمال ضناً، والضيق عن الصبر نفاسةً.**

قلت: وهذا الحد في الغيرة بالغ، فإن الخبر الصحيح في مسلم قوله عليه السَّلام: (المؤمن يغار والحق يغار ومن غيرته حرم الفواحش)[1] أو نحو هذا فقد جعل ﷺ إبعاد ما يكره والإعراض عنه من الغيرة.

وقوله رحمه الله: **الغيرة سقوط الاحتمال ضناً**، أي بخلاً بما هو فيه من الحال أن يتشوش أو ينسب إلى نقص. **والضيق عن الصبر نفاسةً** لا جزعاً، يعني أن ضيق صدره عن الصبر لا يكون الموجب له الجزع من البلاء أو لفوات المحبوب، بل يكون الحامل عليه المنافسة في الخير المغار عليه والألم لفواته أو المشاركة فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى غيرة العابد على ضائع يسترد ضياعه، ويستدرك فواته، ويتدارك تواه.**

قلت: والعابد عندهم عبارة عمن علق همته بالأعمال ولم يشتغل بمراعاة

---

(1) رواه أبو يعلى في المسند برقم (5123) [9/ 59] ونصه: «ما أحد أغير من اللَّه، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن». وروى عبد الرزاق في المنصف عن معمر بن طاووس عن أبيه قال قال رسول اللَّه ﷺ: إن عمر غيور وأنا أغير منه واللَّه أغير منا قال معمر وزاد قتادة ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلبه وحاله؛ والتخلق بالورع والزهد والصبر والتوكل والرضى والتسليم إلى غير ذلك من أعمال القلوب. فغيرة منَ هذه صفته على وقت له ضائع في البطالة، **يسترد ضياعه** بدوام الأعمال، **ويستدرك فائتة** بالذكر والابتهال، **ويتدارك تواه** أي هلاكه بملازمة الرعاية له خوفاً من الاختلال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية غيرة المريد على وقت فات؛ وهي غيرة قاتلة، فإن الوقت وحي الغضب، أبي الجانب، بطيء الرجوع.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ في الغيرة فإن المريد هو السالك المتخلق كما قدمناه، وما من وقت يمر عليه إلا وهو يخشى فوات مقصده فيه؛ فكل وقت مضى عليه وهو غافل عن مقصوده أهلكه ولذلك قال **غيرة قاتلة**. فإن وقته **وحي الغضب** أي سريعه؛ **أبي الجانب** أي ممتنع، إذا طلب رجوعه لم يقدر عليه؛ **بطيء الرجوع** يعني حاله في وقته، لا نفس الوقت الذي هو الزمان، فإنه لا يتأتى عودة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة غيرة العارف على عين غطاها غين وسر غشيه رين، ونَفَس علق برجاء أو التفت إلى عطاء.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن غيرة السالك على ضياع أحواله وأوقاته في غير السلوك، وغيرة العارف على وجود حاصل يخشى عليه الرجوع أو الدلوك، وهو **عين** انفتحت لنظر الحق **غطاها غين** أي غفلة. **وسر** بينه وبين مولاه ستره عنه هواه، **ونفَس** أشار إلى محض الجمع ومقام الحقائق **علق** أي تعلق **برجاء** عوض أو التفت إلى جزاء، فإن جميع ذلك أغيار، وحجب عن ﴿ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: الآية 39] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[63]. باب الشوق

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ [العنكبوت: الآية 5] **الشوق هبوب القلب إلى غائب؛ وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة. فإن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة. ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه.**

قلت: قوله **الشوق هبوب القلب إلى غائب** صحيح، فإن الحاصل لا يشتاق إلى حصوله كائناً ما كان. وقوله: **في مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة، فإن الشوق إنما يكون لغائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة** يعني بذلك أرفع مقامات القرب وكمال التوحيد فإنهم في أفضل الأحوال. فأما من كان من السالكين مع الحق في حال أو مقام. وكشف له الحق ما هو أشرف منه وأفضل، اشتاق إليه ولم يكن شوقه علة في حاله بل زيادة.

وقوله: **ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه،** يعني في أسمائه تعالى ونعوته بدلاً من المحبة فقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54] ولم يقل: «يشتاقهم ويشتاقونه» لأن الحق سبحانه لا يغيب عنه شيء؛ هذا مراده (والله أعلم).

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل.**

قلت: وهذه الدرجة من الشوق إنما كانت الأولى لأنها شوق إلى مخلوق وهي الجنة. **ليأمن الخائف** من النار، **ويفرح الحزين** من خوف التقصير بالسلامة، **ويظفر الآمل** بحصول أمله وهو دخول الجنة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية شوق إلى الله عزَّ وجلَّ، زرعه الحب الذي نبت على حافات المنن، فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

لطائف كرمه، وآيات بره، وأعلام فضله، وهذا شوق تغشاه المبار، وتخالجه المسار، ويقاويه الاصطبار.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن هذه شوق إلى الخالق وتلك شوق إلى مخلوق، ومتى صح لك حب الخالق فكل مخلوق حبه في يدك. وهذا الشوق **زرعه** أي بذره **حب نبت على حافات المنن** أي أنشأه الفكر في جهات منن الله تعالى وهي نعمه المتوالية. فأثمر هذا الفكر في القلب محبة المتصف بالصفات القديمة المقدسة المطهرة عن الحديث المنزهة عن المماسة للمخلوق أو الحلول فيه أو به أو منه بجهة ﴿تَعَـٰلَىٰ﴾ [النّحل: الآية 3] ربنا وصفاته عن ذلك ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسرَاء: الآية 4] . فاشتاق إلى معاينة كرمه ولطفه في خرق العادات ودلائل البينات.

وقوله: **وهذا شوق تغشاه المبار** أي تتوالى على صاحبه النعم فإنه شاكر، وقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية 7] ؛ **ويخالجه السرور** أي يتخلله، ويقوي فيه الصبر والاصطبار، وحتى يلتحق بالخواص من الأبرار.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة نار أضرمها صفو محبة، فنغصت العيش، وسلبت السلوة، ولم ينهنهها معزى دون اللقاء.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها بُعدٌ عن مقام الجمع وهذه الدرجة أقرب. فإن صاحبها لا يرى لكمال شوقه غير ما اشتاق إليه، فشوقه إليه **نار** تأجج وعيش مضيق عليه محرج، وقلب في بحار الشوق قد لحج، لا يرده عن مقصوده شيء من التأويلات للنفس والحجج، حتى يلقى من تبذل في مرضاته الأرواح والمهج.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[64]. باب القلق

قال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن موسى عليه السَّلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طٰه: الآية 84] **القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر.**

قلت: فهو على هذا من ثمرات الشوق، فإنه إذا قوي الشوق قلق المشتاق وقل صبره.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى قلق يضيق الخُلق، ويبغض الخَلق، ويلذذ الموت.**

قلت: وهذا القلق المرعج يفوت معه الصبر لغلبته على القلب ويكون صاحبه معذوراً لكونه محمولاً بشوقه، فإذا ضاقت أخلاقه لتعذر الوصول إلى محبوبه، ولم يرَ لنفسه شيئاً على مطلوبه، أبغض كل ما يشغله عن طلبه، وتمنى حصول الموت لنيل أربه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية قلق يغالب العقل، ويخفي السمع، ويصاول الطاقة.**

قلت: ولا يخفى ما بين الدرجتين من التفاوت، فإن القلق الأول منع الصبر مع إدراكه لفوات صبره، وكونه محمولاً مغلوباً لقوة شوقه، وهذه الدرجة قلق أخذ عقله فشغله عن ذكر غيره، وأصم سمعه فأخلاه، من سماع سواه، وَصال على قوته وطاقته في الصبر فخمدت تحت إشارته، فهو مشتغل عامل محرك فتحرك باعتبارين ووجهين.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة قلق لا يرحم أبداً، ولا يقبل أمداً، ولا يبقي أحداً،**

قلت: وهذه الدرجة من القلق والله أعلم قلق من خص بلطائف التقريب، وامتدت بصيرته بضياء الكشف إلى ما لا نهاية له من أنواع المعارف و التأديب،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

فهو يترقى بالقلق العجيب، وليس يقبل قلقه أمداً لانتفاء النهاية عن الإمكان فيما يطلعه عليه القريب المجيب، ويزيل قلقه عن قلبه كل مذكور، ولا يبقى عنده مذكور، سوى من بيده تصريف الأمور.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[65]. باب العطش

قال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن خليله عليه السَّلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: الآية 76] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: الآية 76] فإن كان هذا القول من إبراهيم عليه السَّلام، على أحد قولي أهل التفسير، في حال الصغر والطفولية، فهو بحث وتفتيش عن الحق وتعطش إليه؛ وعلى القول الآخر إنه بمعنى الإنكار والتوبيخ والتفزيع لقومه، ويدل عليه قوله عزَّ وجلَّ في آخر الآية: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: الآية 78] ، ففيه التعطش والتلهف في إظهار الحق لقومه.

قال الشيخ رحمه الله: **العطش كناية عن غلبة ولوع بمأمول.**

قلت: وهذا الحد جيد شامل لكل ما يتعطش إليه من المعاني والمحسوسات؛ **والولوع** هو كثرة الشغل بالذكر لما يؤمل حصوله، فلو كان مما لا يؤمل حصوله لم يتعلق به قلبه إذ ليس من الممكنات له، فإن كل ممكن يصح وقوعه؛ وإن كان مستحيلاً عادةً، فالعادة يجوز خرقها في كل شيء، استمرت العادة عليه من غير تفصيل هذا في الجواز العقلي. ووقوع هذا الخارق تتبع فيه شروط صحة النقل: فإن كان مما يصح أن ينقله الأحاديث اشترطنا فيه العدالة فحسب ليحصل الظن المعتبر شرعاً من الناقل. وإن كان لا ينقل مثله إلا متواتراً، كانقلاب بحر ملح عذباً لسائر الخلق أو تسيير جبل يشاهده الخلق أو قتل أو دخوله بلدة عظيمة، فهذا لا بد فيه من نقل عدد التواتر له وإلا كذبت العادة ناقله لاستمرار العلم بخلاف ما قاله.

وإذا نقل متواتراً زال العلم الأول من الصدور لاستحالة كون الشيء الواحد معلوماً على النقيضين. وكذلك إذا منع وقوع بعض الممكنات مانعٌ شرعي فإنه لا

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يقع لأدائه إلى المحال وهو انقلاب الصدق كذباً والصدق الحق خبر الرسول ﷺ؛ مثاله أن العقل يجوز قيام الساعة اليوم، ولكن قد أخبر الشرع أنها لا تقوم حتى يظهر الدَّجَّال وتطلع الشمس من مغربها والسدانة وعيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وغير ذلك. ولم يقع شيء من ذلك فامتنع قيامها.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى عطش المريد إلى شاهد يرويه، أو إشارة تسقيه، أو عطفة تؤويه.**

قلت: وهذه الدرجة من العطش محمودة في حق المريد السالك وإن كانت نقصاً في منزلة الخواص لأنها أسباب وهم مجمعون بهممهم على الحق سبحانه. نعم المريد يحتاج إلى من يرقيه ويعينه على ما هو فيه، فوجده الشواهد من نفسه يقويه ويرويه فيسكن بعض ما يجده من العطش لتفضل باريه ومنشيه، ويجد الراحة بقلبه أيضاً إذا فهم إشارة الحق له باختصاصه بما يفعله وما يقرب قلبه منه ويدنيه وهذه هي العطفة التي من الحق عليه **تؤويه**، أي تحفظ قلبه من الالتفات إلى غير الحق سبحانه وترزقه الثبات في أحواله وأموره المقربة إليه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية عطش السالك إلى أجل يطويه، ويوم يريه ما يعنيه، ومنزل يستريح فيه.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن المريد الأول كان عطشه لشيء يحمله على السلوك، وهذه درجة السالك فهو متعطش لقطع صفة من صفات نفسه المشغلة وهو المعبر عنه **بأجل يطويه**؛ وإلى يوم يكون له فيه رؤية من يطلبه بسلوكه ويعنيه وهو الحق سبحانه ليستعين بذلك على ما هو فيه؛ **وإلى منزل يستريح فيه** أي مقام تنقطع عنه فيه إشارات النفس ويقوى فيه القلب على الأدب مع خالق الأرض والسموات، وتطيب فيه الأنفاس واللحظات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة عطش المحب إلى جلوة ما دونها سحاب علة، ولا يغطيها حجاب تفرقة، ولا يعرج دونها على انتظار.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ فإن السالك متعطش لذرة مما وجده المحب والمحب متعطش لأعلى مما هو فيه، وهي **جلوة** من محبوبة **ما دونها سحاب** أي بكشف ووضوح ليس عليها حجاب علة من نفس المحب، فإن الحجب كلها

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

على العبد من جهته والحق سبحانه يستحيل أن يحجب لا بسحاب ولا بحجاب. والسحاب هو ألطف من الحجاب ولذلك نوعه الشيخ في كلامه، ومراده زوال الحجب بالكلية، اللطيفة منها والكثيفة، عن سر المحب. **ولا يعرج** المحب مع وجود هذه الحلاوة لكمالها **على انتظار** زيادة لما هو فيه من صحو الكشف ووضوح الشهود، وذهاب العلل من النفس وكمال التلف تحت الهيبة فضلاً عن الخمود.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[66]. باب الوجد

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: الآية 14].

قلت: ووجه الإشارة بالآية قوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: الآية 14] الآية فقومتهم كانت عن وجد للحق.

قال الشيخ رحمه الله: **الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق. وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى وجد عارض يستفيق له شاهد السمع أو شاهد البصر أو شاهد الفكر، أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق.**

قلت: وهذه الدرجة من الوجد تكون لعامة السالكين إذ تكون بواسطة السمع للأقوال التي فيه العبر والتذكار، وتكون بواسطة البصر لما فيه من النظر لكمال الصنع بالاعتبار وتكون بالفكر فيما غاب عن السمع والعيان من أنواع المعتقدات أو المعلومات من عجائب المخلوقات وغرائب الصفات. وقول الشيخ: **أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق** يعني في ظاهره، تعود بركته عليه مدةً من الزمان فإنه وجدٌ صحيح عن سبب صحيح.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية وجد تستفيق له الروح بلمع نور أزلي، أو سماع نداء أولى، أو جذب حقيقي، إن أبقى على صاحبه لباسه وإلا إبقى عليه نوره.**

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من وجهين: أحدهما أنه وجدٌ بغير واسطة الحواس ولا الفكر وإنما هو أنوار طرقت القلب. **وهو نور أزلي** يعني أن الحق سبحانه اختصه به في الأزل إذ ليس في الوجود أزلي غير الحق سبحانه بصفاته، وسائر الأنوار آثار قدرته وبره بخليقته. **وسماع نداء أولي** صحيح أيضاً فإن الحق سبحانه لم يزل متكلماً ولا يزال؛ والحق يسمع كلامه من يشاء، تارةً بأذني رأسه كما اختص موسى عليه السَّلام، وتارةً بأذن قلبه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فَاطِر: الآية 22] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النَّمل: الآية 80] وإن كانوا أحياء يسمعون بأذني رؤوسهم كلامه عليه السَّلام. و**الوجه الثاني** في رفعة هذه الدرجة أن الوجد يبقي على صاحبه أثراً ينتفع به مدةً في سكره وبعد صحوه، **إن أبقى عليه لباسه** وهو تململه وبقايا سكره **وإلا أبقى عليه نوره** وهو انكساره في ظاهره وأدبه وحسن كلامه ولطيف إشارته.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة وجد يخطف العبد من يد الكونين، ويمحص معناه من دون الحظ، ويسلبه من رق الماء والطين، إن سلبه أنساه اسمه، وإن أبقاه أعاره رسمه.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها فيه تفرقة مع ملاحظة النور وسماع النداء، وهذه الدرجة اصطلام بالكلية، تزيل عن قلب العبد ذكر الدنيا والآخرة؛ وهي خطفه من يد الكونين، وتمحيص معناه للحق من سائر الحظوظ.

وتسلبه من رق الماء والطين أي ملاحظته لنفسه وتدبيره لأمر بدنه، **إن سلبه** مولاه الوجد بالكلية **أنساه اسم** نفسه، **وإن أبقاه** الحق **أعاره رسمه** أي أدرك نفسه مستعملة مقهورة تحت رق الوجد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[67]. باب الدهش

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: الآية 31]
الدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه.

قلت: ووجه الإشارة بالآية من قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: الآية 31] وهن لا يشعرن بذلك.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى دهشة المريد عند صولة الحال على علمه، والوجد على طاقته، والكشف على همته.**

قلت: **صولة الحال على علمه** يعني أوائل ما يطرقه من البروق واللوائح التي تلوح للصادقين، فيذوقها الصادق حقاً وحالاً، بعد ما كان يعلمها علماً، وكذلك يدهش **لصولة الوجد على طاقته،** وقوة عزيمته على كتم وجده، فيضري منه ما يغلبه. وكذلك يدهش **(لصولة الكشف على همته)**: إذا كانت همته متعلقة بمطلوب وكشف له عنه ورأى جمال الحال وكماله، دهش لذلك.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية دهشة السالك عند صولة الجمع على رسمه، والسبق على وقته، والمشاهدة على روحه.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن المبتدىء يعمل في تبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة والسالك هو المتلون مع الأحوال والمتمكن في المقامات، فيدهش إذا كان ملاحظاً لنفسه وأعماله ثم ورد عليه وارد جمع. وكذلك عند صولة خاطر **السبق**. وهو ما سبق له عند الحق سبحانه، **على وقته** أي ما هو فيه من الاستقامة في الحال فيدهش لملاحظة اللطف في الأزل عن الحال، وكذلك من خوف التغيير في الاستقبال وكذلك يدهش عند صولة الفتح **بالمشاهدة على روحه** لضعفه عن حمل ما يرد عليها من الكشف والأنوار.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة دهشة المحب عند صولة الاتصال على**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

لطف العطية، وصولة نور القرب على نور العطف، وصولة شوق العيان على شوق الخبر.

قلت: وحال المحب أتم من حال السالك، فإن المحب نعم الحق سبحانه عليه متوالية، وألطافه به متواترة متعالية، فإذا صال لطف رؤية الاتصال، على لطف العطية من ذي الأفضال، دهش قلبه بذلك في الحال. وإذا صال برق نور قربه من مولاه في قلبه، وأشرق نور عطفه عليه وعطائه، دهش لنور القرب وغفل عن نور العطاء والعطف. وكذلك يدهش عند خطور شوق المعاينة بالبال، وصولته على ما اتصف به من شوق سماع الخبر عنه في المآل أو الحال.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[68]. باب الهيمان

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن غلبة الكشف على قلب الكليم عليه السَّلام وقوته، أوجبت له الصعق والهيمان في وجده ودوامه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 143] ﴾ وذلك لكمال وجده وثبوت حاله ﷺ، ولذلك كان أثبت من الدهش فإنه قد يكون الدهش لحظةً ويذهب عن العبد ولا يدوم.

قال الشيخ رحمه الله: **الهيمان ذهاب عن التمسك تعجباً أو حيرةً، وهو أثبت دواماً وأملك بالنعت من الدهش. وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى هيمان في شيم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق، مع ملاحظة العبد خسة قدره، وسفال منزلته، وتفاهة قيمته.**

قلت: وهذا هيمان المبتدىء في الطريق، عند لوائح برق التوفيق، وكمال الإيمان في قلبه بالتصديق، ورؤية ما هو فيه من التقصير في حق مولاه، وتفكره في خسة نفسه وقت مخالفتها لأوامره ونواهيه، وسفال مرتبتها وهو نزولها، وتفاهة قدرها وهو قلة قيمتها. فإذا اجتمع في القلب نور التنبيه على هذه الجهات، مع صحة الإيمان بالله وقبح المخالفات، هام القلب في هذه الحالات هيمان المتحير في الخلاص من الآفات وهذا هو الهيمان للحيرة في بعض الأوقات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية هيمان في تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور براهينه، وتواصل عجائبه، ولياح أنواره.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها في الهيمان، فإنها هيمان في كمال الأنوار وترادفها واختلاف أفوارها على المتقين. فمتى ارتفعت درجة العبد وانفتحت

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بصيرته في عجائب الملكوت وتفرغ قلبه من المشغلات في أسباب دفع ألم الحر والبرد والقوت، توالت على قلبه أدلة التحقيق من ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] الذي لا يموت، فهام فيها وفي عجائبها وفيما ظهر له من أنواعها.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة هيمان عند الوقوع في عين القِدَم، ومعاينة سلطان الأزل، والغرق في بحر الكشف.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة تعلق الهيمان فيها بالتوحيد، وبُعد القلب عن الأسباب والأدلة على التجريد والتفريد. فإذا لاح للقلب كمال الذات الموصوفة بالصفات وتنزهها عن النقائص والآفات، واستحالة نسبتها إلى الأقطار والجهات، وعلوها ورفعتها عن مداناة الأرض والسموات، وتعلق صفاتها القديمة بسائر المتعلقات وتخصيص أفعاله بالوقوع على ما سبق به علمه من الهيئات والصفات والأوقات غرق القلب وهام في بحار التحقيق، واستغرق في مقام الجمع عن مقام التفريق.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[69]. باب البرق

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [طه: الآية 10] **البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق؛ والفرق بينه وبين الوجد أن الوجد يقع بعد الدخول فيه، والوجد زاد والبرق إذن.**

قلت: وما ذكره الشيخ رحمه الله في حد البرق واضح، فإن البرق من مقدمات الخير والغيث والوجد، وهو مقدم عليه، وسبب في تحصيله، وحامل على نيله. والبروق لموامع تطرق القلوب وتحمل على الدخول في الطلب، والمواجيد أزودة وأسباب لتحصيل المقصد والأرب، والبرق يخطف البصر ويذهب، والوجد يحرق الفؤاد للطلب ويلهب.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء، يستكثر فيه العبد القليل من العطاء، ويستقل فيه الكثير من الأعباء، ويستحلي فيه مرارة القضاء.**

قلت: وهذه الدرجة أول درجات البرق، فإن البرق نور يبشر بغيث وفتح، فتحسن إضافته إلى الرجاء؛ وإنما يلمع برق الرجاء من أقطار الوعد الصادق بواسطة جريان أسبابه. فمتى استشعر العبد حسن ظنه بربه، وعمل على رجائه، وشكر قليل العطاء من ربه، لامتلاء قلبه بحسن الجزاء، لم يستثقل الكثير من التعب والعناء، في جنب ما يأمله من العطاء، ويستحلي في ذلك ما يقاسيه من مر القضاء.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر؛ فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل، ويزهد في الخلق على القرب، ويرغب في تطهير السر.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن الخوف يقبض والرجاء يبسط،

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وإنما يستضيء بالخوف من جانب الوعيد من اتسع نظره في الألطاف. فإنه متى حذر العبد الفوت اشتد عزمه في تحصيل مطلوبه إن كان مسدداً، فيصير كل بعيد قصيراً في عينه لقوة عزمه، وكل عمل يؤخره عنه الأمل نصب عينه، ويقطع كل مشغل يشغله عن الطلب، ويزيل كل مشوش لقلبه من محبوب أو سبب، رغبةً في تطهير قلبه من المشغلات وعمارة الأوقات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار، فينشىء سحاب السرور، ويمطر مطر الطرب، ويجري من نهر الافتخار.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها برق يحمل على الأعمال، وهذا برق يثير من القلب صافي الأحوال. فإن العبد إذا لاحظ ما هو فيه من الألطاف بعين الافتقار إليه، كان ذلك من أعظم الشكر وأجل سبب في المزيد. وإذا توالت عليه النعم نشأت في قلبه سحائب السرور، وإذا غيمت على قلبه هذه السحائب وامتلأت أقطاره بذلك، أمطرت قلبه مطر الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور وجرى على ظاهره نهر الافتخار، من غير عجب ولا إضرار، بل فرح بفضل ﴿ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: الآية 39] . ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يُونس: الآية 58] ، وقال عليه السَّلام: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)[1] يعني على أحد من الخلق، بل هو ذكر لفضل الله عليه.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين. . ، حديث رقم (4189) [2/ 660] ورواه ابن حبان في الصحيح ذكر الإخبار بأن الأنبياء. . ، حديث رقم (6478) [14/ 398].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[70]. باب الذوق

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ﴾ [الأنبياء: الآية 24] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية (والله أعلم) أن الذوق أوائل الشرب كما أن ذكر النعيم وما أعد الله للمتقين أوائل نعيمهم في الدنيا قبل وصولهم لكمال التنعم في الأخرى بالحلول فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **الذوق أبقى من الوجد وأجلى من البرق؛ وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى ذوق التصديق طعم العدة، فلا يغفله ظن ولا يقطعه أمل ولا تعوقه أمنية.**

قلت: ومن ذاق طعم وعده سبحانه بما أجراه عليه في دنياه، من لطفه له وإكرامه إياه، في سائر أحواله، من طلبه من ربه وسؤاله، لقوله تعالى مادحاً نفسه وذاكراً لإيجازة وعده: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: الآية 62] وصار تصديقه وإيمانه يقيناً، لم يغفله عن طلبه من ربه ظن تأخير ولا تأويل، ولم يقطعه بُعد أمل من حصوله مرغوبه ولا تأجيل، ولا يعوقه عن الجد في تحصيل يقصده اشتغال بأمنيته ولا تعطيل.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية ذوق الإرادة طعم الأنس؛ فلا يعلق به شاغل، ولا يفتنه عارض، ولا تكدره تفرقة.**

قلت: وهذه الدرجة في الذوق أبلغ، فإن الأولى ذوق إيمان وتصديق طعم وعد الله ووفائه بذلك ورسوخه في القلب كما قال عليه السَّلام: (ذاق طعم الإيمان مَن رضي باللَّه رباً)(1)، وهذه الدرجة ذوق الإرادة، وهي عند القوم التجرد عن الإرادات والأغراض، فيذوق طعم الأنس بالله. فإن من تفرغ قلبه من

(1) أورده التبريزي في مشكاة المصابيح، 9 ـ (8) [1/ 11] ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء، الإمام الشافعي، [9/ 156].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المشغلات، وأعرض عن اللذات العاجلات، مع صحة يقينه وتصديقه وشغله بالأعمال المقربات، ذاق طعم الأنس بالله والتلذذ بمناجاته في الخلوات، **فلا يعلق بقلبه شاغل** يشغله عن مرامه، **ولا يفتنه عارض** أي يرده على عقبه، **ولا تكدر** أنسه **تفرقة** أي لا تشوب جمعه مع من تأنس به تفرقة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة ذوق الانقطاع طعم الاتصال، وذوق الهمة طعم الجمع، وذوق المسامرة طعم العيان.**

قلت: وهذه الدرجة ثم مما قبلها، فإن ما قبلها بقاء مع الأحوال وهذه الدرجة خروج عنها، وذلك لأن المتمكن في حال الإعراض عن الأسباب، أعمالاً كانت أو أحوالاً، هو الذي يجد طعم الوصال حقيقةً، وبمقدار إعراض قلبه عن الأغيار يكون انقطاعه عنهم. وإذا انقطع عنهم له اتصل به. وكذلك من تمكن في جمع همه على الحق سبحانه وجد لذة الجمع بين يديه وذاق طعم قربه منه، حتى قلت غفلاته عنه وانفتحت عين قلبه فدام نظره إليه بها؛ والله ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: الآية 26].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[VIII ـ قسم الولايات]

وأما قسم الولايات فهي عشرة أبواب، وهي: اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسر، والنفَس، والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكن.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[71]. باب اللحظ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: 143].

قلت: وموضع الإشارة بالآية قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143] أي لكمال العظمة والاقتدار فيه لصيرورة الجبل دكاً لمشاهدته ما تجلى له من الحق.

قال الشيخ رحمه الله: **اللحظ لمع مسترق وهو في هذا الباب على ثلاث درجات: الدرجة الأولى ملاحظة الفضل سبقاً، وهي تقطع طريق السؤال إلا ما استحقته الربوبية من إظهار التذلل لها، وتنبت السرور إلا ما يشوبه من حذر المكر، ويبعث على الشكر إلا ما قام به الحق عزَّ وجلَّ من حق الصفة.**

قلت: ومن لاحظ بعين قلبه ما سبق له من مولاه من جزيل الفضل والإحسان، من غير عمل من قلبه ولا تقرب إليه بقربان، ورأى ما هو فيه من أنواع الحبور، فينشرح صدره لقبول سائر الأمور، إلا ما يخشاه من المكر والعياذ بالله الذي بيده تصاريف الأمور. وكذلك يبعثه على كمال الشكل لرب العالمين، على السرّاء والضرّاء في كل حين، إلا ما عجزت قدرته عن شكره، فإن الحق سبحانه يقوم به لنفسه، لحق كماله وجلاله وصفات ذاته، إذ كل شكر نعمة منه على العبد فلا سبيل له إلى استيفائه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية ملاحظة نور الكشف؛ وهي تسبل لباس التولي، وتذيق طعم التجلي، وتعصم من عوار التسلي.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها ملاحظة ما سبق بنور العلم، وهذه ملاحظة كشف لحال قد استولى على قلبه حتى شغله عن الخلق، وهو المعبر عنه **بإسبال لباس التولي**. **وتذيقه طعم التجلي** أي تمكنه فيه، وبه تكون

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

عصمته **عن عوار التسلي** أي نقصه فلا يسلو عن طلب حاله والزيادة فيه أبداً.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة ملاحظة عين الجمع؛ وهي توقظ لاستهانة المجاهدات، وتخلص من رعونة المعارضات، وتفيد مطالعة البدايات.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها مطالعة كشف وأنوار، وتدقيق إشارة إلى كسب واختيار، وهاهنا مطالعة تبعث القلب من التفرق في أودية الإرادات، والأحوال والمقامات، إلى ما استولى عليه من عين الجمع إلى نظر الواحد الفرد المتصف بكمال الصفات، فحالته هذه **توقظ** قلبه **لاستهانته بالمجاهدات**، لما ناله مما هو من عظم اللذات، وعون خالق الأرض والسموات **وتخلصه من رعونة المعارضات**، أي تردد خواطره في الحمل على القربات، **وتفيده** دوماً **مطالعة البدايات**، أي السوابق فإنه ثمرة جمع الهمة على ما سبق له من التقديرات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[72]. باب الوقت

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طٰه: الآية 40] **الوقت اسم لظرف الكون، وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معانٍ على ثلاث درجات: المعنى الأول حين وجدٍ صادق لإيناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء، أو لعصمة جذبها صدق خوف، أو لتلهيب شوق جذبه اشتعال محبة.**

قلت: قوله: **الوقت اسم لظرف الكون** صحيح وإن كان الوقت من جملة الأكوان والأفعال، فإن الوقت عند أهل الأصول مقارنة حادث لحادث؛ ألا أن حركة الفلك مثلاً، وإن كانت حادثة، فهي وقت لحركة الإنسان أو لكونه ووجوده.

وأما على رأي القوم فوقت العبد ما هو فيه من الزمان، ووقته في حاله ما أوجده الحق سبحانه له فهو ظرفه أيضاً؛ وله معانٍ ثلاث: الأول قيام وجدٍ بقلبه، يكون سببه إدراك ضياء فضل عن رجاء صافٍ لا يكدره رجاء غيره؛ أو يكون سبب وجده ملاحظته لعصمة هو فيها، كانت عن خوف صادق؛ أو يكون سبب وجده تلهيب شوق عن محبة صحيحة؛ وذلك أن الحوامل على الأعمال وعمارة الأوقات إما خوف أو رجاء أو محبة وامتثال.

قال الشيخ رحمه الله: **والمعنى الثاني اسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون لكنه إلى التمكن، ما هو يسلك الحال ويلتفت إلى العلم، فالعلم يشغله في حين والحال تحمله في حين؛ فبلاؤه بينهما تذيقه شهوداً طوراً، وتكسوه غيرةً طوراً، ويريه عبرة تفرقٍ طوراً.**

قلت: وهذه الدرجة في الوقت أتم، فإن الأول وقت وجدٍ حاملٍ على السلوك، إما خوف أو رجاء أو محبة، وهاهنا وقت سالك متلون مع الأحوال، التي تطرق قلبه من فضل ربه ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9]، فتارةً يغلب

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

على قلبه حال الهيبة والإجلال، فيشغله عن تدبير نفسه في الحال، وتارةً يغلب عليه نور العلم والتفرقة مع نفسه فيشتغل بتدبيرها، والنظر في مصالحها، **التي** أباحها **لها ربها، والحال** الأول الذي يحمله ويشغله عن نفسه يكون تارةً **شهوداً** وتارةً **غيرةً** وتارةً **عبرةً**، وإنما كانت العبرة تفرقة من جهة اعتباره بالأفعال واستدلاله عليه بها.

قال الشيخ رحمه الله: **والمعنى الثالث قالوا: «الوقت الحق. أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق؛ وهذا المعنى يشق على هذا الاسم عندي، لكنه هو اسم في هذا المعنى الثالث لحين يتلاشى فيه الرسم كشفاً لا وجوداً محضاً؛ وهو فوق البرق والوجد، وهو يشارف مقام الجمع لو دام وبقي. ولا يبلغ وادي الوجود، لكنه يكفي مؤنة المعاملة، ويصفي عين المسامرة، ويشم روائح الوجود.**

قلت: وهذا المعنى في الوقت أتم، فإن الأول وقت سلوك بتلون، وهذا وقت كشف بتمكن. وكذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف.

وقوله: **لا وجوداً محضاً** يعني أن الوجود المحض أتم من الكشف، فإن الكشف قد لا يدوم والوجود يشعر بالدوام. وكذلك جعل الكشف فوق البرق والوجد ودون الوجود، فإن دلالة لفظ الوجود على معنى تمكن الكشف أتم وأبلغ. ولذلك كان قريباً من مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق شغلاً به عن غيره.

وقوله: **ولكنه يكفي مؤنة المعاملة** يعني الكشف أي يخففها. **ويصفي عين المسامرة** أي يخلصها من ذكر غيره، **ويشم رائحة الوجود** أي يذيق أوائله، ويفيد رائحته وبرده.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[73]. باب الصفاء

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: الآية 47] **الصفاء اسم للبراءة من الكدر، وهو في هذا الباب سقوط التلوين؛ وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى صفاء علم يهذب لسلوك الطريق، ويبصر غاية الحد، ويصحح همة القاصد.**

قلت: وإذا كان الصفاء اسم للبراءة من الكدر، فالعلم بعيد من الكدر بالكلية إذا صح، سواء تعلق بمعاملة أو مكاشفة، فإنه ضد الظن والشك والاعتقاد وغيرها. فبالعلم يتهذب السالك في الحال والاستقبال، وبه **يبصر غاية الحد** العقلي أو الشرعي فيحسن منه الجد في الطلب للمنال، وبه تعلو همته ويشرف مقصده على كل حال، في سائر المقامات والأحوال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية صفاء حال تشاهد به شواهد التحقيق، وتذاق به حلاوة المناجاة، وينسى به الكون.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الحال ثمرة العلم، فلا يصفو الحال إلا بصفاء العلم المتعلق به المثمر له، وعلى حسب شوب العلم يكون شوب الحال. وإذا صفا الحال، شاهد العبد بصفائه آثار الحقائق وهي **شواهده** فيه وعليه وعلى غيره، ووجد **حلاوة المناجاة** مع الحق. وإذا تمكن في ذلك نسي ما سواه من الكون وربما نسي الكونين.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة صفاء اتصال يدرج حظ العبودية في حق الربوبية، ويغرق نهايات الخبر في بدايات العيان، ويطوي خسة التكاليف في عز الأزل.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ ولا يخفى ما بين أرباب الأحوال وأصحاب التمكين من التفاوت. فمن تمكن في قلبه تعظيم الواحد الفرد، اندرج قدر علمه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

جميعه في حق مولاه، وسقط عن قلبه طلب الجزاء عليه لحقارته وقلته عنده، وغلب على قلبه مما هو فيه من إكرام مولاه في دنياه، من ثمرات عمل أخراه، ما أنساه لمعاينته إياه، ما أخبر به الرسول ﷺ من الإكرام في أخر اه، وهو مراده **بغرق نهايات الخبر في بدايات العيان** (والله أعلم). وكذلك يسهل عليه القيام بسائر التكاليف الشاقة على غيره، نظراً إلى فضل المكلف وعزه وجلاله، وهو قوله: **ويطوي خسة التكاليف في عز الأزل**، وتسميتها **بالخسة** أي بالقلة والخفة بالإضافة إلى جلال المكلف، وفي اللفظ قلق وغيره أولى فلذلك شرحناه والله الموفق.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[74]. باب السرور

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يُونس: الآية 58] **السرور اسم لاستبشار جامع؛ وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان، ولذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا في مواضع وورد اسم السرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة.**

قلت: ما ذكره الشيخ وفقه الله تعالى من أن **السرور اسم لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان** بخلاف السرور فإنه لا يشوبه حزن، هذه قضية اعتيادية وجودية: إذا امتلأ القلب وابتهج بشيء حتى صار مسروراً بحصوله. بعُد خطور الحزن من قلبه بخلاف الفرح، فإنه حركة القلب لحصول محبوب وهو مدرك لما يحزن عليه.

وقوله: **ولذلك نزل القرآن باسم الفرح في أفراح الدنيا** يعني أن أفراح الدنيا لا تخلو من ممازجة الحزن بخلاف أفراح الآخرة فإنه لا حزن في الجنة. ولذلك ورد الفرح في الدنيا في مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يُونس: الآية 58] و﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية 81] وغير ذلك.

وأما السرور فقال تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩﴾ [الانشقاق: الآية 9] فهذا في الآخرة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسَان: الآية 11] فهذا في الآخرة، فقد تحقق بهذا نزول القرآن بالفرح في الدنيا والسرور في الآخرة والله أعلم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو في هذا الباب على ثلاث درجات: الدرجة الأولى سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان: حزن أورثه خوف الانقطاع، وحزن هاجته ظلمة الجهل، وحزن أغشته وحشة التفرق.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: أورد الشيخ التقسيم هاهنا على ضد السرور وهو الحزن، وكان حقه أن يورده على نفس المسرور به فإنه المتعلق بعين تقسيم المذكور في الباب. ويمكن أن يقال سروره بتحصيل الوصال الذي هو ضد الانقطاع، ويكون سروره بضياء العلم الذي هو ضد ظلمة الجهل، ويكون سروره بنور الجمع الذي هو ضد التفرقة، فينتفي الضد لوجود ضده.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية سرور شهود كشف حجاب العلم. وفك رق التكليف. ونفي صغار الاختيار.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها سرور ذوق ينفي عنه أحزاناً مذكورة، وهذا سرور كشف وإيضاح يجلي له فوائد مستورة.

وقوله: **كشف حجاب العلم** أي الوقوف مع ما يقتضي العلم صحته من الأعمال خاصةً، فمتى اعتقد العبد أن العلم بهذا غاية الكمال ولم يدرج ما وراءه من الفضائل ووقف معه، كان ذلك حجاباً له عما هو أعلى منه وهو الانتقال إلى الأحوال وعدم سكون النفس إلى ما علمته أو عملته من الطاعات، ورؤية الفضل في ذلك لخالق الأرض والسموات.

وقوله: **وفك رق التكليف** ليس مراده أنه يخرج عن التكاليف الشرعية ولا أنه يترك استعمالها في نفسه أو يأمر غيره به، بل المراد أنها تجري عليه بسهولة ولا تبقى عليه في تعاطيها كلفة وهذا المراد بقوله من رقها.

وقوله: **نفي صغار الاختيار** يريد بذلك أن العبد، متى كان مربوطاً باختياراته، محبوساً في سجن شهواته ومراداته، فهو في ذلّ وصغار، ومتى وصل إلى هذا الحد من المعرفة، نفي عن قلبه صغار الاختيار وصار حراً من الأحرار.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة سرور سماع الإجابة؛ وهو سرور يمحو آثار الوحشة، ويقرع باب المشاهدة، ويضحك الروح.**

قلت: وهذا السرور يدركه العبد من نفسه بقلبه، بعد دعائه ربه في حوائجه. فيعرف وقت حصول إجابة مسألته، تارةً عقيب اضطراره وحصول رقة قلبه وجريان دمعه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: الآية 62] و﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: الآية 60]، وتارةً بما جربه العبد من نفسه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ومن جريان المدعو به على حسب مراده ومطلبه. وإذا تكرر هذا النوع على القلب، محى عنه آثار وحشة البُعد وحمله على دوام النظر إلى فضل الحق، وهذا **قرع باب المشاهدة**. **ويضحك الروح** أي يفرحه ويقوظه ويحركه ويستخرج فوائده.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[75]. باب السر

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [هُود: الآية 31] **أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر.**

قلت: يعني والله أعلم قوله عليه السَّلام: (الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يستشاروا)[1] وهم أخفياء أتقياء على ما ورد فيهم الحديث.

قال الشيخ رحمه الله: **وهم على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى طائفة علت هممهم، وصفت قصودهم، وصح سلوكهم، ولم يوقف لهم على رسم، ولم ينسبوا إلى اسم، ولم تشر إليهم الأصابع؛ أولئك ذخائر الله حيث كانوا.**

قلت: هذه الطائفة ملطوف بهم محفوظون من كثير من الفتن؛ فإن كل متعين في الخلق تتعلق به حقوق وتلزمه لوازم ويحتاج إلى مجاهدة أكثر من غيره، وإن كان في نفسه همته عالية وقصوده صافية، فإن المشوشات تشغله وتعوقه عن سلوكه على حسب حاله. فهم في أنفسهم مسرون أي مخفون، ومعهم أيضاً من الله سر في قلوبهم به امتازوا عن غيرهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والطبقة الثانية طائفة أشاروا عن منزل وهم في غيره، ووروا بأمرهم لغيره، ونادوا على شأن وهم على غيره، بين غيرة عليهم تسترهم، وأدب فيهم يصونهم، وظرف يهذبهم.**

قلت: وهذه الطبقة أرفع مما قبلها، فإن ما قبلها استسروا قهراً وجبراً وهؤلاء مستسرون اختياراً وصيانةً لأحوالهم وكمالاً في تمكنهم، فمقاماتهم عالية

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث (4) [1/ 44] ورواه الطبراني في الأوسط، من اسمه محمد، حديث رقم (7112) [7/ 145] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وظواهرهم مما اتصفت به قلوبهم سالمة طاهرة، يشيرون إلى ما يعرفونه من مقامات المريدين السالكين وهم محققون في معرفتها وسلوكها، ويخفون ما مكنهم الحق سبحانه فيه من أحوال المحبة ومواجيدها، وآثار المعرفة وكمال توحيدها. وهذه هي المعاريض وهي التورية: يورون بشيء أي يظهرون شيئاً ويخفون غيره، وهم محققون في الحالين لكنهم يسترون أشرف أحوالهم عن الخليقة.

قال الشيخ رحمه الله: **فأحوالهم بين غيرة يعني من الحق بها يسترون، وبين أدب مع الحق به يصانون، وبين ظرف في كمال معاملتهم به يتهذبون.**

قلت: الغيرة منهم على أن يطلع غيرهم على ما بينهم وبين مولاهم **والأدب** مع الحق يصونهم عن النزول عما أولاهم، **والظرف،** وهو كمال اللطف في المعاملة مع الحق والخلق، يهذب عقولهم وعلومهم فيكمل سرهم ونجواهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والطبقة الثالثة طائفة أسرّهم الحق عن أنفسهم، فألاح لهم لائحاً أذهلهم عن إدراك ما هم فيه، وهيمهم عن شهود ما هم له، وضن بحالهم عن علمهم بما هم به. فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم، عن قصد صادق يهيجه عينه، وحب صادق يخفي عليهم حكمه، ووجد غريب لا ينكشف لهم موقده؛ وهذا من أرق مقامات أهل الولاية.**

قلت: وهؤلاء أحق باسم السر من غيرهم ممن تقدم ذكره، فإنه متى كانت أحوال القلب ومواهب الحق فيه سراً عن ذي القلب حتى لا يشعر بها، شغلاً عنها بالحق سبحانه مجريها ومنشئها، وهذا أقوى وجوه الإسرار وأعظم الإخفاء أن يخفي الله حال العبد عنه لما شغله به من جماله وجلاله، أو غير ذلك من صفات كماله، فيكون مستغرقاً بذلك، فظاهره يدل على ما اتصف به باطنه من كمال مقامه مع مولاه، وحسن نواله ممن تولاه.

وقوله: **ألاح لهم** أي أظهر وإن كانت اللوائح أوائل المقام، فكل مقام شريف له أوائل وأواسط وأواخر، وأواخره أفضل من أوائل ما قبله.

وقوله: **أذهلهم وهيمهم عن إدراك ما هم فيه** أي شغلهم، وقد تقدم معنى

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الهيمان، عن شهود ما هم فيه وله من الخيرات؛ **فضن بحالهم** عن أن يبلغ علمهم حقيقة ما يفتح الحق به عليهم، بل إذا ألاح لقلوبهم لائحاً استغرق قلوبهم وشغل عقولهم عن التفكر من حقيقة الوارد، بل هم مقهورون محمولون مأخوذون عن أنفسهم فهم أسراء الحق سبحانه **بقصد صادق هيجه عينه** أو **حب صادق** أو **وجد** غرب عن صاحبه **موقده** أي مهيجه وملهبه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[76]. باب النفَس

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

قلت: ووجه الإشارة بالآية إلى أن النفَس يكون بعد مفارقة الحال وانفصاله عن صاحبه.

قال الشيخ رحمه الله: **يسمى النفَس نفَساً لروح المتنفس به؛ وهو على ثلاث درجات وهي تشابه درجات الوقت. والأنفاس ثلاثة: نفَس في حين استتار مملوء من الكظم متعلق بالعلم، إن تنفس تنفس تنفس المتأسف أو إن نطق نطق بالحرب؛ وعندي هو متولد من وحشة الاستتار وهي الظلمة التي قالوا إنها مقام.**

قلت: وما ذكره الشيخ رحمه الله من قوله: **نفس في حين استتار مملوء من الكظم متعلق بالعلم** صحيح، وإنما كان من درجات الولاية من حيث إنه لا يكون استتاراً إلا بعد كشف وصول، وإنما يستر الحق ما يستره عنهم رحمةً بهم ولطفاً بضعفهم أو ليتزايد طلبهم وشوقهم. وبهذا الاعتبار سموه مقاماً لأن الحق سبحانه يقيم العبد فيه لما ذكرناه، أو ليعرفه قدر نعمته عليه فيما أولاه، أو ليعرفه عجز نفسه وقلة طاقتها عن تحصيل ما تحبه وتهواه. فصاحب هذا المقام أنفاسه أنفاس حزن وأسف وهلاك وتلف لما حجب عنه من لذيذ المقام وجميل المرام. وهو باعتبار الحال والستر ظلمة، وباعتبار المآل وما يترتب عليه في الاستقبال مقام محمود.

قال الشيخ رحمه الله: **والنفس الثاني نفس في حين التجلي؛ وهو نفس شاخص عن مقام السرور إلى روح المعاينة، مملوء من نور الوجود شاخص إلى منقطع الإشارة.**

قلت: وهذا النفس أبلغ مما قبله، فإن الأول في حين استتار وظلمة وهاهنا نفس في حال تجل ونور.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وقوله **شاخص** أي ظاهر والشخوص الظهور عن حالة سرور إلى مقام معاينة، وعلى هذا يكون التجلي دون المعاينة. فإنه قد يتجلى من وراء ستر رقيق والكشف والمعاينة من غير ستر. فإذا كان مستوراً بحال التجلي، كانت أنفاسه متعلقة بمقام المعاينة وهو زيادة الكشف وكمال **المشاهدة، مملوء القلب** من نور الوجود وهو المعاينة، فإنه شاخص بقلبه إليها مستفرغ كليته فيها؛ وهناك تنقطع الإشارة فضلاً عن العبارة لاستيلاء الحق على القلب.

قال الشيخ رحمه الله: **والنفس الثالث نفس مطهر بماء القدس، قائم بإشارات الأزل؛ وهو النفس الذي يسمى صدف النور. فالنفس الأول للعثور سراج، والثاني للقاصد معراج، والنفس الثالث للمحقق تاج.**

قلت: وهذا النفس أتم مما قبله، فإن الأول نفس مفرق بين تجل ومعاينة وكشف وأوضح منه، وهذا نفس مطهر بالطهر المقدس عن كل غير وعن ملاحظة كل مقام، بل هو مستغرق بنور الحق وآثار الحق تنطق عليه، ولهذا كان **صدف النور** أي متعلق به وملازم له (والله أعلم).

قال الشيخ رحمه الله: **فالنفس الأول للعثور سراج.**

قلت: خوفاً من وقعته، والثاني للقاصد معراج. قلت: للوصول إلى طلبته من الحق وبغيته قال: **والنفس الثالث للمحقق تاج.** قلت: لدلالته على شرف مقامه ومنزلته.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[77]. باب الغربة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هُود: الآية 116] الآية.

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن القليل هو المتصف بهذه الأخلاق الحميدة.

قال الشيخ: **الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء؛ وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الغربة عن الأوطان، وهذا الغريب موته شهادة، ويقاس له في قبره من مدفنه إلى وطنه، ويجمع يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم عليه السَّلام.**

قلت: وهذه الدرجة أول درجات الغربة، فإن الغربة إذا كانت حقيقتها الانفراد عن الأكفاء والأمثال، فتارةً ينفرد عنهم بجسمه، وتارةً ينفرد عنهم بصفاته وأحواله، وأول مبدوء به الانفراد عنهم بجسمه، طمعاً في تفرغه لمقصوده، ولسلامته من معارضة أضداده، فإذا قوي خالطهم ولا يبالي ونفعهم وانتفع منهم. وأما كونه يفسح له في قبره **ويجمع يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم** صلوات الله على نبينا وعليه، فمتلقي صحته من الإخبار عن النبي ﷺ لا غيره.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية غربة الحال؛ وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم، وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين، أو عالم بين قوم جاهلين، أو صديق بين قوم منافقين.**

قلت: وهذه الغربة لا تكون اختياراً بل للضرورة والحاجة، والضرورة إما طبيعية أو شرعية. فإن دعاه الشرع إلى مخالطة مَن هذه صفته، خالطه بظاهره لأمر الشرع به، إما لتعليم علم أو حكم بينهم وفصل أو حاجة ضرورية لمأكله ومشربه وما لا بد له منه من مخالطتهم. وما عدا ما ذكرناه فلا يكون الصادق بينهم في الغربة إلا قهراً وجبراً.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة غربة الهمة، وهي غربة طلب الحق؛**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وهي غربة العارف لأن العارف في شاهده غريب، ومصحوبه في شاهده غريب، وموجوده فيما يحمله علم أو يظهره وجد أو يقوم به رسم أو تطيقه إشارة أو يشمله اسم غريب. فغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا وغريب الآخرة.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن الأولى إما غربة بالأفعال أو بالأحوال وهذه غربة بالهمم، وذلك أن همة العارف معروفة لا غير. فهو غريب في أبناء الآخرة الموقوفين مع رؤية الأعمال أو الأحوال، كما أن الزاهد غريب في أبناء الدنيا. فالعارف أيضاً غريب في أبناء الآخرة لانفراده بحاله وشاهده، ومن يصحبه في حاله أيضاً غريب لأنه لا يصحبه إلا جنسه فهو غريب. وموجود العارف في باطنه غريب أيضاً لمخالفته لموجود غيره، سواء كان ما وجده في قلبه من فتح ربه مما **يحمله علم** أي يقبله ويدل على صحة إظهاره. **أو يظهره وجد** ويكون الأكمل كتمانه، **أو يقوم به رسم** أي يقوى على إظهاره، أو تطيقه إشارة أي تقدر على إفهامه، **أو يشمله اسم** أي لفظ عام حتى يدخل تحت عمومه ويشمله في الدلالة عليه فهو غريب. فإن العارف غريب الغرباء وغربته **غربة الغربة**، ومن وصل إلى أقصى الأماكن في الغربة، جاء بأغرب الغرائب في العودة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[78]. باب الغرق

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصَّافات: الآية 103] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن إبراهيم عليه السَّلام، لما بالغ في المبادرة إلى الامتثال، وعزم على ذبح ولده لله وألقاه لجبينه في الحال، وأعرض عن النفس والولد فضلاً عن المال، ناداه ذو الجلال، بالفداء والإقبال.

قال الشيخ رحمه الله: **هذا اسم يشار به في هذا الباب إلى من توسط المقام وجاوز حد التفرق.**

قلت: يعني أن همته مجموعة على المقصود، معرضة عما سواه مما ليس مطلوباً للمعبود، قد فارق مقام التفرقة والنظر إلى الأسباب، إلا أنه لم يستكمل حاله في الجمع بين يدي رب الأرباب.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى استغراق العلم في عين الحال؛ وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة، وتحقق في الإشارة، فاستحق صحة النسبة.**

قلت: وهذه الدرجة من الاستغراق أول درجات الاستغراق، وهو أن العبد قد يكون عالماً بالشيء ولا يكون متصفاً بالتخلق به واستعماله؛ فإذا تخلق به غلب عليه حاله حتى صار علمه به كالمغفول عنه، وليس بمغفول عنه بل صار الحكم للحال. ومثاله أن العبد يعرف الخوف من حيث العلم، ولكن، إذا اتصف بالخوف وتخلق به، غلب عليه حال الخوف والانزعاج واستغرق فيه **علمه ولم يذكر ما كان** يعلمه لغلبة حال الخوف عليه في وقته. ومن هذه حاله فقد ظفر بالاستقامة لأن العلوم إذا أثمرت الأحوال، لتكررها بالبال، كانت عنها الأعمال، **وتحقق** صاحبها **في الإشارة** إلى ما وجده من الأحوال، ولم تكن إشارته عن تخمين ولا حسبان، **واستحق اسم النسبة** إلى اختصاص ذي الجلال بقوله:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: الآية 63] ، و﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: الآية 42] .

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية استغراق الإشارة في الكشف؛ وهذا رجل ينطق عن موجوده، ويشير مع مشهوده، ولا يحس برعونة رسمه.**

قلت: وهذه الدرجة أتم، فإن صاحب الأولى غايته أن يشير إلى ما تحققه. . . . . . . [(1)] فارقه، وهذه الدرجة قهر صاحبها عن الإشارة لما جرى عليه لغلبة توالي نور الكشف لديه. فهو **ينطق عن موجوده** أي حاصله، **ويشير** إليه **مع شهوده** وغفلته عن كمال حالته وعدم استحسانه لها من جهة نفسه وهي رعونته.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة استغراق الشواهد في الجمع، وهذا رجل شملته أنوار الأولية، ففتح عينه في مطالعة الأزلية، فتخلص من الهمم الدنية.**

قلت: وهذا الاستغراق أبلغ مما قبله، فإن الذي قبله استغراق كائن عن كشف وهي تفرقة. وهذا استغراق عن شهود كشفه في الجمع؛ فتمكن هذا في حال جمع همته مع الحق حتى غاب عن إدراك شهوده وذكر رسومه، وذلك توالى عليه من الأنوار التي خصه الحق بها في الأزل. ففتح عين قلبه في مطالعة الاختصاصات الأزلية، **فتخلص** بذلك **من الهمم الدنية** المتعلقة بتأخير المضمون وتغيير المقسوم، أو تقديم ما سبق تأخيره من المعلوم، أو عدم ما خصصت الإرادة وقوعه من القضاء المحكوم المحتوم.

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[79]. باب الغيبة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: الآية 84].

قلت: ووجه الإشارة بالآية إلى أن يعقوب عليه السَّلام، لما امتلأ علمه بأمر يوسف عليه السَّلام، أعرض وتولى عن ذكر أخيه القريب العهد بالفراق وغاب عن قلبه.

قال الشيخ رحمه الله: **الغيبة التي يشار إليها في هذا الباب على ثلاث درجات: الدرجة الأولى غيبة المريد في مَخلص القصد عن أيدي العلائق، ودرك العوائق، لالتماس الحقائق.**

قلت: وهذه الدرجة بالغة في حق المبتدىء، فإنه إن لم يتخلص قصده في مطلوبه عما يعوقه من المشغلات، أو يدركه من الآفات، لم يبلغ من مقصوده أقصى الغايات، فهو يغيب في نفسه عن غيره حتى يتخلص قصده؛ **ومخلص القصد** موضع تخليصه كالمدخل والمخرج.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية غيبة السالك عن رسوم العلم، وعلل السعي، ورخص الفتور.**

قلت: يعني أنه يشتغل بطلب التحقيق في الأعمال والأحوال ولا يقنع بأقل ما يجزي في التقرب وتصح به العادات، بل يطالب نفسه بتحقيق الصدق في الأقوال والأفعال. فإن قال: «الله أكبر» طالب نفسه بصدقها فيه حتى لا يكون في قلبه أكبر منه، وإذا ركع وسجد طالب نفسه بحقيقة التذلل والخشوع، ومعنى وضع أرفع أعضائه وهو وجهه لله تعالى بالأرض وعلى التراب. وكذلك يغيب عن **علل الأعمال** يعني السكون إليها وفرح النفس بها، من حيث اكتسابها، لا من حيث فضل ربها. وكذلك يغيب عن **رخص الفتور** عن المندوبات، لما اشتغل به من كمال الجد والصدق في بلوغ المرادات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات في حصن الجمع**.

قلت: وهذه الدرجة من الغيبة أبلغ مما قبلها، فإنها غيبة من خيرات ودرجات بما هو أكمل منها وأشرف وهو **حصن الجمع** والحضور بقلبه مع خالق الأرض والسموات: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: الآية 28] وهو حصن من كل مشوش وشيطان.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[80]. باب التمكن

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 60].

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن المتمكن لا يبالي بخواطر المشغلات لغيره ولا بمخالطة أهل الغفلات والبطالات، بل هو بقوته يجذبهم ولا يجذبونه.

قال الشيخ رحمه الله: **التمكن فوق الطمأنينة، وهو إشارة إلى غاية الاستقرار؛ وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تمكن المريد؛ وهو أن يجتمع له صحة قصد تسيره، ولمع شهود يحمله، وسعة طريق تروحه.**

قلت: وهذه الدرجة في التمكن شريفة وذلك أنه إذا اجتمع في المريد صحة القصد. وإنما يصح بمعرفة شيئين وهما صحة المقصود وصحة الطريق الموصلة إليه؛ فإذا تخلق العبد بالعلم الشرعي صح مقصوده وتحقق به الطريق الموصلة إلى مقصوده، كان قصده إذ ذاك صحيحاً. فإن حكم القصد يتلقى من حكم المقصود، فإن كان المقصود واجباً كان القصد الموصل إليه واجباً إذ هو وسيلة إلى الواجب.

والصحيح من الأسباب أيضاً ما أفاد المسبب وحصل به، ولذلك قال الشيخ: **صحة قصد يسيره**، فإن السير في الطريق إلى الله تعالى يكون بقوة القصد وبه حصول المقصود.

وقوله: ولمع شهود يحمله أي كشف لقلبه يستعين به في سلوكه، إما خوف أو رجاء أو محبة أو تعظيم. وكذلك لا بد له من **سعة طريق يروحه** ويشوقه ويخفف عنه كلفة سيرة، وإنما تتسع الطريق برؤية الإفضال والإكرام، من المتفضل بالأصل وعليه التمام.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تمكن السالك؛ وهو أن يجتمع له صحة انقطاع وبرق كشف، وصفاء حال.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها تمكن في تصحيح قصد الأعمال وهذا تمكن في حال. فإنه متى اجتمع للعبد **صحة انقطاع** قلبه عن المشغلات، وتعلق بما يبدو له من المعارف ولذيذ المناجات، **وهو برق الكشف** المصون من الآفات، حسنت منه الحالات، وتمكن فيها على اختلاف الأوقات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تمكن العارف؛ وهو أن يحصل في الحضرة فوق حجب الطلب لابساً نور الوجود.**

قلت: قوله رحمه الله: **وهو أن يحصل في الحضرة فوق حجب الطلب لابساً نور الوجود**، يعني دوام المراقبة للحق وقلة الغفلات عنه؛ و(إذا) لم يشغله عنه شاغل، قد ارتفع عن مقام الطلب للمعرفة لاتصافه بها. فإن حال الطالب للشيء بعيد عن حال الواجد له، محجوب عما هو فيه (والله أعلم).

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[IX ـ قسم الحقائق]

وأما قسم الحقائق فهو عشرة أبواب وهي: المكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والحياة، والقبض، والبسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[81]. باب المكاشفة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النّجْم: الآية 10] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية أنه تعالى كشف له ما لم يكشفه لغيره، وأوحاه إليه أي ألهمه إياه بسرعة.

قال الشيخ رحمه الله: **المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين، وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً.**

قلت: ذكر الشيخ معنى المكاشفة وهي اطلاع أحد المتحابين المتصافيين صاحبه على باطن أمره وسره. والمقصود بها في هذا المحل بلوغ العبد بعون الحق إلى مطالعة ما اتصف به الحق من كمال الصفات، والتفضل بأنواع المواهب والكرامات، عن وجود وتحقيق، بخلاف مَن حُجب عن ذلك ولم يوفق له، فإن الحجاب في حق العبيد لا في حق المعبود تعالى عن ذلك.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح، وهي أن تكون مستديمة. فإذا كانت حيناً دون حين، لم يعارضها تفرق غير أن الغين ربما شاب مقامه، على أنه قد بلغ مبلغاً لا يلفته قاطع ولا يلويه سبب ولا يقتطعه حظ؛ وهي درجة القاصد، فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية.**

قلت: والمكاشفة علوم يخلقها الحق سبحانه في قلب العبد، يطلعه بها على عجائب ملكوته وبدائع آياته؛ وقد يواليها وقد يخلق الغفلة بدلاً منها والشغل بغيرها ولكن يبقى على العبد آثارها وبركاتها. فذلك **لا يلفت** قلبه عنها وعن التشوف لأمثالها قاطع، **ولا يلويه** أي يعرضه ويصده عنها **سبب، ولا يقتطعه حظ** أي غرض في غيرها. وهي درجة القاصد لطريق الجمع، وهو المجتهد في تحصيلها؛ وقد يكون ما يخلقه له الحق سبحانه بسبب من شيخ أو ملك أو جن أو

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

اعتبار بشيء إلى شيء، وقد يخلقه له الحق علماً ضرورياً إكراماً لوليه وعوناً له على سلوكه.

قال الشيخ رحمه الله: **فإذا دامت هذه الحالة من المكاشفة فهي الدرجة الثانية.**

قلت: وإنما كانت أتم من الأولى لعدم الغفلات فيها، أو لندورها، ودوام الذكر والمناجاة والتنعم بنورها. وهذا الكشف لا يكون في أصول شيء من الأحكام، لا من مكاشفة ولا منام ولا إلهام، فإن إثبات الأحكام خاصية من الأنبياء عن الله تعالى أو المرسلين. فإن رسول الله ﷺ قال: (لا نبي بعدي)(1) وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: الآية 40] ﴾ فقد أخبر تعالى أنه ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: الآية 40]، وإذاً لم يكن بعده نبوة فلا رسالة فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وسواء تعلقت هذه الأحكام بواجب أو مندوب من حال أو مقام، فأصولها كلها شرعية؛ نعم إذا عرف الموفق الأصل بدليله الشرعي وعمل عليه واتقى الله، فتح الله له من الفهم في كتابه وحديث رسوله ما لم يفتحه لغيره مع طول البحث والتكرار إذا قل تقواه قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 282] ﴾ وقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفَال: الآية 29] ﴾، قال أهل التفسير: «نوراً يفرقون به بين الحق والباطل»؛ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل: الآية 128] ﴾ يعني بالنصر والمعونة فأما تسديد العقل وتوفيقه للنظر والاستدلال، والفرق بين الجائز من الأمر والمحال ففيه الفتح العظيم، والتوفيق القويم، والسلامة من فساد الاعتقاد، والوقوف مع الأوهام والخروج عن السداد. فيكشف الحق عن قلبه غطاء الجهل، وينور بصيرته بنور الإصابة والعدل، ويطلعه على عجائب الملك وغرائب الصنع وكمال الحكمة وبلوغ الغاية، وإن كان فعله تعالى محكماً إلى غاية الحكمة في. . . . .(2)

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما ذكر من بني إسرائيل، حديث رقم (3268) [3/ 1273] ورواه مسلم في صحيحه، باب وجوب بيعة الخلفاء، حديث رقم (1842) [3/ 1471] ورواه غيرهما.

(2) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

فهو بالإضافة إلى ما سبق كونه، لا إلى ما يمكن فعله.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة مكاشفة عين، لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال؛ وهي مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ، أو تلجىء إلى توقف، أو تنزل إلى رسم؛ وغاية هذه المكاشفة المشاهدة.**

قلت: وهذه الدرجة من المكاشفة إنما كانت **مكاشفة عين** لغلبة نور الحق على القلب حتى لم يرَ في الوجود سواه. وليست هذه المكاشفة علماً بانفراده سبحانه محضاً وتنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا حالاً أثمره ذلك العلم. بل تنزلت هذه المكاشفة في المثال منزلة العلم الضروري الحاصل بالإبصار، مع صحة البصر وزوال الأستار من حائل أو ظلمة أو مشغل للإسرار، لا يشغله عن النظر شاغل، ولا يلفت نظره عما هو له مقابل، بخلاف العلوم النظرية والأحوال الكائنة عنها، فإنها تعتورها الغفلات، ونزول الأحوال بزوالها بالأضداد والآفات، ومن أوصله الحق سبحانه إلى هذه المقامات، استغنى عن إدراك السمات وهي العلامات ولم يبق له التفات، إلى حظ أو تلذذ بغير ما هو فيه من الكشف لكمال الصفات، ويعمى عن ملاحظة رسم أو مقام لنفسه فضلاً عن غيره من المدركات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[82]. باب المشاهدة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية 37] قال الشيخ رحمه الله: **المشاهدة سقوط الحجاب بتاً**. قلت: يعني قطعاً بالكلية. قال: **وهي فوق المكاشفة لأن المكاشفة ولاية النعت وفيه شيء من بقايا الرسم، والمشاهدة ولاية العين والذات.**

قلت: والفرق بين **ولاية النعت وولاية العين والذات** أن النعت صفة ومن شاهد الصفة فلا بد أن يشاهد متعلقاتها فإن النظر في متعلقاتها يفيده التعظيم للمتصف بها. وبيانه أن من شاهد العلم القديم الأزلي متعلقاً بسائر المتعلقات، من الواجبات والجائزات والمستحيلات، وتعلقه بما لا يتناهى من الأفعال الجائزات، من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار المتولى عليهما لا إلى غايات ونهايات، كما دلت عليه الآيات، والأخبار الواضحات، وكذلك من شاهد كمال الإرادة المتعلقة بسائر الجائزات، ما وقع وما سيقع وما لا يقع من الممكنات، وكذلك القدرة المتعلقة بما لا يزال، الصالحة لإيجاد سائر الممكنات، التي يجوز وقوعها في الدنيا والآخرة على مرور الأوقات، ومن شاهد هذه الصفات ومتعلقاتها، وجال قلبه في عظمتها، فهو مشغول بالصفات، ومفرق في متعلقاتها من المخلوقات، بخلاف المقصور النظر على عين الذات، وتنزهها عن الآفات، وقدمها وبقائها لا إلى غايات ونهايات، واستغرق قلبه في عظمة موجود لا تحويه جهات، ولا تحيط به أرض ولا سموات، ولا عرش ولا غيره من أنواع المخلوقات، بل لم يزل تعالى متحقق الوجود، والعرش وما دونه معدوم مفقود. فهذا هو **مشاهدة العين والذات** والأول مشاهدة الصفات، والثاني في مقام الجمع. فمن استغرق قلبه في هذا المجال، وأقبل بكليته على الحق هذا الإقبال، كان من المشاهدين لهذا الجلال واستحق اسم المشاهدة عند القوم إذ غاب عن

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

إدراك رسمه وكل عمل له أو حال، فالله سبحانه يبلغنا أحوال المقربين، ويحجب عنا صفات المبعدين، بمنّه وكرمه آمين، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: الآية 182] .

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى مشاهدة معرفة تجري فوق حدود العلم في لوائح نور الوجود منيخة بفناء الجمع.**

قلت: قد تقدم كلام سيد هذه الطائفة أبي القاسم الجنيد رحمه الله في قوله: «علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه» وهو أن العبد قد يصح له العلم بانفراد الحق سبحانه في ذاته وصفاته وأفعاله قاطعاً بذلك. ولكن إذا اختلفت عليه الأسباب، وتغير عليه الأصحاب، أو وجد البعد عن الباب، لم يثبت قلبه في أوائل صدمات، ولم يبادر إدراكاً لرؤية الفعل من الواحد الذي دلت على انفراده بالفعل الأدلة الواضحات، فهذا عالم بالتوحيد غير واجد لمقام التوحيد ولا متصف به. وإن كان، وقت اختلاف الأحوال عليه، وتعزز الأسباب لديه، قلبه مقبلاً على ذي العزة والجلال، مستغرقاً في جميل فعله به في الحال راجياً لدوام فضله عليه في الاستقبال، فقد حل في مقام التوحيد. وأهل هذا المقام متفاوتون في درجات الكمال، من مدرك لما هو فيه متنعم متلذذ، ومن مستغرق غائب عن حظه بما هو فيه من وجوده، فمشاهدته لحاله قد غشاها نور وجود مولاه، وقد أناخت همته بفناء مقام الجمع وبعدت عن رحب مقام التفرقة.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد، وتلبس نعوت القدس، وتخرس ألسنة الإشارات.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها مشاهدة ترقت عن العلم النظري بالتوحيد وتمكنت في وجود التوحيد، حتى صار صاحبها يرى الفعل من واحد حالاً وأناخ بمقام الجمع ليتمكن فيه، وبعد لم يكمل استغراقه عن إدراك رسمها بالكلية؛ وصاحب هذه الدرجة انقطعت عنه **حبال الشواهد**، وتمكن في مقام المشاهدة، وألبس **نعوت القدس** أي تطهر من الالتفات إلى حظوظه، فخرس لذلك لسانه عن الإشارة إلى ما هو فيه من سني المقام.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع،**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

مالكة لصحة الورود، راكبة بحر الوجود.

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن صاحبها أثبت في مقام المشاهدة، وأمكن في مقام الجمع، وأملك لحمل ما يرد عليه في مقامه من أنواع الكشوفات والمعارف. ولذلك كانت مشاهدته **مالكة لصحة الورود، راكبة بحر الوجود** بجمع الهمة إلى عين الجمع وهو المعنى الذي لأجله كان الجمع.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[83]. باب المعاينة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: الآية 45] **المعاينات ثلاث: أحدها معاينة الأبصار. والثانية معاينة عين القلب، وهي معرفة الشيء على نعته علماً يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة؛ وهذه معاينة بشواهد العلم. والمعاينة الثالثة معاينة عين الروح، وهي التي تعاين الحق عياناً محضاً؛ والأرواح إنما ظهرت وأكرمت بالبقاء لتناغي سناء الحضرة، وتشاهد بهاء العزة، وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة.**

قلت: قوله رضي الله عنه **المعاينات ثلاث: بعين الرأس وبعين القلب وبعين الروح** بالغ، فإن الإبصار ليس بنفس العين وإنما هو بالمعنى الذي يخلقه الحق فيها فتدرك به، وكذلك القلب يدرك بمعنى يخلقه الحق فيه، وكذلك الروح إذ كانت جوهراً قام بها معنى يقع بها الإدراك. نعم العين التي في الرأس تدرك بمعناها الأجسام والألوان والحركة والسكون، والقلب تدرك بمعناه العلوم والصفات المحمودة فتكتسب، والصفات المذمومة فتجتنب. والروح تدرك بمعناها صفات الكمال والجمال، ولها تشوف للقرب لذي الجلال، وهرب عن كل مشغل يشغل عنه في حال من الأحوال، وإذا كان للروح معنًى فعينه لها تعلق بما أشرنا إليه من ملاحظة جناب الإفضال. ومتى كانت عين الرأس مطلقة مشغولة بكل منظور، وكانت عين القلب مطموسة بما اشتغلت به من الشهوات وعاجل الأمور، والروح متنعمة بحظوظها من الأعواض والأجور، فقد فات المتصف بهذه الصفات ما ذكرناه من سيء الخلاف؛ ولذلك قال الشيخ رحمه الله: **عين الروح هي التي تعاين الحق عياناً محضاً**، والحق هاهنا هو الله تعالى.

وقوله: **والأرواح إنما أكرمت بالبقاء لتناغي سناء الحضرة** فيه نظر، فإن المعروف من مذهب أهل الحق أن الأرواح باقية لا تفنى ولكن هذا عام في

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

السعداء والأشقياء فتكون الأرواح التي تخاطب الحق في الدنيا والآخرة وتتنعم بمناجاته أرواح السعداء والأولياء، ولا يكون لغيرهم فيه نصيب وإن كانت أرواحهم باقية. وقد قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: الآية 46] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[84]. باب الحياة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعَام: الآية 122] **اسم الحياة في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء: الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل؛ ولها ثلاثة أنفاس: نفَس الخوف، ونفَس الرجاء، ونفَس المحبة.**

قلت: وهذه الحياة هي التي أشار إليها القرآن العزيز بقوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعَام: الآية 122] الآية والأنفاس دليل الحياة: فمن عاش بمعرفة الله سبحانه فتارةً يتنفس بنفس الخوف منه، وتارةً بنفس الرجاء لما لديه، وتارة بنفس المحبة له والتعظيم والإجلال لما غلب عليه.

قال الشيخ رحمه الله: **والحياة الثانية حياة الجمع من موت التفرقة؛ ولها ثلاثة أنفاس: نفس الاضطرار، ونفس الافتقار، ونفس الافتخار.**

قلت: وهذه الدرجة من الحياة أرفع مما قبلها، فإن الأولى حياة من موت الجهل بالله بحصول المعرفة به، وهذه حياة من موت الغفلة عن النظر إليه وإلى مخلوقاته، وهو المعبر عنه بالتفرقة، لحصول جمع همته على الحق وعكوف القلب والروح لديه، ورؤية نفسه غريقاً في بحر إحسانه إليه. وحيي أيضاً حياة الجمع، والحي يتنفس: فتارة يتنفس **نفس الاضطرار** لما غلب على قلبه من تبريه من الأفعال، وانفراد الحق بها في سائر الأحوال، وتارة يتنفس **نفس الافتقار** لما يدرك من نفسه من العجز والذلة عن تحصيل ذرة من مثقال، ودوام فقر صاحبها إلى فضل ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] ، وتارة يتنفس **نفس الافتخار** لما خصه به مولاه من كريم المقام وسني الإفضال، فيكون افتخاره بمولاه، على نفسه لا على أحد سواه.

قال الشيخ رحمه الله: **والحياة الثالثة حياة الوجود، وهي حياة بالحق؛ ولها**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ثلاثة أنفاس: نفس الهيبة وهو نفس يميت الاعتلال، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال، ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال. وليس وراء لك ملحظ للنظارة، ولا طاقة للإشارة.

قلت: وهذه الحياة أتم مما قبلها، فإن حياة الجمع سبب الوجود، وحياة الوجود شرف بالموجود، وهو الحق سبحانه. فمن حيي بوجوده تنفس بأنفاس ثلاثة: فتارة يتنفس بالهيبة والإجلال بما غرقه من صفات السطوة والإفضال، فتموت منه علل أعماله، وآثار حظوظه وتارة يتنفس نفساً يدل على الوجود وطيب الحال، فيمنعه ذلك عن الانفصال وتارة يتنفس نفس الانفراد بالاقتدار والإكرام، فيورثه ذلك رجوع قلبه إليه والاتصال.

وقوله: **وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة، ولا طاقة للإشارة** يعني أن كمال الاتصال والشغل بالحق يشغل عن التنعم بما وجد والإشارة به إلى أحد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[85]. باب القبض

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الفُرقان: الآية 46]

القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطناعاً لنفسه، وهم ثلاث فرق: فرقة قبضهم الحق إليه قبض التوفي، فضن بهم عن أعين العالمين، وفرقة قبضهم بسترهم في لباس التلبيس وأسبل عليهم أكلة الرسوم، فأخفاهم عن عيون العالمين، وفرقة قبضهم منهم إليه، فصافاهم مصافة سر، فضن بهم عليهم.

قلت: القبض في الأحوال غير القبض في الحقائق: فإن القبض في الأحوال أمر يطرق القلب يمنعه عن الانبساط والفرح، إما لذكر ذنب أو نقص أو بُعد؛ وهو في قسم الحقائق فعل من الحق بالعبد نفسه وهو إخفاؤه عن خلقه على ما سيأتي.

والفرقة الأولى ممن ذكر الشيخ أنه تعالى قبضهم **قبض التوفي** أي قبضاً يشبه قبض التوفي، فغيب ذواتهم وأجسادهم عن أعين الخلق كما فعله ببعض أوليائه الذين انقطعوا في البراري والبحور وغابوا عن أعين الخلق فلا يرونهم.

(و)الفرقة الثانية، وهم أقوى من الأولى، بين الخلق يتصرفون بالأبدان وقلوبهم عنده، فهم في أكلة الوقوف مع الرسوم في الظاهر وهم مع الحق القيوم في الباطن، قد تلبس حالهم على أكثر الخلق لما هم فيه من القوة مع الحق.

وفرقة ثالثة أعلى من هذه، قد سترهم الحق عن أنفسهم لكمال ما أطلعهم عليه وشغلهم به، فهم في أكمل الأحوال ولا التفات لهم إليها حتى لا يروا لأنفسهم كمالاً، قلوب عامرة بالمراقبة وأرواح طاهرة في المشاهدة قد سترهم الحق عنهم وقبض قلوبهم عن النظر لأحوالهم فهم أسراء الحق وحالهم كما قيل:

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

فمن كان في طول الهوى ذاق سلوة   فـإنـيَ مـن لـيـلـى لـهـا غـيـر ذائـق
وأكـبـر شـيء نـلـتـه مـن وصـالـهـا   أمـانـيّ لـم تـصـدق كـلـمـحـة بـارق

فلا قدر عندهم لما نالوه، وإن كانوا في أجل مثال، وأشرف حال.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[86]. باب البسط

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: الآية 11] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية أنه تعالى يحيي أولياءه وينعش قلوبهم بالبسط فإنه أكرم وألطف. قال الطبري في قوله تعالى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: الآية 11] : أي يعيشكم فيما خلق لكم من الأنعام المذكورة في الآية. ا هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **البسط أن ترسل شواهد العبد في مدارج العلم، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص. وهم أهل التلبيس وإنما بسطوا في ميدان البسط لأحد ثلاثة معانٍ لكل معنى طائفة.**

قلت: ما ذكره الشيخ في معنى البسط جيد، فإن البسط إرسال **شواهد العبد** يعني ظواهره وأعماله على مقتضى العلم ويكون باطنه معموراً بالمراقبة والأنس؛ فيصير حالاً في باطنه وظاهره، ليس عنده نقص يقبضه ولا سبب يشوشه، سواء خالط الخلق أو لم يخالطهم، لكمال انشراح باطنه بما هو عليه من كمال الصفات.

قال الشيخ رحمه الله: **فطائفة بسطت رحمةً للخلق، يباسطونهم ويلابسونهم فيستضيئون بنورهم، والحقائق مجموعة والسرائر مصونة.**

قلت: وهؤلاء قوم من أهل الحق بسطهم ليكثر بهم المقتدي، وتعود بركتهم على أنفسهم وعليهم، فيستضيئون بالنور الذي يظهر من بركة بسطهم وجمال حركاتهم وسكونهم، ونفوس الخلق إلى الاقتداء بالأفعال، أميل منها إلى الاقتداء بالأقوال. وقلوب هؤلاء المبسوطين مع ملابستهم للخلائق، معمورة بالحقائق.

قال الشيخ رحمه الله: **والطبقة الثانية طائفة بسطت لقوة معانيهم ولصميم مناظرهم، لأنهم طائفة لا تخالج الشواهد مشهودهم، ولا تضرب رياح الرسوم موجودهم، فهم مبسوطون في قبضة القبض.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة من البسط أتم مما قبلها لأن ما قبلها أرباب أعمال وهذه أرباب أحوال، بسطت الأولى رحمةً في حق الخلق وبسطت هذه لما تمكنت فيه من المعارف بالحق، فمعانيهم قوية عتيدة، وملاحظتهم للحق صمة أكيدة، ليس لسلطان الشواهد على كمال حضورهم ومشاهدتهم آثار المداخلة بالتشويش، ولا لأمواج رسوم أنفسهم على كمال موجودهم طيش الغفلة عن التنزيه والتقديس، فهم مبسوطون بقبضه إياهم عن غيره.

قال الشيخ رحمه الله: **والطائفة الثالثة بسطت أعلاماً على الطريق، وأئمةً للهدى، ومصابيحاً للسالكين.**

قلت: وإنما كانت هذه أعلى من التي قبلها من حيث اتصافها بما اتصفت به الطائفة التي قبلها من الأحوال، وزادت عليها بنفع السالكين الطالبين لمثل مطلبهم السالكين لنيل الأحوال السنيَّة. فهؤلاء استوت ظواهرهم وبواطنهم لكمال قوتهم، وأجرى الحق سبحانه الحِكَم على ألسنتهم والنور الساطع من شمائلهم، فيقتدي بهم الناقص من الخلق والكامل لاشتمالهم على صفات الكمال في الظاهر والباطن، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النُّور: الآية 35] .

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[87]. باب السكر

قال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن كليمه عليه السَّلام: ﴿﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البَقَرَة: الآية 260] ﴾.

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن موسى صلَّى الله على نبينا وعليه، لما استغرق في كمال السكر بسماع الكلام، جرى على لسانه طلب الرؤية له تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب؛ وهذا من مقامات المحبين خاصةً، فإن عيون الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه.**

قلت: يريد بذلك والله أعلم أن السكر إنما يكون مع بقايا من نفسه، بها يشرب ويتلذذ بحاله فيسكر؛ **وعيون الفناء لا تقبله** لأنها استغراق محض.

وأما كون **منازل العلم لا تبلغه**، أي علم المحبة دون الاتصاف بحال المحبة.

قال الشيخ رحمه الله: **وللسكر ثلاث علامات: الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم، واقتحام لذة الشوق والتمكين دائم، والغرق في بحر السرور والصبر هائم. وما سوى هذا فحيرة تنحل اسم السكر جهلاً، أو هيمان يسمى باسمه جوراً، وما سوى ذلك فكله يناقض البصائر، كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة.**

قلت: وما ذكره الشيخ من علامات السكر الصحيح بمحبة الحق بالغ، وذلك أن المحبة لا يتمكن صاحبها في سكره بوجوده إلا مع دوام الذكر وقلة الغفلات. ومن هذه صفته لا يحتمل سماع الخبر عنه، فإنه حاضر معه فيضيق قلبه عند سماعه بغير تعظيم، لكمال حاله في التعظيم، ولذلك قال **والتعظيم قائم**. وكذلك يدخل بشوقه كل مدخل لنيل مطلوبه، وهو اقتحام لذته مع دوام تمكينه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

في الأدب مع محبوبه. وكذلك يكون قلبه غريقاً في بحر السرور به **وصبره عنه هائم**، أي ذاهب عنه، لا يقدر على صبره عنه.

وقوله: **وما عدا هذه العلامات فحيرة** في حق منتحلها جهلاً بحقيقة السكر المحمود، **أو هيمان** سميّ باسم السكر ظلماً وجوراً وليس بسكر. هذا هو السكر عن المحبة وما عداه نقض في بصيرة الناظر في هذه الحقائق، فإنه قد يسكر حرصاً، وقد يسكر جهلاً وعمًى، وقد يسكر لغلبة شهوة، وهذه كلها بعيدة عن السكر المحمود.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[88]. باب الصحو

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سَبَإ: الآية 23] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية أنهم لما سرى عنهم مما كانوا فيه من الأحوال المشغلة ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [سَبَإ: الآية 23] . قال الطبري في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [محَمَّد: الآية 16] : جلى وكشف عنها الفزع هـ فعلى هذا لا يكون الصحو إلا بعد السكر.

قال الشيخ رحمه الله: **الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط؛ والصحو مقام صاعد عن الانتظار، مغنٍ عن الطلب، طاهر من الحرج. فإن السكر إنما هو في الحق، والصحو إنما هو بالحق، وكل ما كان في عين الحق لم يخل من حيرة، لا حيرة الشبهة بل الحيرة في مشاهدة نور العزة، وما كان بالحق لم يخل من صحة، ولم يخف عليه من نقيصة، ولم تتعاوره علة. والصحو من منازل الحياة، وأودية الجمع، ولوائح الوجود.**

قلت: قوله رحمه الله: **الصحو صاعد عن الانتظار** يعني انتظار الطالب لما يفتح به عليه، فإن الصاحي متمكن في الحضور. ولذلك ناسب مقام البسط وكان **طاهراً من الحرج،** يعني الضيق الذي يجده أرباب السكر لما هم فيه من شدة الطلب، فإنهم لم يتمكنوا بعد في مقامهم. ولذلك كتب بعضهم لبعض أنه شرب كأساً من محبته فلا يفيق إلا بلقائه، فكتب إليه صاحبه هاهنا: «من شرب بحار الدنيا وهو فاتح فاه يشتكي العطش لم يرو بعد». فالصحو قوة في المقام ولذلك قال الشيخ في السكر **إنما هو في الحق،** فالسكران في الطلب للحق، والصاحي

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بوجود الحق. والصحو بالحق **لم يخل من صحة** لوجود المقصود والأرب، **ولم يخف عليه من نقيصة** ولا علة، لأنه منزل من **منازل الحياة** وواد **من أودية الجمع** ولائح **من لوائح الوجود** أي أوائله ومقدماته.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[89]. باب الاتصال

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: الآيتان 8، 9] **أيأس العقول وقطع البحث بقوله**: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

قلت: ومعنى الإشارة بالآية إلى كمال التقريب والإكرام، والتفضيل على سائر الأنام، وقوله: **أيأس العقول وقطع البحث بقوله**: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ معناه أن المقصود بالقول التقريب بالأمثال لاستحالة القرب بالمكان والمسافة في حقه تعالى. وقد قال أهل التفسير إن الدنو في الآية إنما كان بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السَّلام، وهذا إنما يجري في تقدير الدنو المحسوس، وإلا فالدنو المعنوي لا يفتقر إلى هذا وإنما من مقال «فلان قريب من فلان» في الحال والصفة والكمال ولا مسافةً فقربه عليه السَّلام من ربه دنوه إلى محل شريف، لم يوصل إليه غيره من خلقه. وهي الدرجة العالية المنيفة التي امتاز بها يوم القيامة، وفي الدنيا بالرسالة للناس كافة، وفي ليلة المعراج حتى ﴿رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النّجم: الآية 18].

قال الشيخ رحمه الله: **والاتصال ثلاث درجات: الدرجة الأولى اتصال الاعتصام، ثم اتصال الشهود، ثم اتصال الوجود. فاتصال الاعتصام تصحيح القصد، ثم تصفية الإرادة، ثم تحقيق الحال**.

قلت: وهذه الدرجة في الاتصال إنما كانت أولى من حيث إن السالك لطريق الحق لا بد من صحة قصده ووزنه على صحة المقصود شرعاً. وإذا صح شرعاً ثم توجه إخلاصاً، وهو **تصفية الإرادة**، ثم حقق سلوكه حالاً ونعتاً، كان متصلاً بالحق الذي قصده وأراده وسلك سبيل مرضاته. فيعتصم بصحة القصد من الانحراف عن السداد، ويعتصم بتصفية الإرادة عن الوقوع في الفساد، ويعتصم بتحقيق الحال عن الدعوى بين العباد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية اتصال الشهود، وهو الخلاص من الاعتلال، والغناء عن الاستدلال، وسقوط شتات الأسرار.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن الأولى اتصال بصحة القصود والأعمال وهذه الدرجة اتصال برؤية مَن العمل له على تحقيق مشاهدته. فيتخلص العبد بذلك عن علل الأعمال واستحسانها والسكون إليها، لاستغنائه بمشاهدة المدلول عن الاستدلال، ويسقط لذلك عنه شتات كل سر وبال وانفصال.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة اتصال الوجود، وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار، إلا اسم معار، ولمح إليه يشار.**

قلت: ولما لم يعهد مثله، لم تنطق الألسنة به ولم تدل العقول عليه، وذلك لغلبة نور القرب على القلب وذهاب العبد فيه عن إدراكه لحاله لما قهره من أنوار الحق. وإنما ينعت ويستدل العبد عليه ليعرف الغائب أو ليدل غيره على معروفه وهذا لا وسع عنده لذكر حاله فضلاً عن غيره. وإنما بقي عنده **اسم معار** وهو كونه متصلاً **ولمح إليه يشار** أي تطلع ورؤية يشار إليها لا يعبر عنها.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[90]. باب الانفصال

قال الله تعالى: ﴿﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ 416 ـ[آل عِمرَان: الآية 28] ﴾ **ليس في المقامات شيء فيه من التفاوت ما في الانفصال؛ ووجوهه ثلاثة: أحدها انفصال هو شرط الاتصال، وهو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما، وانفصال توقفك عليهما، وانفصال مبالاتك بهما. والثاني انفصال عن رؤية الانفصال الذي ذكرناه، وهو أن لا يتزيا عندك في شهود التحقيق شيئاً يوصل بالانفصال منهما إلى شيء)**. . .[1] شغلاً بالله تعالى كما تقدم. حاله شريف، ومقامه منيف، فقد تسكن نفسه إلى مقامه في الانفصال، ويراه فضلاً عليها جارياً من الحق في الحال، فكمالها انفصالها، وإضافة ذلك لمجرية عليها، وتحقيق تبريها عنها.

قال الشيخ رحمه الله: **والثالث انفصال عن الاتصال، وهو انفصال من شهود مزاحمة الاتصال عين السبق، فإن الاتصال والانفصال على عظم تفاوتهما في الاسم والرسم في العلة سيان.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها انفصال عن سكون إلى انفصاله عن رؤية انفصاله عن الأغيار، وهذا انفصال عن رؤية اتصاله بدوام ملاحظة العزيز الجبار، فينقطع العبد عن رؤية كونه متصلاً بنفسه وهذه علة في الاتصال، بل كمال اتصاله غيبته عن كونه متصلاً لكمال ما هو فيه من حقيقة الاتصال.

وقول الشيخ: **فإن الاتصال والانفصال على عظم تفاوتهما في الاسم والرسم،** معناه أن اسم الاتصال يضادد معناه معنى اسم الانفصال، وكذلك في الرسم والحقيقة. فإنهما متساويان في العلة أي رؤية الاتصال كرؤية الانفصال بالإضافة إلى النفس والسكون إلى المقام.

---

(1) بياض في الأصل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[X ـ قسم النهايات]

وأما قسم النهايات فهو عشرة أبواب، وهي: المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[91]. باب المعرفة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المَائدة: الآية 83] **المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو.**

قلت: وهذا هو الحد الصحيح عند أهل التحقيق والأصول، فإن المعرفة هي علم المعروف على ما هو عليه. نعم أهل هذا الشأن لم يكتفوا بإطلاق لفظ المعرفة على مدلول العلم خاصة، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من توالت على قلبه العلوم بالمعلوم الواحد، وهو الحق سبحانه، حتى غلبت على قلبه أحواله، وقلت غفلاته عنه، وظهرت عليه آثاره وعلاماته، فحينئذٍ يسمونه عارفاً.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاث درجات، والخلق فيها ثلاث فرق: الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت، قد وردت أساميها بالرسالة وظهرت شواهدها في الصنعة، بتبصير النور القائم في السر وطيب حياة العقل لزرع الفكر وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار؛ وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها.**

قلت: وهذه الدرجة الأولى جمعت بين قواعد اليقين وأصول الدين، ما يعرفك قدر هذا الرجل العظيم، وما احتوى عليه من علوم النقل والعقل والأحوال والمقامات عند الملك الكريم، كما سنرشدك إليه إن شاء الله من غير تطويل ولا ترخيم.

فقوله: **معرفة الصفات والنعوت** أراد به الفرق بين صفات الذات، كالعلم والإرادة والقدرة القديمات له تعالى، وبين صفات الفعل كالخالق والرازق والمعطي والمانع؛ فإنها نعوت له بأفعاله تعالى وتقدس وإن كان سبحانه لم يزل منعوتاً بها من حيث كان متكلماً واصفاً نفسه في كتابه بكونه خالقاً رازقاً وكلامه قديم، وإن كان الفعل والخلق والرزق في الأزل محالاً. وهذه الأسماء جميعها

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قد وردت بها الشريعة في الكتاب والسُنَّة كالعالم والقادر والمريد والحي وغيرها من صفات الذات، وكذلك الخالق والرازق ونحوهما من أسماء الأفعال. فإن أهل التحقيق لا يسمون الحق سبحانه بنعت من صفات الكمال إلا بما سمى به نفسه على لسان نبيه عليه السَّلام.

وقوله: **فظهرت شواهدها** أي الأدلة على إثبات الصفات لله تعالى من أفعاله وبدائع صنعه، يدرك ذلك بالنور العقلي في قلب قد حيي بحسن نظره في الاعتبار، مع تعظيم الحق سبحانه وتنزيهه عن نعوت غيره من الأخيار والأشرار.

وقوله: **وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها** معناه أن اليقين هو توالي أنوار الإيمان على القلب حتى لا يبقى فيه التفات إلى الأسباب، ويصير دائم النظر لرب الأرباب. وأصل هذا اليقين صحة الإيمان وبه تنعقد حباله وشرائطه، إذ اليقين لا بد له من أمر يوقن وهو اعتقاد عوام أهل الحق فإنه صحيح موافق للعلم.

قال الشيخ رحمه الله: **وهي على ثلاثة أركان: أحدها إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل، والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.**

قلت: قوله: **إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه** إلى آخره فيه إشارة إلى الرد على نفاة الصفات وعلى من أثبتها حادثةً كما ذهب إليه بعض المعتزلة في الإرادة والعلم. فإثباتها قادمةً يجمع الرد عليهما وفيه تنزيه الصفات القديمة عن إدراك حقائقها والإحاطة بكيفية تعلقها بمتعلقاتها، وهو بحر لا ساحل له ولا سبيل إلى خوضه فضلاً عن التعمق فيه. فإن القدرة الأزلية تتعلق بالممكن الوجود فتصيره موجوداً أو شيئاً ولم يكن شيئاً. وكذلك الإرادة الأزلية تخصص سائر المرادات الممكنات، ما علم الحق وقوعه منها وما علم استمرار عدمه من الجائزات، إذ لا يترجح أحد جانبي الممكن من نفسه ولا بد له من سبب في التخصيص بالوجود أو باستمرار العدم بدلاً عنه. دلت على ذلك الآيات الواضحات، والعقول عاجزة عن معرفة وجه تعلق العلم القديم بسائر المعلومات، والإرادة بسائر الممكنات، والقدرة بإيجاد الموجودات، لا من شيء تقدمها قامت به الدلالات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: والدرجة الثانية معرفة الذات، مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات، وهي تنبت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الفناء، وتستكمل بعين البقاء، وتشارف عين الجمع. وهي على ثلاثة أركان: إرسال الصفات على الشواهد، وإرسال الوسائط على المدارج، وإرسال العبارات على المعالم. وهي معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة.

قلت: وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة المتعلق، فإن الدرجة التي قبلها نظر في الصفات، وهذه اقتصار على الذات، وإن كانت الذات لا تخلو من الصفات، والصفات قائمة بالذات، ولا نقول هي أغيار الذات لاستحالة المفارقة، وحقيقة الغيرَيْن ما تجوز مفارقة أحدهما الثاني. وإنما ترجحت هذه الدرجة من حيث رفعة همة العارف وجمعها على الحق تعالى.

وقوله: **وهي تنبت بعلم الجمع** يعني هذه الدرجة، فإن حصل محصل علم الجمع، هان عليه التخلق به؛ وعلم الجمع هو العلم بانفراده سبحانه بالأفعال، وعجز من سواه من الاقتدار على إيجاد ذرة أو جوهر من مثقال، وإذا توالى هذا العلم على القلب وسقط ذكر غيره عن الذُكر والبال، تمكن علم الذات في قلبه واتصف به، وكلما فني العبد عن ذكر غيره، صفت هذه المعرفة في قلبه. وأضاف الشيخ الفناء إلى الميدان، لاتساع أمد التخلق به على الإنسان، وذلك لالتفات نفسه إلى الأسباب، وجذب روحه لها عن ذلك وعقله إلى إفراد رب الأرباب. وإذا دام عكوف قلبه على الحق ونظره إليه ورؤية الفعل منه، كملت معرفته واستكملت بهذا البقاء الذي هي فيه وشارفت عين الجمع، وهي الغيبة عن نفسها فضلاً عن غيرها.

وقوله: **وهي على ثلاثة أركان: إرسال الصفات على الشواهد** إلى آخر كلامه يعني معرفة الذات ببلوغ عين الجمع لها ثلاثة أركان، وهي أن العبد يعرف الحق سبحانه بما دل على كماله وتوحيده من الكتاب العزيز وأقوال الرسول عليه السَّلام، وقد يدله عليه ما يشاهده ويبلغه من أحوال الأنبياء والأولياء من خوارق العادات وجريان الكرامات، وقد يدله عليه ما يجده من تغير صفاته وأحواله في سائر الأوقات. فإذا كملت معرفة العبد في التوحيد، علم أن الحق سبحانه إنما

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ألهمه لصفات نفسه ولما أجراه عليه ليشهد له من نفسه بكمال الاقتدار، وما أطلعه على ما أطلعه أو بلغه مما أجراه على الوسائط بينه وبينه إلا ليتدرج منهم إليه. ويعلم أن ما أجراه الحق سبحانه عليهم، قادر على إجرائه على غيرهم، وأنه لا فعل لغيره؛ ويعلم أن ما أجراه سبحانه على لسان رسوله وما ذكره في كتابه العزيز مما يدل على كمال ذاته ليس إلا معالم ليقتدي بها الخلق ويعرفوا كماله وجلاله ممن يقطعون بصدقه ولا يشكون في خبره. وإذا آمنوا به وصدقوه وتحسسوا لآثار اقتداره في أنفسهم وفي غيرهم، انتقلوا من معرفة الخبر إلى العيان. فإذا أرسلوا كل معنى مما ذكرناه على مقصوده، وصرفوا هممهم إلى الحق مجريه وناصبه، والعالم بكيفية وجوده، اجتمعت هممهم عليه وتمكنوا في معرفة الذات، الموصوفة بأكمل الصفات. وهذه **معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة** من قوله تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ﴾ [القَصَص: الآية 29] أي أدرك، فالعبد يدرك هذه المعرفة إذا علق همته بأفق الحقائق، وأعرض عن الأسباب والوسائط إعراض شغل عنها لا إعراض انتقاص لها وازدرائها، فيعمى بذلك عن الإبصار، ويصير من أهل النار.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في بحر التعريف، لا يوصل إليها الاستدلال، ولا يدل عليها شاهد، ولا تستحقها وسيلة. وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب، والصعود عن العلم، ومطالعة الجمع. وهي معرفة خاصة الخاصة.**

قلت: وهذه المعرفة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها معرفة متعلقة بالوسائل والشواهد طمعاً في الوصول إلى بلوغ المأمول، وهذه معرفة في عين المقصود غالبة على أحوال العارفين وطاقتهم، قد استغرق من بلغه الحق إليها في إدراكه لما هو فيه، حتى غاب عن مطالبه وأسباب قربه شغلاً بمعروفه وموجوده، فهو في حاله معرف عارف مكشوف له كاشف. وإنما كانت أركانه ثلاثة لأن صاحب هذا المقام مشاهد للقرب صاعد عن العلم لغلبة حال الجمع وهو رؤية الواحد خاصة.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[92]. باب الفناء

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26، 27].

قلت: ووجه الإشارة بالآية أن الفناء ذهاب عن هذا العالم، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي لا يبقى في القلب سواه.

قال الشيخ رحمه الله: **الفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً. قلت: الفناء عند أهل الحق يضادد البقاء، فإن العبد باقٍ بخلق الحق أعراض البقاء فيه، فإذا لم يخلق له ذلك اضمحل وذهب ففني؛ فلذلك قال الشيخ: الفناء اسم لاضمحلال ما دون الحق** يعني عن القلب. **علماً** أي لا يبقى عنده علم بغير الله؛ ثم يرتقي في مقام الفناء عنهم حتى يصيروا في حقه كالمعدومين وهو المراد بقوله **ثم جحداً** أي إنكاراً؛ ثم يغيب عنهم وجوداً للحق وذوقاً، حتى يكلَّم ولا يسمع ويُمر به ولا يرى. فالفناء الأول فناء العلماء بالله والعمال، والفناء الثاني فناء السالكين وأرباب الأحوال، والفناء الثالث فناء العارفين المستغرقين في الله المحبين له.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى فناء المعرفة في المعروف، وهو الفناء علماً، وفناء العيان في المعاين، وهو الفناء جحداً، وفناء الطلب في الوجود، وهو الفناء حقاً.**

قلت: وهذه الدرجة الأولى هي ما ذكرناه من فناء العالم عن غير الله حتى عن علمه بكونه عالماً، وهو قوله **فناء المعرفة بالمعروف.**

والثاني **فناء العيان في المعاين**، وهو تمكن في الحال إلى أن يصير المعلوم كالمعاين، ثم يفنى المعاين عن كونه معايناً شغلاً بالمعايَن. ثم ينتهي به الشغل

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

بموجوده، حتى لا يبقى في نفسه طلب لزيادة في حاله ولا تشوف له يناله شغلاً بموجوده.

فصل. ولا ينبغي لمن سمع هذه الإشارات من هذه العبارات أن يستبعدها فضلاً عن استنكارها، فإن أمثالها كبار في الدنيا على من تمكن في خوفه أو رجائه أو محبته. فمن أحضره سلطان شديد السطوة والأخذ بالكظم، وقد عظم جرمه عند نفسه وغلب على قلبه قلقه، فأحواله في حضوره بين يديه تختلف بالإضافة إلى ما يلقاه به السلطان من الأنفة عليه والإعراض عنه. فتارةً يذكر جرمه وحضوره للقصاص، وتارة يقهره الحال حتى لا يذكر ما له أحضر لغلبة الخوف على نفسه ويأسه من الخلاص، وتارة يغيب قلبه بالكلية فلا يشعر بما يجري على لسانه، ولا بأحد من جلساء سلطانه وخدامه. وكذلك يجري مثله على من قويت محبته واستغرق في محبوبه، كما فعل النسوة اللاتي جمعتهن امرأة العزيز وأخرجت عليهن يوسف عليه السَّلام ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: الآية 31]، فلم يجدن ألم قطع الأيدي حتى غاب عنهن يوسف، وذلك لما هجم على قلوبهن من جماله وكماله ومحبته واستغراق ذلك لهن وإذهابه بشعورهن وإحساسهن بأنفسهن وجراحهن. هذا رحمة الله في جمال مخلوق محدث، له أمثال وأقران ومن يقاربه ويدانيه في الجمال، وإنما خرج عن أبناء جنسه ببعض الصفات وامتاز ببعض المعالي المخلوقات. فكيف لا تستغرق الأفهام وتذهب العقول وتتلاشى الإحساس بما يجري على الأبدان في التعجب والاستعظام والإجلال، لكمال المعرفة والمحبة للمنزه عن المقاربة والمداناة فضلاً عن المماثلة في شيء من الصفات المنزه عن التقديرات، المقدس عن الجهات، القريب من كل مخلوق من غير مداناة، البعيد حتى حارت قلوب من لم يهده ويدله على حسن النظر السديد في الآيات الواضحات، فنسأله الثبات، على الحق حتى الممات.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية فناء شهود الطلب لإسقاطه. وفناء شهود المعرفة لإسقاطها، وفناء شهود العيان لإسقاطه.**

قلت: وهذه الدرجة في الفناء أمكن من جهة إعراضهم عن فنائهم عما تقدم

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

ذكره، قد سقط عن قلوبهم ذكر أحوالهم ومقاماتهم لما هم فيه من الشغل بربهم تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة الفناء عن شهود الفناء وهو الفناء حقاً، شائماً برق العين، راكباً بحر الجمع، سالكاً سبيل البقاء.**

قلت: وإنما كانت حقاً لغلبة الحق على القلب لما ناله من شيم برق المعاينة، قد تمكن في بحر الجمع وركبه، وسلك سبيل البقاء مع الحق وطلبه، لاحت له غين من الحقيقة فشمر إليها وسلك في تحصيلها مسلك حفظ حاله في البقاء مع الحق بحسن الهمة طلباً لدوام اللقاء.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[93]. باب البقاء

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 73] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية قوله: ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ وهو لفظ يدل على المبالغة، والحق سبحانه لا غاية لبقائه ولا نهاية.

قال الشيخ رحمه الله: **البقاء اسم لما بقي قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها.**

قلت: قوله: **اسم لما بقي قائماً بعد فناء الشواهد** يعني في اصطلاح أهل هذا الشأن ما يشهده العبد ويدركه، وهو عام في سائر أنواع ما بقي العبد متصفاً به مدركاً له **بعد فناء الشواهد** يعني الأدلة والآثار لاختلاف أحوال السالكين وما يفنيهم الحق عنه ويبقيهم معه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً لا علماً، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً، وبقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محواً.**

قلت: أما بقاء المعلوم مع سقوط العلم فمعناه سقوطه عن قلبه ذكراً لا ذاتاً فإن كل معلوم لا بد له من علم يتعلق به حتى يصح كونه معلوماً. وقوله **عيناً** حال لإدراك المعلوم وبقائه معايناً بالقلب حاضراً في كالمشاهد بالعين **لا علماً** مذكوراً خاصة. وكذلك يسقط عن قلبه التفاته لحال مشاهدته وذكر شهوده بقاءً مع مشهوده **وجوداً لا نعتاً**، والنعت حال صاحب الوجد والوجود عين الموجود وإدراكه تحقيقاً لا حالاً ونعتاً وشوقاً. وكذلك قوله: **بقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محواً** هو أن يغلب على القلب سلطان الحقيقة ونور الجمع، حتى يمحي عنه ذكر كل مخلوق مما لم يكن ثم كان، ويبقى فيه تعظيم **من لم يزل** مشغولاً به عن غيره حتى عن نفسه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[94]. باب التحقيق

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 260].

قلت: ووجه الإشارة بهذه الآية أنه صلَّى الله على نبينا وعليه وسلَّم طلب رؤية ذلك وقوعاً وتحقيقاً، لا أن إبراهيم الخليل عليه السَّلام يشك في أن الله سبحانه قادر على أن يحيي الموتى، تحاشى جميع الأنبياء عن ذلك. وقد نبه سيد العرب والعجم على ذلك في الخبر الصحيح بقوله: (نحن أحق بالشك من إبراهيم فإذا كنا نحن لا نشك فهو أولى ألا يشك)[1] وقال الدينوري: طلب تحقيق وعد ربه بأنه يتخذه خليلاً فأجله الشوق لذلك حتى طلب أمارة من الحق عليه ليطمئن فيسكن لتنجيز الوعد هـ.

قال الشيخ رحمه الله: **التحقيق تلخيص مصحوبك من الحق، ثم بالحق**.

قلت: قوله **تلخيص مصحوبك من الحق** بالغ في بيان المقصود، فإن التحقيق مبالغة في الحق، والمبالغة فيه تكون بتحصينه من المخالطات، وتخليصه من المفسدات، وتلخيصه من المشوشات. ومصحوب العبد من الحق ما هو محتاج إليه في دينه ودنياه، مما يستعين به في أمر أخراه، فيعرف العبد الحق جميعه ويميز بينه وبين الباطل ويأخذ منه ما هو محتاج إليه في سلوكه. فهذه رتبة؛ ثم يتبرأ من حوله وقوته في ذلك فيصير **بالحق**، ثم يتمكن في ذلك المقام فيصير **في الحق**.

قال الشيخ رحمه الله: **فهذه أسماء درجاته الثلاث. أما درجة تلخيص**

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: «ونبئهم عن ضيف إبراهيم. .، حديث رقم (3192) [3/ 1233] ورواه مسلم في صحيحه، باب زيادة طمأنينة القلب. .، حديث رقم (151) [1/ 133] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

مصحوبك من الحق فأن لا يخالج علمك علمَه، وأما الدرجة الثانية فأن لا ينازع شهودك شهوده، وأما الدرجة الثالثة فأن يناسم رسمك سبقه. فتسقط الشهادات، وتبطل العبارات، وتفنى الإشارات.

قلت: وهذه الدرجات الثلاث هي التي تقدم الكلام عليها، فإن آداب الصحبة مع الحق إنما تتلقى من رسوله ﷺ وتتعلم منه. فلا يخالج تدبير العبد نفسه بعلمه علمَ مولاه وتدبيره إياه، فيكون في سائر حركاته وسكونه جارياً على أمر الحق ونهيه. وإذا تراقت درجته، رأى فضل مولاه عليه في توفيقه لما أولاه ووفقه له من طاعته في دنياه، ولم يشاهد نفسه ذكراً لما هو فيه من غلبة التفات قلبه إلى فضل الحق وعطاياه، وهي الدرجة الثانية. وإذا تمكن في نجواه، وغلب على قلبه تعظيم من اختصه واجتباه، غاب عن إدراك رسمه فضلاً عمن سواه. وإذا وصل إلى هذا الحد من الاصطلام سقطت الشهادات وبطلت العبارات، وفنيت الإشارات للاستغراق في حقيقة عظمة خالق الأرضيين والسموات.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[95]. باب التلبيس

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 9] **التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم.**

قلت: وهذا الحد في معنى التلبيس بالغ، فإنه إظهار خلاف المراد وهذا معنى التورية. وقد قيل: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد غزاة ورَّى بغيرها)[1] ليأخذ أهل تلك الجهة من الكفار على غرة. **والشاهد المعار** هو ظاهر الملبس، **والموجود القائم** هو المعنى الذي ستره ولبس على غيره فيه؛ ولولا ذلك لم يكن تلبيساً، فإن التلبيس لا بد له من شيء يستر به ويلبس فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو اسم لثلاثة معانٍ. أولها تلبيس الحق سبحانه بالكون على أهل التفرقة، وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن والأحايين وتعليقه المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج والأحكام بالعلل والانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات، وأخفى الرضى والسخط اللذين يوجبان الوصل الفصل ويظهران السعادة والشقاوة.**

قلت: وإضافة هذا التلبيس إلى الحق سبحانه لا نقص فيه، فإنه راجع إلى صفات فعله، وله سبحانه أن يضل ويهدي ويبصر ويعمي. ولذلك استدل الشيخ بالآية وهو قوله: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 9] فأضافه إلى نفسه تعالى.

وقوله: **أولها تلبيس الحق بالكون** يعني الموجودات الكائنة بعد أن لم تكن؛ **وأهل التفرقة** هم الذين غلب عليهم النظر إلى الأسباب حتى غفلوا عن المسبب،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من أراد غزوة فَوَرَى بغيرها. . ، حديث رقم (2787) [3/ 1078] ورواه مسلم في صحيحه، باب حديث توبة كعب بن مالك، حديث رقم (2769) [4/ 2128] ورواه غيرهما.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

وذلك لإضافة الحق الأفعال الكائنة بقدرته إلى أسباب وأزمنة وأمكنة. وكذلك **تعليقه** تعالى **المعارف بالوسائط** وهي الأدلة العقلية وبالحواس من المسموعات والمبصرات والملموسات، مع قدرته على أن يخلق هذه المعارف بغير هذه الوسائط، فحجب أكثر الخلق بها عنه. وكذلك **القضايا**، وهي الوقائع بين العباد من الحدود والتعزيرات، بالحجج الموجبة لها. وكذلك تعليقه **الأحكام بالعلل** وهي المعاني التي لأجلها ثبتت الأحكام، وهو واضع العلل ومضيف الأحكام إليها. وكذلك ترتيب **الانتقام** على **الجنايات** وربطه الثواب بالطاعات، وكل ذلك من فضله أو عدله. وأخفى عن عباده ما سبق لهم عنده من سخطه عمن سخط عليه ورضاه عمن رضي عنه الموجبان لوصل مَن وصله وقطع مَن قطعه. فإن ذلك أمر مغيب عن عباده وإنما يتصفحه في العالم مَن فتح الحق بصيرتَه وكفاه إعراضَه عنه وغفلته.

قال الشيخ رحمه الله: **والتلبيس الثاني تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها وعلى الكرامات بكتمانها، والتلبيس بالمكاسب والأسباب، وتعليق الظاهر بالشواهد والمكاسب، تلبيساً على العيون الكليلة والعقول العليلة، مع تصحيح التحقيق عقداً وسلوكاً ومعاينةً. وهذه الطائفة رحمة من الله على أهل التفرقة والأسباب في ملابستهم.**

قلت: وهذه الدرجة في التلبيس كسب العبد وما قبلها أفعال الله تعالى، وبهذا التلبيس يقوى في حاله وإخلاصه. فصاحب هذا المقام يخفي أحواله غيرةً عليها من المشاركة وأنفاسه خوفاً عليها من المداخلة، فظواهرهم ظواهر غيرهم من الناس في المكاسب والمعاملات، وقلوبهم مع الحق في أعلى المراتب والدرجات، **عقداً** بقلبهم، **وسلوكاً** بعلمهم وحالهم، **ومعاينةً** بروحهم وهمتهم. فهذه الطائفة إنما كانت **رحمة على أهل التفرقة والأسباب في ملابستهم** وخلطتهم من وجهين: **أحدهما** أنهم ذاكرون الله في وسط الغافلين فيرحمهم الحق بهم، فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم. و**الوجه الثاني** أنهم لا يتركونهم في غفلاتهم، بل ينصحونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فيُرحَمون بهم. فهم بين العباد يتصرفون على مقتضى العلم ويكرمون مَن أمرهم الحق بإكرامه من أهل

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

الطاعة والإيمان، ويهجرون ويهينون مَن أمرهم الحق بهجرانه أو إهانته من أهل المخالفة والعصيان، فهم مع الحق لا مع غيره. كما قال قائلهم[1]:

وظنوني مدحتهم جميعاً وأنت بما مدحتهم مرادي

ولا يعرفهم إلا مَن قرب من درجاتهم، فإنه يعرف بعض ما عندهم بما عنده من ذلك؛ أما من عميت عيناه عنهم بالأنس بالمعتاد، ولم يعرف من الخير إلا ما لا يجهله أحد من العباد، ولم يجوز عقله وصول أحد إلى ما أشرنا إليه من سني الأحوال، في معاملة ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: الآية 9] ، فهو بعيد عنهم، محجوب عن رؤيتهم.

قال الشيخ رحمه الله: **والتلبيس الثالث تلبيس أهل التمكن على العالم، ترحماً عليهم بملابسة الأسباب وتوسعاً على العالم لا على أنفسهم. وهذه درجة الأنبياء عليهم السَّلام؛ ثم هي للأئمة الربانيين، الصادرين عن وادي الجمع، المشيرين عن عينه.**

قلت: وهذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن ما قبلها دخول في أحوال التفرقة لستر حاله، وهذه الدرجة رجوع إلى الأسباب مع كمال الشغل بالحق بقصد التوسعة على الخلق والرفق بهم، من غير منفعة ترجع لأنفسهم، لا ستراً لأحوالهم، والتلبيس على غيرهم، فهؤلاء لزم التلبيس على الخلق من أحوالهم من غير قصد له. وهو حال الأنبياء، مع كمال قوتهم وشغلهم بالله، يداخلون الخلق فيما هم فيه رحمةً لهم وعوناً، وبواطنهم خافية عنهم. وكذلك الأئمة الربانيون الذين غلبت عليهم أحوال المعارف والشغل بجلال الحق وكماله، ولكن دعاهم الحق إلى مخالطة الخلق لتعليمهم وإرشادهم، فيعيدون عن وادي الجمع مع الحق إلى نظر في أمر الخلق ليدلوهم عليه، ويشيرون إليه.

(1) لم أقف على اسم هذا القائل.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[96]. باب الوجود

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُّور: الآية 39] **فأطلق تعالى اسم الوجود في القرآن على نفسه صريحاً في مواضع فقال:** ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 110] ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: الآية 64].

قلت: الوجود عند أهل الحق هو الموجود بعينه؛ فالحق سبحانه موجود ثابت لم يزل، والعالم موجود حادث بعد أن لم يكن؛ وليس للعالم ثبوت ثم طرأ عليه حال الوجود، بل لم يكن شيئاً فأوجده الحق سبحانه لا من شيء فهو عين الموجود.

قال الشيخ رحمه الله: **الوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء؛ وهو اسم لثلاثة معانٍ: أولها وجود علم لدني يقطع علوم الشواهد في صحة مكاشفة الحق إياك.**

قلت: وهذا المعنى هو معرفة الحق سبحانه يجده العبد بعد طلبه وبحثه بعقله، فيسدد الحق عقله في معرفته حتى يتحقق العبد أن جميع ما هو فيه فضل من ربه ومعرفته به من جملة فضله عليه.

قال الشيخ رحمه الله: **والثاني وجود الحق وجود عين منقطعاً عن مساغ الإشارة.**

قلت: وهذه الدرجة في الكشف أبلغ مما قبلها، ولذلك نعتها بوجود عين والأولى **وجود علم**. فإن العلم قد يكون ضرورياً وغير ضروري؛ والضروري أبعد عن الالتفات، وطروق الآفات، وقلة الغفلات، فهو يشاهد معروفه بنور البصيرة، كما يشاهد المبصرات بنور البصر، فانقطع لذلك بكليته قلبه إليه، وامتنعت عليه الإشارة عما لديه.

قال الشيخ رحمه الله: **والمعنى الثالث وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق في الأولية.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإنها شغل عن إدراك كونه واجداً بالموجود. فلم تبق فيه بقية يتفطن بها لكونه مدركاً لموجوده. قد استولى على قلبه قهر الحق ومحقه له عن شعوره بكونه واجداً لموجوده، فهو حاضر مع الحق غائب عن غيره متصرف بأمره.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[97]. باب التجريد

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طٰه: الآية 12] .

قلت: ووجه الإشارة بالآية وليس تفسيراً لها: اطرح عنك كل ما لا يكون صالحاً لقربنا، ولا يليق ببساطنا.

قال الشيخ رحمه الله: **التجريد الانخلاع عن شهود الشواهد، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تجريد عين الكشف عن كسب اليقين.**

قلت: وقوله: **تجريد الكشف** أي تخليصه وتعريه عن الالتفات إلى تكلف حفظه بتذكر أسباب اليقين. **واليقين** هو توالي الإيمان في القلب ودوام ذكره، والعبد يكتسبه ويتعلمه كما قال عليه السَّلام: «تعلموا اليقين»[1] الحديث. فإذا تمكن العبد فيه وقويت بصيرته ودام كشفه وتوالى علمه، تجرد كشفه للحق واطلاعه عليه عن ذكر اكتسابه له بأدلته، وتكلفه بالبعد عن أسباب غفلته.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها، فإن ما قبلها تجريد عن رؤية كسب العبد وتكلفه لكمال ما فتح على قلبه من الكشف ونور البصيرة، وهذه الدرجة تجريد عن رؤية حاله مع كمال كشفه بمعلومه لما غلب من ذكر الفضل لمجريه على قلبه، فلا تفرقة في قلبه ولا التفات له لكمال حاله لشغله بالله عزَّ وجلَّ. وهو المراد **بعين الجمع** أي حقيقته وروحه.

قال الشيخ رحمه الله: **والدرجة الثالثة تجريد الخلاص عن شهود التجريد.**

قلت: وهذه الحالة أبلغ، فإن صاحبها في أكمل التجريد عن الأسباب وهو

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية عن ثور بن يزيد مرسلاً [كنز العمال]، حديث رقم (7337) [3/ 177].

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

في عين الجمع بالهمة على الحق، مشغول به عن ذكر جمعه، قد استغرق قلبه فيما هو فيه من الجلال والكمال، حتى لا يمكنه عنه زوال. ولم يبق لقلبه التفات إلى تجريده، إذ لو بقي له التفات إليه لم يكمل تجريده.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[98]. باب التفريد

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النُّور: الآية 25] **التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق، ثم عن الحق.**

قلت: وإنما كان التفريد بعد التجريد من حيث كان التجريد انقطاعاً عن الأغيار، والتفريد إفراد الحق سبحانه بالإيثار. فمن كانت إشارته **إلى الحق** تفريداً كان من المُخْلِصين ومن كانت إشارته **بالحق** تفريداً كان من المُخَلّصين، ومن كانت إشارته **عن الحق** تفريداً كان من الناطقين عنه المبلغين. فالأولى إخلاص في الأعمال والأحوال، والثانية رؤية الفضل للكبير المتعال، والثالثة غيبة عن النفس بكل حال، لكمال الحضور واستغراق البال.

قال الشيخ رحمه الله: **فأما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات: تفريد القصد عطشاً، ثم تفريد المحبة تلفاً، ثم تفريد الشهود اتصالاً.**

قلت: وهذه الثلاث مراتب بداية ووسطى ونهاية، وإن كان الجميع في مقام النهاية. **فتفريد القصد عطشاً** حال الطالب الراغب، وتفريد المحبة تلفاً حال الواجد لمطلوبه الفاقد لنفسه، **وتفريد الشهود اتصالاً** حال المتمكن الثابت، الفاني عن غير موجوده الفائت.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات: تفريد الإشارة بالافتخار بوحاً، وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعةً، وتفريد الإشارة بالقبض غيرةً.**

قلت: وهذه الدرجة أيضاً مراتب كذلك: فتارةً يفرد إشارته بما أولاه الحق افتخاراً ظاهراً لا يخفيه، وتارةً يفرد إشارته بوجود مولاه مطالعةً بعين مفتوحة فيه، وتارةً يفرد إشارته عن قبض وإمساك عن الإخبار بالإشارة لما هو فيه.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما تفريد الإشارة عن الحق فانبساط ببسط ظاهر**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

يتضمن قبضاً خالصاً للهداية إلى الحق والدعوة إليه.

قلت: وهذه الدرجة إنما كانت عن الحق وإن كان كل ما تقدم كائن بقدرته، فهو من حيث غلبة ذلك على قلب صاحبها؛ فهو في باطنه مقبوض لما هو فيه من غلبة التوحيد، وفي ظاهره مبسوط مع الخلق بسطاً ظاهراً لكمال قوته، قصداً لهدايتهم إلى الحق ودعوتهم إليه.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[99]. باب الجمع

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17] **الجمع ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة وشخص عن الماء والطين، بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين والخلاص من شهود الثنوية والتناقي من إحساس الاعتلال والتنافي من شهود شهودها.**

قلت: وما ذكره الشيخ بالغ في الجمع، شامل لسائر معانيه التي تجمع القلب عن التفرقة وتسقطها عنه، حتى تصير كالمعدومة عنه، حتى يغيب عن ذكر نفسه؛ ولذلك قال: **وشخص عن الماء والطين** يعني بني آدم مطلقاً ونفسه من جملتهم.

وقوله: **بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين والخلاص من شهود الثنوية** إلى آخر كلامه، معناه أن العبد لا يمكنه أن يرتقي عن السكون إلى جنسه من الآدميين إلا بعد صحة تمكينه في المعرفة، وبراءته من التلوين والالتفات إلى الأسباب، والخلاص من رؤية اثنين عبد ورب؛ بل لا يغلب على قلبه إلا رؤية الحق خاصةً وبه يكون نافياً عن قلبه شهود شهوده.

قال الشيخ رحمه الله: **وهو على ثلاث درجات: جمع علم، ثم جمع وجود، ثم جمع عين. فأما جمع العلم فهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً.**

قلت: يعني أنه يغيب عن ذكر سائر العلوم المتعلقة بالمحسوسات المشاهدة بشاهده لاستيلاء علمه بالحق على قلبه صرفاً.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما جمع الوجود فهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محقاً.**

قلت: وذلك أن الاتصال فيما نحن فيه إنما يكون بالإضافة إلى ذكر شيئين يكون أحدهما متصلاً بالآخر. وإذا أدرك العبد كونه متصلاً كان حاله التفرقة، وإذا تلاشى ذلك محقاً منه، بحيث لا يبقى له أثر، كان جمعاً.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قال الشيخ رحمه الله: **وأما جمع العين فهو تلاشي كل ما تقله الإشارة في ذات الحق حقاً.**

قلت: وهذه الدرجة أبلغ في الجمع، فإن **تلاشي ما تقله الإشارة،** أي تحمله وتبلغه لمن يفهمه مما يجده العبد من مواهب الحق، دليل على غلبة حكم الحقيقة عليه، ولذلك قال: **في ذات الحق حقاً.**

قال الشيخ رحمه الله: **والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد.**

قلت: وإنما كان كذلك من حيث إن السالك ما دام في سلوكه فهو في تفرقة الاستدلال والطلب والإقبال. فإذا وصل إلى مقام المعرفة وصارت الأشواق له مسالفة وهمه هماً واحداً بالحق وفيه وغلب حاله إدراك كونه مدركاً، فقد خاض بحر التوحيد الذي تغرق فيه القلوب، وتتلاشى فيه الفهوم، وتتلف فيه الهمم حيرةً ودهشاً، أو فرحاً وطيشاً.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[100]. باب التوحيد

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18] **التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث؛ وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد، وما عداه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل.**

قلت: ومعنى الإشارة بالآية أن الحق سبحانه هو الشاهد لنفسه بالوحدانية، وإنما ينطق من ينطق بلسان التوحيد ويشير من أهل التوحيد من يشير لتعريف التوحيد وتصحيحه في نفسه؛ وإلا فمن ادعاه حالاً، أو نسبه لنفسه مقاماً، فدعواه غير مقبول، عند أهل التحقيق معلول، بل كماله غيبه في توحيده، عن رؤية توحيده.

قال الشيخ رحمه الله: **والتوحيد على ثلاثة أوجه: الوجه الأول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة.**

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: الآية 35]5] **وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي** ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآيتان 3، 4] **فهذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفي الشرك الأعظم؛ وعليه نصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر؛ وصحت به الملّة للعامة، وإن لم يقوموا بحق الاستدلال، بعد أن سلموا من الشبه والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب. هذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والشواهد هي الرسالة والصنائع، تجب بالسمع وتوجد بتبصير الحق وتنمو على مشاهدة الشواهد.**

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

قلت: الموحدون لله تعالى على ثلاثة أقسام: موحد بالنطق باللسان مع صحة الاعتقاد والانقياد، وهذا هو الأول؛ وموحد بالاستدلال بالآثار والاعتبار، ووضوع العلم المخلص من آفة التعرض لقبول أقوال الأشرار، وهذا توحيد الخاصة؛ وموحد بالحال وكمال البصيرة بحقيقة القدم، والفرق بينه وبين من يجوز عليه العدم، هو في حال وجوده دائم الحاجة والفقر في كل نفَس، لا يملك لنفسه حبة من خردل ولا ذرة منها؛ فهم في حال الوجود في عين العدم، فكيف بما تقدم، فلا وجود على الحقيقة إلا للواحد الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآيتان 3، 4] .

فالوجه الأول صحة الاعتقاد والسكون إلى ما ثبت بالكتاب العزيز ومن سُنَّة النبي عليه السَّلام، وظواهر الأفعال وأنواع الموجودات المتجددة في العالم والحركات الكائنة في البر والبحر، من غير تحقيق لوجوه الاستدلال والفرق بينها وبين الشبه. فهذا التوحيد هو الشرط في صحة الإيمان وثبوت الأعمال، وهذا هو الصحيح بخلاف من يزعم أن شرط قبول الإيمان، المعرفة بواضح البرهان.

قال الشيخ رحمه الله: **والوجه الثاني التوحيد الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة؛ وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد. وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً ولا للنجاة وسيلة؛ فيكون مشاهداً سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها، وتعليقه إياها بأحايينها، وإخفاءَه إياها في رسومها، ويحقق معرفة العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدث. هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.**

قلت: وأول هذا التوحيد هو النظر والاستدلال، وتحقيق العلم بانفراد الحق سبحانه بالأفعال. فإذا تمكن العبد فيه استغنى عن الدليل والاستدلال، **فلا يشهد في توحيده دليلاً، ولا في توكله** على الحق **سبيلاً**، فإن السبيل سبب والمتوكل معرض عن الأسباب مشغول بالمسبب، **ولا في النجاة وسيلة** وإن كان متعاطيها للأمر بل يكون ناظراً فيما يجريه، ويقدره ويقضيه، ويمنعه ويعطيه بتصفح ما سبق في القدم، جارياً على المنعوتين حقاً بالعدم. وهذا سلوك سبيل إسقاط رؤية

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المحَدثين عن القلب، ويصح بعلم الفناء عن غير الحق، **ويصفو في علم الجمع** وهو علم الأدب في حال الجمع، **ويجذب** المتخلق به **إلى عين الجمع** يعني حقيقته والاتصاف به.

قال الشيخ رحمه الله: **وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه ولا يستحقه لغيره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه. والذي يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم، على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح إلا بإسقاطها. هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق، وإن زخرفوا له نعوتاً، وفصلوه فصولاً، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً، والصفة نفوراً، والبسط صعوبةً، وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضات، وأرباب الأحوال والمقامات، وله قصد أهل التعظيم، وإياه عني المتكلمون في عين الجمع. وعليه تصطلم الإشارات، ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة؛ فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون، أو يتعاطاه حين، أو يقله سبب. وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث:**

ما وحّد الواحدَ من واحد ... إذ كل من وحّده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لأحد

قلت: وهذا التوحيد الثالث قد أشار الشيخ رحمه الله إلى روحه وسره وقطبه الذي عليه مداره، وهو **إسقاط الحدث** عن القلب ذكراً، **وإثبات القدم** في القلب وجوداً. فإذا منّ الله تعالى على أحد بالوصول إلى هذا المقام وأسقط الحوادث عن ذكره، فلمن يشير ومع مَن يتكلم وإلى من يلتفت؟ فيخرس لسانه وهو ناطق، وتعمى عينه وهو ناظر، وهو في عين الجمع. فإن أشار لم يفهِم ولم يفهَم لعزة المعنى وعدم المحل، فإن وصفه لم يقبَل وحصل النفور عنه لكونه لم يُعهد. وعلى الجملة فالحق سبحانه موصوف بالوحدانية في الذات والصفات والأفعال، وكل ما يدركه العبد هي المعاني القائمة بالعبد وهي نعوته التي بها يدرك الوجدانية. فنعوت الحق مختصة به قديمة، ونعوت العبد مواهب من مولاه

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

حادثة، والعبد لا يعرف إلا ما عُرف ودعواه أنه عارف مع كونه محلاً نقص في معرفته. وإليه أشار الشيخ بالقوافي الثلاث في الجواب عن توحيد الصوفية بقوله: **توحيد من ينطق عن نعته عارية**. فالله تعالى يبلغنا هذه الأحوال، ولا يجعل حظنا منها المقال! ولقد خطر لي قوافي في المعنى، إلا أنها في مقصودي أجلى وأولى، وهي هذه:

ما وحّد الواحد من واحد حقاً فغاب الخلق عن ذكره
إلا بفضل من لدن واهب يعجز كل الخلق عن شكره
فكن فقيراً وقت إفضاله تنل جميل الخير من بره
ولا ترى نفسك فيما ترى يحجبك المنعم عن سره

تم الكتاب بحمد الله وعونه، وذلك في الثامن من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة. كتبه لنفسه بخط يده الواثق بالجواد، محمد بن عبد الله بن يوسف بن حماد، نفعه الله به وفهمه ما فيه من تعليق العالم العامل المعلم المخلص آمين. صلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم.

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

المحتويات

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[II ـ قسم الأبواب]

[III ـ قسم المعاملات]

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[IV ـ قسم الأخلاق]

[V ـ قسم الأصول]

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[VI ـ قسم الأودية]

[VII ـ قسم الأحوال]

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[VIII ـ قسم الولايات]

[IX ـ قسم الحقائق]

shaziliaassemia.com

shaziliaassemia.com

[X ـ قسم النهايات]

shaziliaassemia.com